

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد

رأفت محمد سعد استيتي

إشراف

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية

الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين

2007

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد

رأفت محمد سعد استيتي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 21/ 7 /2007م. وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

.....

1. الأستاذ الدكتور يحيى جبر/ مشرفا ورئيسا

.....

2. الأستاذ الدكتور وليد جرار/ ممتحنا خارجيا

.....

3. الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح/ ممتحنا داخليا

الإهداء

إلى روح والدي العزيز التي تفرح كثيرا لهذا الإنجاز

إلى أمي التي لا تكف عن الدعاء لي بالتوفيق، والتي أعجز عن أن أوفيها بعض

معروفها وتضحياتها

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم وأصدقائي

إلى كل أصحاب النفوس الطيبة

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور يحيى جبر الذي كان لي نعم العون والمرشد في إنجاز هذه الدراسة، ولم يضمن علي بتوجيهاته السديدة وملاحظاته الدقيقة التي أثرت هذه الدراسة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الأستاذ الدكتور وليد جرار، وأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

سائلا المولى أن يحفظهم جميعا وأن يجزيهم خير الجزاء.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	عنوان الرسالة
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	فهرس المحتويات
خ	الملخص
1	المقدمة
30-4	الفصل الأول: شعر ابن حمديس صورة لطبيعة صقلية والأندلس
7	ابن حمديس الصقلي
9	ثقافة ابن حمديس
11	اثر البيئتين الصقلية والأندلسية
12	أثر البيئة الصقلية
210	قاموس الألفاظ الطبيعية
25	طريقة ابن حمديس في توليد الألفاظ
28	المذاهب والاتجاهات التي اعتمد عليها
94-31	الفصل الثاني: ألفاظ الطبيعة الصامتة
33	ألفاظ المياه
48	الغطاء النباتي
72	الظواهر الجوية
87	التضاريس
95	الفصل الثالث: ألفاظ الطبيعة الحية
96	ألفاظ الأسد
100	ألفاظ الخيل
109	ألفاظ الإبل
116	ألفاظ الغزال
118	الزرافة

الصفحة	الموضوع
120	الصفور والكلاب
121	الطيور
135-131	الحشرات
185-136	الفصل الرابع: قضايا لغوية
137	المشترك اللفظي
142	المعرب والدخيل
148	الأضداد
151	الترادف
156	الأبنية الصرفية
162	الدراسة الإحصائية
172	الخاتمة
174	الملاحق
182	المصادر والمراجع
b	الملخص بالإنجليزية

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد

رأفت محمد سعد استيتي

إشراف

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

المخلص

تتكلم هذه الدراسة عن ألفاظ الطبيعة في ديوان ابن حمديس الصقلي، دلالة وصرفا وإحصاء.

و تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول إضافة إلى دراسة إحصائية للألفاظ الطبيعية تبين نسب ورودها في شعر ابن حمديس.

و قد تحدث الباحث في الفصل الأول من الرسالة عن حياة ابن حمديس، وعن أثر البيئتين الصقلية والانديسية في حياة ابن حمديس وشعره، وقدرته على الابتكار والتوليد في المعاني والدلالة، ثم الفصل الثاني وعرض فيه الباحث ألفاظ الطبيعة الصامتة متضمنة ألفاظ الماء والغطاء النباتي والظواهر الجوية والتضاريس، ثم الفصل الثالث وعرض فيه الباحث ألفاظ الطبيعة الحية بما فيها من حيوانات أليفة، وحيوانات جارحة ثم الحديث عن الطيور بما فيها الحمام والجوارح.

أما الفصل الرابع فقد عرض الباحث بعض القضايا اللغوية، توضيحا لحضورها في ديوان ابن حمديس منها المشترك اللفظي، والترادف، والأضداد، والمعرب والدخيل، ثم الأبنية الصرفية، ومن ثم الدراسة الإحصائية والخاتمة التي توضح أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وأصحابه
الغر الميامين أما بعد:

إن نظرة متأنية في الشعر العربي تجلي لنا حقيقة لا يختلف عليها اثنان -
سواء أكان في الشعر العربي عموماً أم في الشعر الأندلسي على وجه الخصوص.
ومنه شعر صقلية - تلك هي حقيقة البيئة ودورها الكبير في تكوين شخصية الشاعر
وأثرها البالغ في صقل الشخصية من جهة، وفي توليد الألفاظ من جهة أخرى. كما أنها
ترمي بظلالها على صفحات القاموس اللغوي للشاعر، لترسم الكلمات محملة بأطياب
المعاني وروائع الدلالة. هجيرة في سحر المكان وتعموم على شواطئ الجمال لتحملها
أجنحة الزمان إلى جنان الأحلام.

لقد حبا الله الأندلس طبيعة خلابة افتتن بها الشعراء فتهاافتوا على وصفها،
وأكثروا من التغني بمناظرها الجميلة، كما عبروا عن عشقهم الشديد لها وعن كلفهم
بها في لوحات شعرية غاية في الروعة والإبداع. وتفننوا في ذلك أيما تفنن، حتى
غدت الطبيعة أهم ما في حياتهم.

لذا فقد عكس شعر الطبيعة في الأندلس قوة اللحمة بين الأندلسيين وبيئتهم
وتعلقهم بمظاهر الجمال فيها، فيستفيض في وصف محاسنها، ليعبر عن التصاقه الشديد
بها، فهي العشق الأول والأخير، وهي الأولى قبل بلاد الدنيا كلها، وينبع هذا الوله
والعشق من الإحساس العميق بالعروبة والانتماء. فكان انعكاساً للشعور الوطني في
نفوس الأندلسيين وتعبيراً عن نزعة أندلسية قوية تأصلت في نفوس الشعراء، وظهرت
في أشعارهم بشكل واضح.

لقد ظهرت الطبيعة في كل موضوع من موضوعات الشعر الأندلسي فكانت
متكناً للموضوعات الأخرى. فإذا تغزل الشاعر جعل الطبيعة إطاراً لغزله، وإذا وصف
الراح اتكأ على الطبيعة وأفاضت في وصف محاسنها حتى كاد أن ينسى موضوعه

الأصلي وإذا حنّ إلى بلاده تذكر طبيعتها الجميلة، وإذا مدح أو رثى أخذت صور الطبيعة تثبت في أبياته.

ففي ليالي صيف الأندلس الجميلة يستلقون مستريحين فوق الشلت الطرية في ساحات القصور الزاهرة الفاتنة، يتحاكون القصص، ويرتجلون الأشعار. وتبدو براعتهم جلية في الأحاديث المنعشة الذكية. على حين توشوش النوافير، ويعبق النسيم الوداع بأريج الزهور، ويشارك الأمير ضيوفه واتقاً في أحاديثهم ويأمر بأن يقدم لهم طيب الشراب. فقد رسم الشعراء لوحات كثيرة لمتنزهات الأندلس، وتغنوا بها في قصائدهم. ومن فتنهم بالطبيعة حولهم فقد أفردوا الحديث عنها في قصائد مستقلة ليكون الوصف طبيعياً خالصاً، فتهياً لهم أن يقفوا على كل جزئية من جزئيات الطبيعة فوصفوا الرياض والأزهار والمنتزهات والغورات والأنهار والجدول والحيوانات صغيرة وكبيرها أليفها وجارحها، طائرها وزاحفها. فلم يتركوا منظراً ولا جماداً من مناظر طبيعتهم إلا وصفوه وتغنوا به في أشعارهم.

من أولئك الشعراء لا بل على رأسهم شاعرنا المجيد والناظم البارع والفنان المبدع فتى صقلية وغلماها وشيخ الأندلس وشاعرها عبد الجبار ابن حمد يس الصقلي الذي أذكت الطبيعة صباية عشقه وفجرت في قلبه ينابيع الرقة والجمال فأغدق عليها من رهافة الحس وبراعة النظم وأناقة اللفظ وروعة المعنى ليرسم أجمل اللوحات لونا وأدقها تفصيلاً وأسلسها عبارة.

هو ابن حمد يس. لقد وقف ابن حمديس عند كل شاردة وواردة فوصف الجماد قمراً، قلماً، سيفاً، قصوراً، أنهاراً، سواقي ووصف الرياض والنبات والأزهار والنيلوفر وشقائق النعمان كما وصف الحيوان والحشرات كوصف الناقة والفرس والزرافة والصقر والكلاب والحمام والبق والبراغيث والبعوض والذئب والعقرب والحرباء.

ووصف الإنسان ووصف كل ما صادفه أو خطر بذهنه سواء كان حسيا أم
معنويا.

وقد جاءت هذه الدراسة لتقف عند ألفاظ الطبيعة في شعر ابن حمد يس ما كان
فيها صامتا أو متحركا. وقد كان منهاج الدراسة وصفيا إحصائيا دلاليا. وجاءت
الدراسة على أربعة فصول:

الفصل الأول: شعر ابن حمد يس صورة لطبيعة صقلية والأندلس وتتاول
الباحث فيه أثر البيئتين الصقلية والأندلسية في شعره الطبيعي. كما وقف الباحث عند
ألفاظ الطبيعة وغنى دلالتها إضافة إلى توليد الألفاظ الطبيعية وتجديدها عند ابن
حمديس.

أما الألفاظ الطبيعية الصامته في شعر ابن حمد يس وتحسس جمالياتها
ومظاهرها بما فيها ألفاظ المياه والغطاء النباتي والظواهر الجوية، فقد كانت مادة
الفصل الثاني من البحث.

وفي الفصل الثالث وقف الباحث عند ألفاظ الطبيعة الحية ودلالاتها كألفاظ
الحيوانات البرية والأليفة والطيور.

في حين وقف الباحث في الفصل الرابع عند بعض القضايا اللغوية والمعجمية
التي تعكسها بعض الألفاظ في الديوان.

ومن ثم خاتمة أبرز فيها الباحث خلاصة ما أثمرت عنه الدراسة، إضافة إلى
توصيات من شأنها ان تساهم في فتح الطريق أمام البحث العلمي للتحليل والإطناب في
الوقوف عند شعر ابن حمديس، فهو شعر معطاء حافل بكل ما من شأنه إثراء اللغة
وفتح أفق جديد في الدراسة الأدبية.

وأخيرا، وليس لي إلا أن أقول هذا جهدي المتواضع، فإن أصبت، فهو توفيق
من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

الفصل الأول

شعر ابن حمديس صورة لطبيعتي صقلية والأندلس

شعر ابن حمديس صورة لطبيعتي صقلية والأندلس

صقلية هي إحدى تلك الجزر الواقعة في مياه البحر الأبيض المتوسط، تقع إلى الجنوب من إيطاليا، ويفصل بينهما ممر مائي يسمى مضيق (مسينا) بمسافة لا تتجاوز ثلاثة كيلومترات. كما أن هذه الجزيرة الوادعة الجميلة تقع إلى الشمال الغربي من ساحل إفريقيا، بينها وبين تونس معبر صقلية الممتد على مسافة تقدر بمئة وعشرين كيلومتراً⁽¹⁾.

لقد تعاقبت على هذه الجزيرة مراحل ثلاث، كان لها أثر كبير في سير الأحداث فيها، وأولى هذه المراحل الفتوحات الإسلامية. وتبدأ هذه المرحلة من العام 212هـ حتى سقوط دولة الأغالبية 297هـ. ثم مرحلة خضوع الجزيرة للفاطميين الذين أسسوا دولتهم في شمال إفريقيا سنة 297هـ على أنقاض دولة الأغالبية، والمرحلة الثالثة التي توجت بظهور بوادر الفتنة، وذلك عندما استقل كل حاكم بولاية من الولايات. وقد فتحت هذه الفتنة أبواب الجزيرة على مصراعها أمام النورمان الذين استولوا عليها عام⁽²⁾ 484هـ.

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على المجتمع الصقلي نجد أن عناصر سكانه قد اختلطت بها الدماء والأجناس المختلفة في صورة قد خلقت منها الأقاليم التي فتحها المسلمون. فقد كان المجتمع الصقلي يتألف من طائفة من العناصر المتشابهة والمعقدة. فمنها الآسيوي كالعرب، ومنها الإفريقي كالبربر، ومنها الأوروبي كالنورمان والإغريق واللومبار وغيرهم. وقد كانت الجزيرة قبل ذلك خاضعة لحكم الرومان الذين نشروا فيها لغتهم، كما نشروا فيها المسيحية، وبقي حالها كذلك حتى دخلتها رايات الفتح الإسلامي بقيادة أسد بن الفترات عام 212هـ.

وبعد أن فتح المسلمون صقلية سكنها العرب، الذين كانت قبائلهم، ترجع إلى أنساب عربية متعددة، فكان هناك اليمانيون مثل الأزدي وكندة ولخم والمعافر، والمضربون مثل قيس وتميم وغيرهما. وقد كان الصراع بين القبائل اليمانية والمضربية محتدماً في المشرق والمغرب، فلم تتج منه صقلية، فكان مرضاً يعيث في أوصالها، إلا أنه لم يصل إلى الجدة التي كان عليها في بعض

(1) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره، مكتبة غريب، القاهرة، ص 7.

(2) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، دار المعارف للطباعة والنشر تونس، ص 19.

الأقطار الأخرى⁽¹⁾ لذا فقد تتردد في الشعر الصقلي أصوات تفتخر بهذا العصر أو ذلك، وإن كانت أصواتاً نشازاً خافته. وقد تزايد عدد العرب بشكل مطرد بعد مرور مئة عام على الفتح الإسلامي⁽²⁾ إضافة إلى سكانها من الأجناس الأخرى على اختلاف أديانهم.

إن تعدد الديانات والأجناس في صقلية لم يمنع من اندماج أهلها مع الفاتحين العرب وغيرهم بالمصاهرة وغيرها. أما الذين بقوا على دينهم فقد عوملوا معاملة الكتابيين أو الذميين. وقد كان لتسامح المسلمين أثر كبير في دخول عدد كبير من المسيحيين في الإسلام، فما أن جاء القرن الخامس الهجري حتى كان عدد المسيحيين الذين لم يسلموا قليلاً جداً⁽³⁾.

بذلك فقد اختلط العرب بسكان البلاد الأصليين وعاشروهم وصاهروهم وامتزجوا بهم، كما تبادلوا معهم العادات والتقاليد، وعليه فقد أصبح المجتمع الصقلي عربي الملامح والسمات، وانصهرت هذه العناصر كلها في البوتقة الصقلية لتكون وحدة صلبة متماسكة لا تتجزأ، أذكت الروح الوطنية في نفوس الصقليين مع مرور الزمن، فبعد أن شعر المهاجرون بأن صقلية وطنهم، نشأ جيل ينتسب إلى صقلية ويشعر بالرابطة العاطفية بينه وبينها⁽⁴⁾.

على الرغم من الأوضاع السياسية المتقلبة التي عاشتها صقلية بما فيها من حدة وعنف تارة، وصراعات وحروب تارة أخرى، وما كان لذلك من أثر عميق في نفسية الفرد الصقلي، فصبغت شخصيته بالصبغة العسكرية، ليكون على استعداد دائم لتحقيق المزيد من الانتصارات والفتوحات، كل ذلك لم يحل دون أن يكون للبيئة الصقلية دور كبير في صقل الشخصية الصقلية، فقد غرست فيها الإحساس بالجمال والميل إلى الأدب لا بل الشغف به ولاسيما الشعر. كما رافق ذلك النزوع إلى اللهو وضروبه المختلفة أضف إلى ذلك ما كان للمسيحيين من دور رئيس في هذا المجال.

(1) أنظر: ماريو، مارتينو، المسلمون في صقلية، 30.

(2) أنظر: لوبون، جوستاف، ترجمة عادل زعيتر، حضارة العرب 377-378.

(3) أنظر: عباس، إحسان: العرب في صقلية، دار المعارف، مصر. 1959. ص، 63.

(4) أنظر: عباس، إحسان: المصدر نفسه. ص 177.

كما أن الظروف الاقتصادية في الجزيرة روت ظمأ الشخصية الصقلية. فكان لازدهار الحياة الاقتصادية في الجزيرة أثر كبير في تكوين طبقة من الأثرياء على رأسها الأمراء، وقد ترك هذا الثراء أثراً بالغاً في نفوس الناس، فافتتوا في التمتع بالحياة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود طبقة فقيرة من الشعب، ساعدت في إيجاد الانحلال الأخلاقي في بعض البيئات. وهذا بارز في شعر الصقليين.

لقد أنجبت صقلية في تلك الفترة الزمنية التي عاشتها حرة طليقة- قبل أن تسقط في أيدي النورمان- عدداً كبيراً من الشعراء ذكر منهم ابن القطاع⁽¹⁾ نيفاً ومائة وسبعين شاعراً. وهذا يدل على ما وصل إليه الشعر من نفوس أهل تلك الجزيرة من ازدهار وتطور.

ينقسم الشعراء في صقلية إلى قسمين أحدهما الشعراء الوافدون والآخر هم الشعراء الصقليون، ومنهم ابن سرقوسة الشاعر الفريد والنظام المجيد، الذي رفعه شعره في الآفاق، وحلّق به في سماء صقلية نجم لا يشق له غبار بعد أن غردت بأشعاره الأطيّار ومدحه الأخيار والفجار إنه ابن حمديس الصقلي.

ابن حمديس الصقلي⁽²⁾:

في مدينة سرقوسة الرابضة على سواحل جزيرة صقلية الشرقية. كان مولد عبد الجبار بن حمديس المكنى بأبي محمد عام 447هـ - 1055م يتصل نسبة بقبليّة الأزدي الكهلانية، إلا أنه لم يفتخر بنسبه هذا في شعره مثلما يفتخر بأنه من بني الثغر، فهو يعتز بوطنه أكثر من اعتزازه بقبيلته.

نشأ ابن حمديس في أسرة عربية محافظة تتمسك بأهداب الدين، ويميل أكثر أفرادها إلى الزهد والنسك، ويتصفون بالبرّ والتقوى، وقد عاش جده ثمانين عاماً قضاها في العبادة والنسك، ويشير إلى ذلك في قوله:.

(1) شاعر من شعراء صقلية له كتاب الدرّة الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة.

(2) ابن خلّكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 381/2.

تنسك في بر ثمانين حجة

فيا طول عمر فرّ فيه إلى الربّ (1)

أما والده أبو بكر بن محمد فقد عاش إلى ما قبل 480هـ على وجه التقدير، وربما توفي في سرقوسة، وكان رجلاً محباً للخير، مضى حين مضى سالكا سبل آبائه، وقد كان لمحمد والد الشاعر أخت هي عمّة الشاعر هاجرت وأبناؤها إلى سفاقس، كان ابنها أبو الحسن متطياً متقفاً يصفه ابن حمديس بأن "بقرات دونه معرفة طبية وفكرة حسبية" وقد تزوج أبو الحسن أخت الشاعر، وكان على ما يبدو من لدات ابن حمديس، فقد وثقت النشأة بينهما عقداً من الصداقة أقوى من رابطة القرابة، وقد ظلت المراسلات تدور بينهما مدة طويلة، بعد أن هاجر ابن حمديس من صقلية(2).

لقد كان للبيئة التي عاش فيها ابن حمديس دور كبير في تحديد ألوان الثقافات التي تلقاها. فقد تزود بالثقافة الدينية منذ حدثته فحفظ القرآن الكريم، وألمّ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأ القصص والأساطير التي كانت شائعة في عصره، كما طرق أذنه كثير من أخبار المسلمين وسيرهم، وعكف على قراءة الشعر الجاهلي، فتعلق به واستعذبه، وتأثر بشعرائه، وقبس عن كل واحد منهم، وقد ظهر ذلك جلياً في شعره(3)، كما اتسعت ثقافته وتنوعت، فقد ألمّ إماماً كبيراً بالعروض والنحو، وطبائع الحيوان، والفلك والفلسفة، كما ألمّ ببعض المعارف الطبية، وشغف بالتاريخ شغفاً كبيراً، وقد بلغ من كلفه به أنه ألف كتاباً في "تاريخ الجزيرة الخضراء" لم يصلنا منه شيء(4).

وكانت سرقوسة تمتاز بسحرها الخلاب. وطبيعتها الجمالية الجذابة وقد وصفها الإدريسي بأنها "من مشاهير المدن وأعيان البلاد، تشد إليها المطي من كل حاضر وباد، ويقصد إليها التجار من جميع الأقطار، وهي على ساحل البحر وهو محقق بها، دائر بجميع جهاتها... وهي

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر، بيروت، 1960، ص 36.

(2) ابن حمديس، الديوان: ص 3.

(3) عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 378.

(4) حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 1 استنبول، وكالة المعارف،

1941. ص 290

عجبية الأمر وبها ما بأكبر المدن من الأسواق والحانات والديار والحمامات، والمباني الرائعة، والأفنية الواسعة وبها من الجنات والثمار ما يتجاوز الحد والمقدار⁽¹⁾.

على الرغم من النشأة الدينية التي نشأها ابن حمديس إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يجذب إلى تلك الحياة الصاخبة، فأطلق لنفسه عنانها، فذهب إلى الأديرة والحانات، وشغف بالقيان والجواري، كما كانت له مغامرات مع الراهبات، فافتتن بهذا اللون من الحياة حتى يظن المتمعن في حياة ابن حمديس واشعاره والمطلع على مفرداتها وتفصيلها أن حظه في حياة اللهو والحب كان أكثر من حظه في العلم وتحصيله⁽²⁾ وقد يكون سبب ذلك عائداً إلى عدم قدرته على استيعاب طبيعة الحياة في الجزيرة بشكل صحيح يؤهله إلى أن يلزم نفسه باتجاه الحياة العلمية والثقافية.

ثقافة ابن حمديس:

لا نريد أن نستزيد على ما ذكرته كتب الأدب والتاريخ عن شخصية ابن حمديس وألوان الثقافة التي قطف من زهورها أجملها ووروداً، وأينعها ثماراً، وأطيبها عوداً، وأكثرها سحراً وبيانا، فقد أبحر في القرآن يتشبث بفيض بلاغته وإعجاز آياته، ثم طاف في حدائق الحديث

واستظل بظلالها الوارفة، حتى إذا اشربت نفسه للغة نزل منازلها وخط رحاله في بواديها ليعرج على شاردها وواردها، ويأخذ من لباب بلاغتها، ليروي ظمأ روحه المتعطشة من بديع سحرها ورقة بيانها ولطافة معانيها، فيحيكها بين دفتيه ليخرجها بأبهى الحلل وأجمل الصور أنهاراً عبقت مياهها بالدر المنظوم والعشق المكتوم.

لقد ذكرنا أن ابن حمديس قد أخذ من كل علم بطرف، حتى ملأ جوفه وعقله فبدأ بخير الكلام وما أعجز الأنام، ثم بسنة حبيب الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام، فتاريخ الأمم والأديان، ثم اللغة بما حملت من نحو وعروض وأمثال ومعاجم وبلاغة وسحر بيان. ثم حمل

(1) أنظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. روما. 1778. ص، 29.

(2) أنظر: ابن حمديس، عبد الجبار، ديوان ابن حمديس: تحقيق الدكتور محمد عباس. دار صادر، بيروت، 1960،

على الفلسفة والفلك والطبيعة والكيمياء والموسيقى والحساب ثم النبات إلى أن ألف الوحش والحيوان فوصفها وكأنه يرسم صورة إنسان⁽¹⁾.

وقد برزت ألوان ثقافة ابن حمديس في شعره بشكل جليّ يقول:

وتالٍ من القرآن " قل لن يُصيبنا
وقد حان من زهرِ النجوم غروبها⁽²⁾

(الطويل)

وضعتني كرهاً كما حملتني
وجرى ثديها بشُرْبِي وطُعْمِي⁽³⁾

(الطويل)

وهذه الأبيات تطلعننا على ثقافة ابن حمديس من القرآن الكريم.

ويقول واعظاً ناصحاً:

خذ بالأشدّ إذا ما الشرعُ وافقه
ولا تكن كبني الدنيا رأيتهم
ولا تملّ بك في أهوائك الرخصُ
إن أدبرت زهدوا أو أقبلت حرصوا⁽⁴⁾

(البيسط)

ومما يدل على معرفته باللغة واتقانه لها قوله:

هيئات كان ممتاً نفسك مثبتاً
قصرتك كالممدودٍ قصر ضرورة
بيد القضاء عليك في الميلاد
وعدتك عن مدّ الحياة عواد⁽⁵⁾

(الرمل)

ويقول مشيراً إلى الالتفات البلاغي وموظفاً له توظيفا جميلاً دالاً على معرفته به معرفة

تامة.

قالت لمنشدها نسيبي ماله
يا هذه أصدى دعوات مردداً
ليس النسيب لمثله بنسيب
ليجيب منك فكان غير مجيب

(1) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره. مكتبة غريب القاهرة، ص 127-143.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، ديوان ابن حمديس، تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر بيروت، 1960. ص 43.

(3) المصدر نفسه: ص 478.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 290.

(5) المصدر نفسه: ص 123.

لَيْتَ التَّفَاتِي فِي الْقَرِيضِ أَعْرَتِهِ

حُسْنَ التَّفَاتِكِ رَحْمَةً لَكُنْيِبِ⁽¹⁾

(الرمل)

فقد ألمَّ الشاعر بعلوم اللغة إماماً كافياً، إلا أنه لم يكتف بذلك، بل اهتم بالعلوم المختلفة. كعلوم الفلسفة الطب والفلك والطبيعة والكيمياء وغيرها، فقد كان له نظرات وملاحظات تدل على أن الرجل كان دقيق الملاحظة واسع الأفق، معنياً بثقافته وثقافة عصره، على نحو من الإلمام السريع الذي ينبغي أن يلمَّ به الأدباء الذين وقفوا حياتهم على الفن وجعلوه بضاعتهم⁽²⁾.

يقول ابن حمديس:

ومشرق كيمياء الشمس في يده

ففضة الماء في إلقائها ذهب⁽³⁾

(الطويل)

كأن نَفْسِكَ مغناطيساً

غَدَتْ لِدُنُوبٍ بِهِ جَاذِبُهُ⁽⁴⁾

(الطويل)

فتاة إذا استعطفت باللين قلبها

على الصَّبِّ أَضْحَى وهو من حجر أفسى

ولا شك أن الماء رطب وكلما

سَقَيْتَ حديداً فيه زاد به يُبْساً⁽⁵⁾

(الطويل)

أثر البيئتين الصقلية والأندلسية في شعر ابن حمديس:

إن المطلع على الشعر العربي عموماً وعلى الشعر العربي المغربي - سواء كان في صقلية أو في الأندلس - على وجه الخصوص، يرى ما للبيئة من دور كبير في تكوين شخصية الشاعر وأثر بالغ في صقل الشخصية من جهة، وفي توليد الألفاظ من جهة أخرى، فهذا علي بن الجهم يدخل إلى بلاط المتوكل مادحاً فيقول:

وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالكلب في وفائه

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 58 - 59.

(2) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره، مكتبة غريب القاهرة، ص 140-141.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 25.

(4) المصدر نفسه: ص 41

(5) المصدر نفسه: ص 282.

فما أن أكمل قوله هذا حتى انقض عليه بعض الحضور يريدون قتله ظناً منهم أنه يهجو الخليفة لا يمدحه، وفي حقيقة الأمر كان الشاعر يمدح، إلا أنه يعيش في الصحراء فلم يجد أكثر وفاءً من الكلب فأراد أن يصف الخلفية بالوفاء، ولم يجد أكثر شجاعة من التيس، فأراد أن يصفه بالشجاعة، هذا ما كان يدور في خلجه. لذا طلب إليهم الخليفة أن يتركوه ويذهبوا به إلى الرصافة، وبعد أن عاش في الرصافة فترة من الزمن واستمتع بجمالها الساحر وطبيعتها الخلابة عادوا به إلى الخليفة، وعندما وقف بين يديه قال:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على دور البيئة في بناء شخصية الشاعر. وفي قاموسه اللغوي ومن هنا فقد كان للبيئتين الصقلية والأندلسية دور ضليع في شاعرية ابن حمديس، ونخص بالذكر البيئة الحاضرة الغائبة في قلب ابن حمديس إنها بيئة صقلية المفعمة بالحياة، ما توافق منها وما اختلف، وسنفصل الحديث فيما يلي عن البيئتين ونبدأ ببيئة صقلية وأثرها في شعر ابن حمديس.

أثر البيئة الصقلية في شعر ابن حمديس:

لقد عاش ابن حمديس حياته متنقلاً من مكان إلى آخر، فبعد أن عاش ريعان شبابه في صقلية التي كانت حاضنة طفولته وشبابه، ومصدر وحيه وإلهامه رحل إلى أفريقية، إلا أنه لم يألف حياتها في الصحراء القاسية، فلم يطل به المقام فيها، فحمل أمتعته وتوجه صوب الأندلس، ليستقر به المقام في إشبيلية، ويعيش في كنف صاحبها المعتمد بن عباد ما يقرب ثلاثة عشر عاماً تقريباً، إلى أن استولى عليها المرابطون واقتيد ابن عباد أسيراً إلى أغمات بمراكش، فعزّ على ابن حمديس أن يترك صاحبه في محنته، فلازمه في منفاه، إلى أن توفي ابن عباد، ليعود ابن حمديس إلى التنقل والتشرد من جديد، فيعاني من متاعب الغربية، ويبقى متنقلاً بين المدن الأفريقية حاملاً بين جنبيه وطنه الحبيب صقلية إلى أن قضى بقية عمره فيها حتى وافاه الأجل بعيداً عن وطنه عام 527هـ. وقد كانت وفاته في مدينة ميورقة⁽¹⁾.

(1) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 380-382.

لقد اختلط ابن حمديس بالحركات الأدبية في البيئات التي تنقل منها وإليها، ولكن هل كان لتلك البيئات أثر أو تأثير ذو قيمة في شعر ابن حمديس. لقد شغلت هذه القضية أذهان الباحثين فكانوا بين المؤيد لتأثيره بهذه البيئات والمعارض وكل له حجته التي يستند إليها⁽¹⁾.

يرى سيد نوفل أن ابن حمديس كان يعيش بلغته وعقله وثقافته معتمداً على العربية في بيئاتها المختلفة، ويقول نوفل "إن الحياة التي عاشها "يعني ابن حمديس" في الأندلس وإفريقية هي التي هيأته لأن يكون مثال الشاعر الذي يغنى بأساليب غيره من الشعراء"⁽²⁾.

وهذا ما يردده جودت الركابي بحرفيته تقريباً دون الإشارة إلى قائله⁽³⁾. في حين يرى أمبرتور ريزتانو أن البيئات التي عاش فيها ابن حمديس أندلسية كانت أم إفريقية - لم تكن تتجاوب مع قلبه، ويؤكد ذلك بقوله: إن الحوادث التي كانت تدور في إفريقية لم تكن ذات أثر مهم في نفسية ابن حمديس، بل إنه لم يكن لها أثر واضح في شعره، وإن وجد فإنما هو أثر باهت يستطيع القارئ العثور عليه في هذا المديح أو ذلك الرثاء⁽⁴⁾.

إن من يطالع ديوان ابن حمديس يجد ذلك صحيحاً إلى حد بعيد، فالقارئ المجيد لشعر ابن حمديس يجد صقلية تطل من نافذة كل قصيدة تقريباً، وهذا يسعفنا في القول إن المؤثر الرئيس، ولعله الوحيد، في شعر ابن حمديس هو صقلية، انظر إليه يتغنى بأيام شبابه التي قضاها في صقلية لاهياً متلذذاً يقول:

فَكُنَّا مَعَ اللَّيْلِ زَوَارَهَا	وراهبة أغلقت دبرها
تذيعُ لأنفك أسرارها	هدانا إليها شذا قهوة
فأجرت من الدن دينارها	طرحت بميزانها درهمي
على قُضْبُ البان أقمارها	وعدنا إلى هانة أطلعت
تثور فيقتل ثوارها	يرى ملكُ اللهو فيها الهموم
قيانُ تحركُ أوتارها	وقد سكنت حركات الأسي

(1) أنظر: نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر القاهرة، 1945. ص 269.

(2) أنظر: المصدر نفسه: ص 269.

(3) أنظر: الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي، دار المعارف مصر. 1966، ص 101.

(4) أنظر: ريزتانو، أمبرتور: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الاردنية، 1965، ص 97-102.

فهذي تعانقُ لي عودا لها

وتلك تقبلُ مزمارها⁽¹⁾

(المتقارب)

وراقصة لَقَطَتْ رَجُلَهَا

حساب يدِ نَقَرَتْ طَارَهَا

(المتقارب)

ومما يؤكد خلود صقلية في قلب الشاعر وعدم تأثره بغيرها من البيئات التي اختلف إليها قوله:

ألا في ضمانِ الله دار بنوطسٍ

وَدَرَّتْ عَلَيْهَا مُعْصِرَاتُ الْهَوَاضِبِ

أُمَّثَّلَهَا فِي خَاطِرِي كُلِّ سَاعَةٍ

وَأَمْرِي لَهَا قَطْرُ الدَّمِوعِ السَّوَائِبِ

أَحْنُ حَنِينِ النَّيْبِ لِلْمَوْطِنِ الَّذِي

مَغَانِي غَوَانِيهِ إِلَيْهِ جَوَادِبِي

وَمَنْ سَارَ عَنْ أَرْضِ ثَوَى قَلْبِهِ بِهَا

تَمَنَّى لَهُ بِالْجِسْمِ أَوْبَةَ آيِبِ⁽²⁾

(الطويل)

لقد كانت حياة ابن حمديس التي عاشها في صقلية، وشاهدها، تختلف عن حياة غيره من الشعراء.. فقد كانت مجريات الحياة وأحداثها بما فيها من حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية وعقلية، قد أثرت بشكل كبير في تهذيب فكر ابن حمديس وخياله، مما جعل لشعره صبغة خاصة، فقد أغدق وأبعد في تفكيره وخياله، كما كان كثير التأمل في مظاهر الحياة المختلفة، فكانت ذكريات الماضي تتجاذبه فتملاً عليه نفسه. كما هو حبه وحنينه واشتياقه الدائم لبلاده التي عبت بها الأهوال. وهذا ما جسده ابن حمديس في شعره فتراه باكياً متألماً، وقلما تجده فرحاً مسروراً حتى إن فرحه وسروره لم يكونا ليخرجا الآلام التي سطرته حوادث الأيام جرحاً نازفاً في قلب شاعرنا. لذا فقد كان شعره مرآة تعكس حياته النفسية، ويصور مشاهداته وآرائه⁽³⁾، ويقول:

أسلمني الدهرُ للرزايا

وغيرَ الحادثاتِ قَفْشِي

وكنْتُ أَمْشِي وَلَسْتُ أَعْيَا

فَصِرْتُ أَعْيَا وَلَسْتُ أَمْشِي⁽⁴⁾

كَأَنْنِي إِذْ كَبِرْتُ نَسْرُ

يُطْعِمُهُ فَرَحُهُ بَعْشُ

(البسيط)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 97 - 102.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 33.

(3) أنظر: أبو الخشب، إبراهيم: تاريخ الأدب الأندلسي، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1959، ص 287.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 287.

فالشاعر في هذه الأبيات يفكر في الوطن القريب البعيد على الرغم من أن الهرم قد أخذ عليه عمره وشبابه، فتركه نهياً لحوادث الأيام.

كما ذكرنا سابقاً أن الحياة التي عاشها ابن حمديس في صقلية كانت قصيرة ومع ذلك فإن صقلية بقيت شمساً لا تغيب عن عيون الشاعر وقلبه، فلم تفارق صقلية ذهن الشاعر ولا خياله، وهذا ما يعرضه شعره ويظهره في أغراضه كلها. فتراها في غزله، وتراها في وصفه، ولم تخلُ منها خمرياته، حتى مدائحه نالها من الحب جانب، وبذا فإن صقلية كانت العقد الذي انتظمت بها اللآلئ شوقاً ووفاء وإخلاصاً⁽¹⁾.

فقد استطاع ابن حمديس أن يستحضر صقلية في صور شتى، فمرة يصورها في صباها وأخرى في لهوها وعتبها، فكانت عروساً مترفة متباهية بجمالها. فقد كانت مليئة بحانات الخمر التي يعمرها عشاقها من الغلمان والجواري والسقاة ليندوقوا صفوا الحياة ولذة العيش، لا يعرفون من الحياة غير الأفراح، ولا يعمر قلوبهم إلا السعادة كما هي حال شاعرنا يقول:

بلدٌ أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
وكان هاتيك الشقائق قهوةً وكان ساحات الديار كؤوس⁽²⁾

(الكامل)

ويصف ابن حمديس ترسله إلى الحانات ومنادمته لمن يعمرن لياليها من الجواري والفتيان، ويصف إعجابه وافتتانه بها فيقول:

وتزحمني كل فتانة بتفاحة غلفتها بطيب
ويطلقني من عقال العناق صباح ينبه عين الرقيب⁽³⁾
وفي كبدي جرح لحظ عليل وفي عضدي عض⁽⁴⁾ ثغر شبيب

(المتقارب)

(1) أنظر: المدني، احمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1960، ص 217.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 253.

(3) المصدر نفسه: ص 12.

(4) المصدر نفسه: ص 12.

أما عن الخمرة التي كانت معلماً بارزاً في حياة شاعر صقلية. حيث لا يشغله إلا شربها واغتنام المذاقات بصحبة السمّار. الذين لا يفكرون بغير اللذة واللّهو وقرع الكؤوس إعلماً بأن صفو الحياة قد نشر ظلاله فوق رؤوسهم المترعة بعناق الراح، فهو يقول:

طربتُ متى كنتُ غيرَ الطروبِ فلم أعرِ طرفَ الصّبَا من ركوبِ
فيوماً إلى سببي زقّ روى ويوماً إلى صيد ظبّي ربيبِ
ومهما كبا بي فمن نشوة يوافقها بين كأس وكوبِ
ليالي بين المها غيرّة عليّ تخوضُ بها في حرُوبِ⁽¹⁾

(المقارب)

هذه حياة ابن حمديس في صقلية تملؤها الراح العابقة بطيب لثات الجوّاري والقيان. وفي هذه الفترة من حياته لم يكن يؤمن بشيء إلا اللذة والمتعة واللّهو، حيث أصبحت اللذة بالنسبة له عماد حياة، لا يعتنق غيرها مذهباً، بل هي محراب لا يحلو التعبد إلا في باحته، ولا يرضى بغيرها بديلاً استمع إليه يقول:

وما العيشُ إلا في تطرفِ لذة وخلعِ عذارٍ فيه مُستَحسِنُ العذرِ⁽²⁾

(الطويل)

وفجأة وبعد أن كان شاعرنا غارقاً في لهوه ومذاقاته، دقت عقارب الزمن، وانتفض الحزن من سباته الطويل، لتطل شمس التشرد على عتبات الشروق، فقد كان القدر بالمرصاد، فيأبى على ابن حمديس إلا ان يتيه في بحور الخوف والفتنة التي كانت إعصاراً مزق أشرعة السرور، وريحاً اقتلعت منابر الصفاء، وحنظلاً ملأت أقداح الليل. وسماً عاث في جسد الحبيبية حتى أعيأ كل طبيب وجرع الحيرة لكل حلّيم. وما إن أفاق شاعرنا من سكرة حلمه الجميل حتى وجد نفسه يصرخ بالوطن يا وجع الوريد، فقد تقاذفته أمواج الفتنة حتى رمته بعيداً عن الأم الحبيبية. بعيداً عن الوطن المجيد، عن جنة الخلد التي يريد. عندها غابت عن ناظريه ضحكة الأيام، وبرزت أنياب الوعيد. فتغيرت صورة الحياة في عيون ابن حمديس. فقد ولى عهد الراح وانقضى زمن اللذة وتكسرت الكؤوس لتصبح أشتاتاً، وكأنها كانت سرايا، ليظل الحزن من نافذة الصمت،

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 12.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 193.

وتجهض الوحدة أحلام السمّار، وتثمر شجرة الحياة تبرماً، فيحمل الشاعر بين دفتي صدره آلام الاغتراب وتشريد الأيام، ويتقل كاهله نأيه عن الوطن الذي حمله في قلبه حيثما رحل، وأينما حل، لتصبح المأساة إلهاماً جديداً يرفد شاعراً بالشجن الحزين وينجب في رحم القوافي وطناً سليباً ويدفن في رحم الأيام عتاق آمال الخلود⁽¹⁾.

لقد كان لهذه الفتنة أثر كبير في تغيير حياة الشاعر ونفسيته، مما انعكس على شعره، فتغيرت وجهته، وخرج به عن سابق عهده، يفتح أمام ناظرية آفاقاً نزلت به من على أجنحة الخيال لتخط في حقول الواقع، التي غرست تربتها ببذور الحزن والألم والفجيعة.

إن ابتعاد الشاعر عن وطنه أذكى في نفسه شعلة الحنين إلى الوطن، فأنسابت القوافي على لسانه بصورة لم يعرفها الشعر العربي قديماً، شعر يتفجر حنيئاً وحباً وشوقاً، ترسمه آهات الفجيعة وتتسج خيوط الحزن موشى بصدق الأحاسيس ونبل المشاعر، فكان أبلغ ما قيل في الحنين على مرّ العصور، واجمل ما عبرت قريحة الشعراء، تدفعه عاطفة جياشة تفجرها حرقه النوى، فهو صادر عن نفس معذبة ذاقت من الغربة ألوان البلاء، وعن قلب كبّلته قيود الحزن فقاى الشقاء والهوان والأسى على صقلية الحبيبة التي يسكنها الأحباب، وترحل إليها القلوب في كل حين. إلا أنها تغربت دون رحيل، وتجشمت عناء الفراق بعد أن فرّ النزيل⁽²⁾.

لقد انجبت الفتنة الغربة في نفس الشاعر منذ اللحظة الأولى التي فارق فيها صقلية، فقد نعقت الغربان في تلك اللحظة منذرة بالفراق الأبدي الذي ظنه الشاعر لن يطول، إلا أن الأيام قد أقسمت فراقاً أبدياً دون بديل يقول ابن حمديس واصفاً هذه المعاني التي يتحاشى ذكرها أملاً في لقاء جديد:

وقالت غرابيبُ دَرَجْنَ ببيته
فما كان إلا ما قضى بألها به
سيستدرجُ الأعوام وهو غريبُ
فهل كان عنها الغيبُ ليسَ يغيبُ؟⁽³⁾

(الطويل)

(1) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 387.

(2) أنظر: ريزتانو، امبرتور: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الاردنية، 1965، ص 102.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 38 – 39

إن ذكر الشاعر الغراب يدل بشكل صريح على مدى الشؤم والحزن الذي يعيشه الشاعر. نعم إن صورة الغراب بقيت طيفاً لا يراوح خيال الشاعر، بل كانت شبحاً يلزم الشاعر كما هو ظله في غربته الطويلة، ويشير إلى ذلك في فيقول:

أنا مَنْ صاحَ به يومَ النوى
طفْتُ في الآفاقِ حتى اكنهلتُ
عن مغانيه غرابُ فاعترَب
غرْبتي واحتكت سنّ الأدب⁽¹⁾

(الرمْل)

وفي ظل هذه الغربة المشؤومة ظل ابن حمديسَ نهياً للهجرة والتنقل بعيداً عن أهله ووطنه، لذا فقد كانت حياته مأساة تثير الشفقة والحزن في النفس، وقد عبر ابن حمديس عن ذلك قائلاً:

إني امرؤٌ مما طُرقتُ مهيدٌ
بفراقِ أهلي وانتزاحِ بلادي⁽²⁾

(الكامل)

حتى ضاقت به الدنيا، واستنزفت الأحزان صبره وآلامه وعزلت الشاعر عما حوله. فعاش وحيداً، سماؤه اللوعة والفراق وأرضه الأحزان والتشرد، فما هو يصرخ ملتمساً متألماً:

مالي أطيلُ عن الديارِ تغرباً
أفبالتغربِ كان طالعُ مولدي⁽³⁾

(البسيط)

وعندما استنفذ كل أمل في العودة، اشتعلت في نفسه جذوة الشوق، وتعالى صيحات الحنين إلى الوطن السليب، فيرفع صوته إلى السماء صارخاً ومناجياً يقول:

فياربِّ إنَّ البينَ أضحتْ صرُوفُهُ
على قُربِ عُدَّالي وبعْدِ حبابي
عليّ وما لي من معينٍ فكنْ معي
وأموَاهِ أجفاني، ونيرانِ أضلعي⁽⁴⁾ (الطويل)

ولم تقف حدود المأساة عند التغرب والبعد عن الوطن، بل إن الشاعر يعيش غربة الوطن وغربة البشر الذين عايشهم في غربته، فقد كان يشعر بالامتهان والضعف لأن الناس في مجتمع

(1) ابن حمديس عبد الجبار، الديوان: ص 49.

(2) المصدر نفسه: ص 121

(3) المصدر نفسه: ص 168

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 304.

الغربة لا يقدرّون الغرباء، لذا فإن ابن حمديس كان يبحث في خفايا النفس عما يقابل به هذه الأحاسيس، فأخذ يفخر بنفسه، ويشيد بمكانته بين أبناء وطنه وأهله، فيقول:

وكنا في مواطننا كراماً
ونطلع في مطالعنا نجوماً
صبرنا للخطوب على صُروفٍ
ولم تسلّم لنا إلا نفوسٌ
ولم تخل الكواكب من سقوطٍ
يعاف الضيم أنفسنا وتأبى
تعد لكل شيطان شهاباً
إذا رمي الوليدُ بهن شاباً
وأحسابٌ نُكرّمها أحساباً
ولكن لا يُبلّغها التراباً⁽¹⁾

(الوافر)

فلذا لم يستطع شاعرنا أن يتعايش مع المجتمع الذي هاجر إليه إلا أنه كان مرغماً على ذلك، فأقام منه كارها له ساخطا عليه، يطوي في أحشائه الألم والمرارة واللوعة، ويعاتب الدهر على فعله هذا كله، فرآه دهرًا جائراً أخرجته من الجنة والنعيم، والدعة ولذة العيش، وألقى به في غياهب مظلمة احتوتها قسوة الحياة في بلاد قاحلة وخيمة المرعى، آسنة الماء، ملاً الجفاف حياتها، ويجسد ابن حمديس ذلك في قوله:

طال التغرّب في بلادٍ خُصّصتْ
فطويتُ أحشائي على الألم الذي
إنّ الخطوبَ طرقتني في جنة
بوخامة المرعى وطرق المشرب
لم يشفه إلا وجود المذهب
أخرجتني منها خروج المذنب⁽²⁾

(الكامل)

إذن فصورة الوطن السليب، الوطن القريب البعيد، ماثلة في ذهن الشاعر ولا تفارق خياله. بل كانت إلهاماً له دائماً ونبعاً يتفجر شوقاً وحنيناً ينساب من على لسان الشاعر في كل زمان ومكان، ليشعل في قلبه شمعة أمل اللقاء والعودة، ولو كان ذلك وقتاً قصيراً وعندما يضمن عليه اللقاء تراه يقول:

بالله يا سمّراتِ الحيّ هل هجعتُ
وهل يراجع وكرّاً فيك مُغترّبٌ
ففيك قلبي ولو أستطيع منّ وله
في ظلّ أغصانك الغزلانُ عن سهري
عزّت جناحيه أشراكٌ من القدرِ
طارَتْ إليك بجسمي لمحّة البصرِ⁽³⁾

(الخفيف)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 16.

(2) المصدر نفسه: ص 538.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 206.

قاموس الألفاظ الطبيعية عند ابن حمديس وغنى دلالاتها

لقد تأثر شعراء الأندلس عامة بما حوته بيئتهم من مظاهر الطبيعة. فقد حبا الله الأندلس طبيعة فاتنة، يجعلها الأجمل منظراً في بقاع المسلمين كلها. حيث فيها شاهقات الجبال الخضراء، وفسيح السهول الممتدة الوارفة الظلال. وقد انسابت بها الأنهار وسالت الجداول هنا وهناك، وفيها الطيور تتغنى وتتناغى على الأغصان المتراقصة في عنان السماء. أما الماشية والأنعام فقد أخذت مراعيها كما أخذ الوشم مكانه في ظاهر اليد. وفيها عشاقها يسرحون لاهين عاملين فرحين بحقولها الخضراء ونسائمها العليلة وجوها الآخاذ، وبساتينها التي كساها الربيع أثواباً مزياً فتهللت إشراقاً، وتبسمت تيتها وجمالاً، فقد أخذ بسحر جمالها كل من حلها.

لقد أفاض المقرئ في وصف طبيعة الأندلس التي أفتتن أهلها وزوارها بسحرها وفتنتها الخلابة وجنانها البهيجة، وانتهى في حديثه إلى القول وكأنه به تسمّر لسانه وعجزت كلماته عن الوصف: "محاسن الأندلس لا تستوفي بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غبارها⁽¹⁾."

لذا كله فقد استهوت الأندلس ساكنيها، فشغفت قلوبهم وهامت بها نفوسهم. ووقعت منهم في قلوبهم فتعالت صيحات عشقهم. وسرحت أنظارهم في خمائلها ليستمتعوا بمفاتها، ويشربون من راحها عشقاً وحباً حتى الثمالة. فقد أخذت على الشعراء قلوبهم وعقولهم فأجادوا فيها النظم وبرعوا في التصوير والوصف حتى جعلوا من الطبيعة بشراً يشكو ويتألم، يفرح ويسعد ويتغنى فشاطرتهم الهم، وشاركتهم الأفراح⁽²⁾.

لقد افتتن ابن حمديس بالطبيعة كغيره من الشعراء خاصة والناس عموماً، وهو ابن صقلية ابنة الأندلس كما وصفه المؤرخون، فقد وفد إلى الأندلس بعد رحيله عن صقلية ونزل في رحاب ابن عباد، حيث أقام في بلاط المعتمد فترة حكمه لإشبيلية، والتي تقدر بثلاثة عشر عاماً، مدحه خلالها بغير القصائد حتى استمال الأمير إلى جانبه، وقد جاء مدحه على نمطين: أولهما أن

(1) المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نفع الطيب في الغصن الرطيب، ج 2، ص 152.

(2) أنظر: عيسى، فوزي سعد، الشعر العربي في صقلية، ص 396.

يدخل في الموضوع مباشرة، والآخر يذكر فيه مقدمة طويلة يتحدث فيها عن الغزل والخمر والرحلة، والطبيعة وكأنه يريد أن يثبت للمعتمد قدرته الفائقة على نظم الشعر في مختلف المطالع وأنها كلها لديه سواء (1).

لقد أحب ابن حمديس العرب وبيئتهم في الأندلس وخاصة بعد رحيلة عن الوطن الأعجمي الذي نشأ فيه حيث تعرضت فيه العروبة للظلم والاضطهاد، وهذا سبب رحيله، ولذا فقد ازداد تعلق ابن حمديس بالعرب وبكل ما يتصل بهم، من بيئة وعادات وتقاليد، وألوان التفكير، فأكثر من مدحهم والفخر بهم ووصف حياتهم.

إن أول وصف لحياه العرب كان في تغنيه بالطبيعة البدوية، فقد وصفها وبالغ في وصفها، واقفاً على الأطلال محتدياً في ذلك معاني القدماء والمحدثين يقول في وصف الصحراء وأعرابها:

رعى ورقَ البيض الذي زهره دمُ	بهم ورقاً عن زهره الروضُ يبسمُ
جبارةً في الروعِ تعدو جياذهمُ	بهم فوق ما سحّ الوشيح المقومُ
تنوءُ بهم في ذبلِ الخط أنجمُ	سحائبها نَقَعُ، وامطارها دمُ
إذا ما استوى فعلُ المنايا وفعلهمُ	بأرواح أبطالِ الوغي فهمُ همُ
أعاريبُ ألقى في نتيجاتِ حيهمُ	لهم أعوجُ ما يوجفون وشدقُمُ
صحبتهمُ في موحش الأرضِ مقفرُ	به الذئبُ يعوي والعزلةُ تبغُمُ
سقى الله عينا عذبةَ الدمعِ أن بكت	حظراً بها للجسمِ قلبٌ متيمُ
بلاداً تلاقيني الدراري كَلَمَّا	طلعنَ عليها وهي عنهن نومُ (2)

(الطويل)

أما في تقليده للمحدثين وحذوه حذوهم في شعره، فهو يقلد أبا نواس الذي وصفه بالحكمي يقول:

خلعتُ على بُنياتِ الكرومِ	محاسن ما خلُغنَ على الرسومِ
أخذتُ بمذهبِ الحكمي فيها	وكيف أميلُ عن غرضِ الحكيمِ

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وآثرها في الشعر دار النهضة القاهرة، 1978، ص 78.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 412.

وما فضلُ الطلولِ على شَمُولِ

تَمَجُّجِ المسكِ في نفسِ الشَّمِيمِ⁽¹⁾

(الوافر)

إن ابن حمديس شاعر بارع في التقليد والإبداع معاً، وقد تجلّى إبداعه في شعره الذي جعل فيه الطبيعة روحاً نابضة بالحياة، وقلبا يغدق من دمه ليروي ظمأ الحنين، وشمساً تشع دفاء الشوق في العروق، وقمرأً ينيّر ظلمة الطريق كلما اشتدت المحنة وأنطفأت شموع الطريق.

إن نظرة شاملة في شعر ابن حمديس ترينا مدى سيطرة الطبيعة على شعره، وحضورها في معظم أغراض شعره، مدحاً ورتاءً ووصفاً وحديثاً عن الخمر واللهو والمجون تلك التي كانت نشأتها في أحضان الطبيعة أصلاً. فأغدق عليها ابن حمديس من فيض ألفاظه الجزلة وقوة عباراته ليرسم أجمل الصور وأبهاها منطلقاً من طبيعة مفعمة بكل أسباب الحياة⁽²⁾.

لذا فقد كان معجم ابن حمديس الطبيعي ثرياً وغنياً بألفاظ الطبيعة سواء كانت طبيعة صامته أو حية، فقد ناصفت الشاعر قصائده على السواء لترسم حضوراً يبعث الحياة في الصخر الأصم.

إن الطبيعة وألفاظها والحديث عنها كل ذلك جاء ممتزجاً في أغلب الأحيان بالفنون الأخرى من رتاء ومدح ووصف وحديث عن الخمر ومجالس اللهو والطرب، فهذا هو يذكر كثيراً من مظاهر الطبيعة التي تشاركه الحزن في رثائه لجاريته جوهره⁽³⁾.

أنظر إليه يقول:

ويا تَأَلَّفَ نَظْمِ الشَّمْلِ مَنْ نَشَرَكَ
فُضِيَ يَواقِيتِ دَمَعِي واحبسي دُرَكَ
إلا جِناحَ قُطَاةٍ في اعتقالِ شَرَكَ
طَواكِ عَن عَيني المَوجِ الذي نَشَرَكَ

أيا رِشاقةَ غُصْنِ البانِ ما هَصَرَكَ
ويا شَؤْونِي وشَأني كُلُّهُ حَزَنٌ
ما خَلتُ قَلْبِي وتَبرِحي يُقَلِّبُهُ
لاصبرِ عَنكَ وكِيفَ الصَبْرِ عَنكَ وَقَدُ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 435.

(2) انظر: الطبيعة في الشعر الأندلسي ص 36

(3) انظر: المصدر السابق ص 42

هَلَا وَرَوْضَةٌ ذَاكَ الْحَسَنِ نَاصِرَةٌ
أَمَاتِكَ الْبَحْرُ نُوَ التِّيَّارِ مِنْ حَسَدٍ

لَا تَلْحَظُ الْعَيْنُ فِيهَا ذَابِلًا زَهْرَكَ
لَمَّا دَرَى الدَّرَّ مِنْهُ حَاسِدًا تُغْرِكُ⁽¹⁾

(البسيط)

فهو يذكر بعض مظاهر الطبيعة في رثاء جاريته، فقد ذكر غصن البان وجناح القطاة، وروضة ذاك الحسن، والزهر الذابل ولحج البحر.

ويقول في رثاء زوجته ذاكراً بعض مظاهر الطبيعة:

إِذَا الْبَدْرُ يُطْوِي فِي رُبُوعِ الْبَلَى لِحْدَا
كَسُوفٌ وَهَدٌّ تَحْسَبُ الدَّهْرَ مِنْهُمَا

أَمِ الطَّوْدُ حَطَّوَا فِي ثَرَى الْقَبْرِ إِذْهُدَا
لَعَيْنٍ وَأَذْنٍ: ظَلْمَةٌ مُلَّتْ رَعْدًا⁽²⁾

(الطويل)

لقد اتخذ من مظاهر الطبيعة وسيلة للتعبير عما يجيش ب صدره من أحزان، فنذكر البدر المطوى، والرُبوع العالية والجبال المهدمه، والكسوف والظلمة والرعد.

أما القصور والبرك والنوافير وتمائيل الآساد والأطيّار فقد ضمنها ابن حمديس قصائد المديح يقول:

وَاعْمُرْ بِقَصْرِ الْمُلْكِ نَادِيكَ الَّذِي
قَصْرٌ لَوْ أَنْكَ قَدْ كَحَلَّتْ بِنُورِهِ

أُضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُورًا
أَعْمَى لَعَادَ إِلَى الْمَقَامِ بِصِيرًا⁽³⁾

(البسيط)

إلى أن يقول:

بِمَرْخَمِ السَّاحَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
وَمَحْصَبِ الدَّرِّ تَحْسَبُ تَرْبَهُ
يَسْتَخْلَفُ الْإِصْبَاحُ مِنْهُ إِذَا انْقَضَى
وَضِرَاعُكُمْ سَكَنْتَ عَرِينَ رِئَاسَةً
فَكَأَنَّمَا غَشَى النَّضَارُ جُسُومَهَا

فُرْشَ الْمَاهَا وَتَوَشَّحَ الْكَافُورَا
مَسْكَاً تَضَوَّعَ نَشْرَهُ وَعَبِيرَا
صَبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مَنِيرَا
تَرَكْتِ خَرِيرَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْرَا
وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِ الْبَلُورَا

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 212.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 163.

(3) المصدر نفسه: ص 545.

فكأنما سلَّتْ سيوفُ جداولٍ
وكأنما نسَجَ النسِيمُ لمائه
وبديعةِ الثمراتِ تعبرُ نحوها
شجريةٌ ذهبيةٌ نزعتُ إلى
قد صولجتُ أغصانها فكأنما
وكأنما تأبى لواقعِ طيرها
من كل واقعةٍ ترى منقارها

ذابتُ بلا نارٍ فعدنَ غديرا
درعاً فقدرَ سرَّردها تقديرا
عيناى بحر عجائبٍ مسجورا
سحرٍ يؤثرُ في النهى تأثيرا
فَنصتُ لهن من القضاءِ طيورا
أن تسنقلَ بنهضها وتطييرا
ماءً كسلسال اللجين تميرا

(البيسط)

لقد شمل وصف الطبيعة عند ابن حمديس الطبيعتين الصامتة كوصف الجبل والصحراء والرمال والصخر والقصور وما تبع ذلك من الجمادات، ثم الحيّة أو المتحركة وقد شملت هذه النبات، كوصف الربيع والرياح والإزدهار وما يتصل من وصف الخمر والنهر والغدير والأساطيل ثم وصف الأحياء، كالحيوان والطيور والحشرات، ثم وصف الظواهر الطبيعية سواء ما كان ظاهراً أو مخفياً، كوصف البرق والرعد والليل والنهار والنسيم والعواصف.

يقول ابن حمديس مازجاً بين وصف الطبيعة والتعبير عن بعض معاني الغزل.

وما روضةٌ حيّ ثرى اقحوانها
كأن صباهاً للعرانين فتقت
بأطيب من ريباً لماها لراشف
يضاحكها في الغيم سنّ من الضحّ
نداها بندٍ فهي طيبةُ النفح
إذا انتبهت في الشرقِ ناظرةُ الصبح⁽¹⁾

(الطويل)

فهو يسخر الطبيعة في خدمة غزله، حتى يرسم لوحة غزلية جميلة إلهامها الطبيعة ومخرجها ابن حمديس.

وقد يكون وصف الطبيعة وذكرها متمماً لوصف مجلس الشراب والسمر كما في قوله:

عللّ النفسَ بريحانٍ وراح
وأدرُ حمراءَ يسري لطفاً
في حديقِ عرس الغيثُ به
وأطع ساقِيها واعص اللّواح
سُكرها من شمها كلّ صاح
عَبَقَ الأرواحِ مَوْشِي البطاح

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 545 - 548.

أَرْضَعِ الْغَيْمَ لَبَانًا بَاتَهُ
 كلُّ غُصْنٍ تَعْتَرِي أَعْطَافَهُ
 فَكأنَّ التُّرْبَ مَسْكُ أَذْفَرٍ
 وكأنَّ الرُّوضُ رُشَّتْ زَهْرُهُ
 فَتَرَبَّتْ فِيهِ قَامَاتُ الْمَلَحِ
 رِعْدَةٌ النَّشْوَانُ مِنْ كَأْسِ اصْطَبَاحِ
 وَكأنَّ الطَّلَّ كَافُورُ رَبَاحِ
 بِمِيَاهِ الْوَرْدِ أَقْوَاهُ الرِّيحِ⁽¹⁾

(الرملة)

طريقة ابن حمديس في توليد الألفاظ الطبيعية وتجديدها

احتل ابن حمديس مكانة مرموقة يرنو إليها كلُّ شاعر مجيد بين أقرانه من الشعراء عموماً وخاصة شعراء الوصف فقد برع ابن حمديس في الوصف، يقول "أمبرتو ريزيتانو أنه كان جديراً بأن يحمل لواء الزعامة بين شعراء هذا الفن"⁽²⁾. فقد أمدته الطبيعة الصقلية بكل ما يحتاجه من مادة طبيعية تستحق الوصف، وأخيلة كثيرة، شكلت أمام الشاعر فضاء رحباً، كما شحذت لسانه بما لذ وطاب من الكلام حتى استحوذت عليه فملكته قلبه ولسانه، فمدح واصفاً وتغنى طرباً، ولم يترك شيئاً في الطبيعة يستحق عناء الوصف إلا نظم فيه المنثور محمولاً على أجود البحور.

لقد شغلت الموصوفات عقل الشاعر بكل ما فيها من إجمال أو تفصيل. فلا يتردد في وصف عام أو في وصف خاص ودقيق، فاهتم بوصف الدقائق والجزئيات. فأطال وأجاد وتأنى وتمهل وتأنق وتجمل، فحمل وتحمل، يقول واصفاً الزرافة:

ودائمة الإقعاء في أصل خلقها
 تَلَقَّتْ أحياناً بعين كحيلة
 وعرف دقيق الشعر تحسب نبتة
 تنفس كبراً من يراع مثقب
 وتنغص رأساً في الزمام كأنما
 إذا قابلت أديارها عين مقبل
 وجيد على طول اللواء مظل
 إذا الريح هزته ذوائب سنبل
 فتعطي جنوباً منه عن أخذ شمال
 تريك له في الجو نفضه أجل⁽³⁾

(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان ص 78.

(2) ريزيتانو، أمبرتو: تاريخ الأدب العربي في صقلية، ص 5.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

ففي هذه الأبيات يصف الزرافة بكل ما فيها وكأنها فتاة جميلة فارعة الطول، مديدة الجيد، إذا مشت تمايلت وكأنها ترقص غانية، كحيلّة العينين ناعمة الذوائب لذا فإنّ الرياح تداعب شعرها فتجعله يتغنى مع حركتها.

يمتلك ابن حمديس براعة بالوصف قلّ نظيرها عند غيره من الشعراء حتى شعراء الوصف. وله استحضار عجيب لصور الأشياء والتشبيهات، والأخيلة. ويحسن الجمع بين الأشياء والتنسيق بينها بدقة بالغة، وكأنها أشياء مبعثرة تحتاج إلى لمسة يديه ليعيد ترتيبها وألقها إليها، فهو يغوص في اللغة باحثاً عن المعاني الخفية، فيخرجها من مكنها ليضعها موضعها. فوصفه يجعل الموصوفات بين يديك قائمة تتحسسها، وتراها بأمر عينيك على الرغم من أنك لم ترها، فتحس ما يقول وتشاهد ما يصف، وهذا نابع عن شعور قوي وبصيرة نافذة، وإحساس مرهف، لذا فإنّ أثواب معانيه جديدة مبتكرة. مجسدة للواقع لتصفه وصفاً حقيقياً بعيداً عن الخيال⁽¹⁾. انظر إليه يصف خسوف القمر فيقول:

صدّتُ وبدرُ التّم مكسوفٌ به	فحسبتُ أنّ كسوفَهُ من صدّها
والبدر قد ذهب الخسوفُ بنوره	في ليلةٍ حسّرتُ أو أخرجتُ مدّها
فكأنه مرآة قينٍ أحميتُ	فمشى أحرارَ النارِ في مُسودّها ⁽²⁾

(الكامل)

وقال ايضا يصف الرواقص:

ومن راقصاتٍ ساحباتٍ ذيولها	شواد، بمسكٍ في العبير تَضَمَّخُ
كما جرّرتُ أديالها في هديلها	حمامٌ أَيْكٍ أو طَواويس تَبْدُخُ ⁽³⁾ (الطويل)

فالشاعر ينتزع من الحمام حركة ذيله وكذا من الطواويس ليلصقها بأثواب الراقصات اللائحي يتميلن فرحاً وتدللاً، وهاهو قد ملأ عطرهن المكان كما فاح عبير الزهور.

(1) انظر: ضيف، احمد: بلاغة العرب في الأندلس. ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1998، ص 140-

141

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 143.

(3) المصدر نفسه: ص 112.

وها هو ذا يصف صراعه مع الحياة بأنه مستمر، وكأنها معركة حقيقية تدور بين عدوين لدودين. فيصور دفاعه عن نفسه إلا أنه لا يستطيع أن ينتصر على الزمن، وليس بمقدوره أن ينجو من هلكته وفتكه يقول(1):

دَفَعْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دِفَاعَ مُلِمِّهِ
وَجَيْشِ خُطُوبِ زَاحِمِ كُلِّ سَاعَةٍ
فَإِنْ تَنَجَّ نَفْسِي مِنْ كُلِّ مِ سَلَا حِهِ
إِلَى زَمَنْ فِي كُلِّ حِينٍ أَعَارِكِهِ
فَمَا أَنْفُسُ الْأَحْيَاءِ إِلَّا هَوَالِكُهُ
فَإِنَّ بَرَأْسِي مَا أَثَارَتْ سَنَا بِكِهِ

(الطويل)

إن الوصف فن أصيل عند شعراء الأندلس عموماً وعند ابن حمديس على وجه الخصوص، وقد اعتمد وصفة إضافة إلى الطبيعة على الخمریات من المدائح والغزل التي كانت روافد لشعر الوصف، وكثيراً ما كان الشاعر يقف فيها وقفة قد تقصر وقد تطول أمام مشهد أو منظر معين ليرسمه لنا ويحدد معالمه.

فقد كان يستطرد كثيراً إلى الوصف، خاصة عندما يتحدث عن شجاعة الممدوح يصف سيفه ودرعه، وقد يصف أسطوله ويفيض في وصفه وقد كانت موصوفات ابن حمديس كثيرة ومتنوعة، ونستطيع أن نفصل فيها الحديث على شكل يوضحها ويجلي مضامينها لتظهر براعة الشاعر وقدرته على توظيف الطبيعة بشكل قد يجعل منها إنساناً عطوفاً يشارك الشاعر أحاسيسه ومشاعره.

جاء وصف الطبيعة عند ابن حمديس مشتملاً على كل موجوداتها من وصف القمر والقلم والسيف ومجرة البخور والقصور ووصف الرياض والنباتات والأزهار كوصف الروضة والنيلوفر وشقائق النعمان، كما ذكر المياه ممثلة بالأنهار والبحار والبرك ووصف الحيوانات والطيور والحشرات كوصف الناقة والفرس والزرافة والصقر والحمام والكلب والذئب وغيرها.

وقد تعددت أساليب ابن حمديس في وصف هذه الطبيعة كغيره من الشعراء. ويعود هذا إلى الخبرة التي يتميز به الشاعر تلك الخبرة التي نجمت عن تجاربه المختلفة من صقلية إلى

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 340.

الأندلس كما كان لموهبته دور كبير في إبراز الصورة بشكل مبدع وخلاق قلّ نظيره عند غيره من الشعراء.

المذاهب والاتجاهات التي اعتمدها ابن حمديس في الوصف هي (1):

أولاً:

الوصف الواقعي الدقيق: وفيه يعرض الشاعر الواقع كما هو دون اللجوء إلى التهويل أو التتميق أو التزويق، وفيه يظهر الشاعر مواطن الروعة والجمال مجسدة كما هي على واقعها ومن ذلك وصف الشاعر لشمعة تحترق يقول:

قناة من الشَّمْعِ مَرْكُوزَةٌ	لها حَرَبَةٌ طُبِعَتْ من لَهَبِ
تُحَرِّقُ بالنَّارِ أَحْشَاءَهَا	فَتُدْمَعُ مَقْلَتُهَا بالذَّهَبِ
تَمْشِي لَنَا نُورُهَا فِي الدَّجَى	كَمَا يَتَمَشَّى الرِّضَى فِي الغَضَبِ
عَجِبْتُ لِأَكْلَةِ جِسْمِهَا	بِرُوحِ تَشَارِكِهَا فِي العَطَبِ (2)

(المقارِب)

فابن حمديس في هذه الأبيات يصف احتراق الشمعة التي تضحى بجسدها مقابل أن تضياء ما حولها من ظلمة، وكأنه يرسم صورة لنفسه ليجسد حياته المتعبة

ثانياً:

الوصف الذي عني به ابن حمديس بمواطن الفتنة، لتنتفح قريحته على الروعة والجمال معتمداً في عرضه لها على المبالغة والتزويق لينقل صورة أجمل مما هي عليه في الواقع يقول في وصفه للأسد:

هزبرُ له في فيه نارٌ وشَفْرَةٌ	فما يشْتوي لحمَ القَتيلِ على جِمرِ
سراجاه عيناه إذا أظلم الدَّجَى	فإن باتَ يسري باتتِ الوحشِ لا تسري
له جبهةٌ مثل المجنِّ ومعطسٌ	كأن على أرجائه صبغةُ الحبرِ

(1) شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 57.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 24.

يصلصلُ رعدٌ من عظيم زئيره

ويلمع برقٌ من حماليقه الحمر⁽¹⁾

(الطويل)

ففي هذه الأبيات يطلعنا ابن حمديس على قوة الأسد الذي إذا ما أخذ يبحث عن طعامه حتى اختفى كل شيء من أمامه، حتى الوحوش لا تعود تخرج من أماكنها.

ثالثاً:

الوصف الذي يحمل أحاسيس الشاعر نحو المنظر نفسه، ويعنى الشاعر بالتعبير عن انفعالاته وإبراز أحاسيسه نحو الموصوف فقط. ويبين الشاعر أثر الموصوف في نفسه، وقدرته على استنارته، يقول في وصف البحر:

وأخضر حصَلتْ به نفسي ونَجَتْ
رغا وأزبدٌ والنكباءُ تُغضبُهُ
وما تفارقُ منه روعةٌ رُوعي
كما تعبَّتْ شيطانٌ بمصروع⁽²⁾

(البسيط)

رابعاً:

الوصف الذي يخرج به الشاعر عن المنظر نفسه إلى الحديث عن الإشعاعات والهالة المحيطة به والملاحم التي تتعلق بصور أخرى، حسية كانت أو معنوية، لها اتصال مباشر بالموصوف، ومن ذلك انتقاله من وصف البحر إلى الحديث عن صقلية الغائبة الحاضرة في عقله وقلبه. فكلما وقف الشاعر أمام البحر أو رنت نفسه إليه اشترأت إلى الوطن السليب، فجاء حديثه رائعاً فيه الطرافة والبراعة ودقة الوصف، يقول:

وراءك يا بحرٌ لي جنَّةٌ
إذا أنا حاولت منها صباحاً
لبستُ النعيم بها لا الشقاء
تعرضت من دونها لي مساء
فلو أنني كنتُ أعطي المنى
رَكِبْتُ الهلالَ به زورقاً
إلى أن أعانقَ فيها ذكاء⁽³⁾

(المتقارب)

(1) ابن حمديس، عبدالجبار، الديوان: ص 549 - 550.

(2) المصدر نفسه: ص 311.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

ففي هذه الأبيات جعل الشاعر من البحر عماداً له يطل من على سطح مائه وأمواجه على الوطن الحبيب، ولو أن البحر ضن عليه برؤية وطنه لجعل القمر زورقا يوصله الى ذاك الوطن.

وقد برع شاعرنا في التصوير والوصف متمثلاً معاني القدماء وأشعارهم، ومعتماً على تميزه في قدرته على التوليد والابتكار، فقد كان يغوص على المعاني غوصاً عميقاً يجعله قادراً على التحويل والتغيير فيه وتوليد صور جديدة، لم يسبق اليها غيره. اضافة الى قدرته العجيبة في التصرف في التشبيهات والاستعارات للبحث عن كل ما هو مبتكر او طريف⁽²⁾ وقد اشار الى ذلك صاحب الذخيرة، حيث يقول انه شاعر ماهر يقرطس اغراض المعاني البديعة، ويعبر عنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة، ويتصرف في التشبيه، ويغوص في بحر الكلام على در المعنى الغريب⁽¹⁾

(1) الشنتري، ابو الحسن علي ابن بسام: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق الدكتور احسان عباس، ج 2، 1965، ص 115.

الفصل الثاني

ألفاظ الطبيعة الصامتة

ألفاظ الطبيعة الصامتة في شعر ابن حمديس

لقد استحوذت الطبيعة على كيان ابن حمديس، فقد كانت تحيطه كغيره من الشعراء من كل جانب برياضها الغناء ومناظرها الآسرة، فكثيراً ما تقع عيناه على البهجة والتناسق، وتطالعه الخضرة والمياه العذبة، كما كان يعطره أريج الأزهار والورود، تتلمه نسيمات الحقول والمروج، لذا فقد رأينا الطبيعة حاضرة في مدحه وراثته، وفي خمرياته كما كانت تطل في غزله، كانت تطل في وجدانياته، ومن هنا فقد أكثر من الحديث والوصف عن الرياض، والبساتين والأشجار، كما أبدع في وصف الأنهار، والسماء والأمطار والبرك والبحيرات، قد تفنن في وصفها عامة، ووصف جزئياتها خاصة، فلم يترك شيئاً منها استماله إلا نظم في وصفه. ولم يترك شيئاً له أثر في النفس أو إثارة في الوجدان أو روعة في الجمال، إلا أبحر في وصفه، وأعمل فيه خياله وفكره.

وسنأتي تالياً على موصوفات ابن حمديس من الطبيعة الصامتة، ذكراً وتجليه. وطرقاً لقيمتها الدلالية والفنية والجمالية والنفسية عند ابن حمديس الذي لم تستطع نوائب الأيام ولا معضلاتها أن تفتت في عضد قدرته، أو أن تكبح جماح مشاعره الفياضة، أو أن تحد من قدرته على العطاء والإبداع.

أما موصوفات ابن حمديس من الطبيعة الصامتة فقد كانت كثيرة، فاستتطقت إلهامه ومشاعره أعواماً دون أن يملّها أو يضجر من الحديث عنها، بل كان يزداد شغفاً بها يوماً بعد يوم، فقد ذكر الماء كثيراً وأغدق عليه الحياة والسكون فذكره عند العطش، وعند الاستمتاع بجمال الطبيعة جارياً في الأنهار والجداول والبحار، وساكناً في البرك متلألئاً فيها، وذكره غيثاً تفيض به السماء فيروي عطش الأرض.

كما وصف ابن حمديس الأشجار والحقول والرياض، وما فيها من زهور وورود وثمار وأغصان تتغنى فتنه وجمالاً، ووصف الظواهر الجوية المختلفة، كالليل والنهار والليل والصبح. والمساء، وذكر البرق والرعد والنجوم والأمطار وذكر الفصول، الصيف والخريف والشتاء والربيع. كما ذكر السهول والجبال والصحراء والهضاب الأودية، فلم يترك ابن حمديس عن

شيء في الطبيعة إلا ذكره وتغنى به وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل، وأول ما سنبداً الحديث عنه هو الماء.

ألفاظ الماء

لقد جاء ذكر المياه عند ابن حمديس ممتزجاً مع مشاعره في معظم قصائده، وقد لا نبالغ إن قلنا إن ذكر الماء أو ما يدل عليه كان في كل صفحة من صفحات ديوانه، سواء أكانت القصيدة في الطبيعة أو في المدح أو الرثاء (الذي كان لذكر الماء فيه قصة بل قصص مع ابن حمديس) أو في الغزل أو غير من الأغراض الشعرية.

إن ألفاظ الماء في ديوان ابن حمديس كثيرة جداً، وقد جاءت تحمل دلالات كثيرة ومتعددة أيضاً. ففيها ما جاء ليبدل على الحياة والروعة والجمال والبهاء، وفيها ما جاء ليبدل على الموت والصمت والخشوع. وفيها ما جاء ليبدل على الثورة والأنفة والشموخ والكبرياء وفيها أيضاً ما يدل على الحزن والخوف. فصور الماء في الديوان كثيرة ودلالاتها أكثر جمالاً وروعة من ذكرها.

لقد جمع ابن حمديس في استخدامه للماء وألفاظه بين الاستخدامين المجازي والحقيقي. كما أن الماء وألفاظه حملاً المعاني والدلالات الإيجابية للشاعر تارة وحملاً الدلالات السلبية التي كانت تثير حزن الشاعر وألمه تارة أخرى.

إن ذكر الماء والبحر والخمر الممزوج بالماء كلها مثيرات للسرور فذكرها مدعاة للارتياح وراحة النفس، لأنها تحقق الهدوء وشيئاً من الطمأنينة عند رؤيتها بالنسبة لأي شخص، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه، لكن أن يكون ذكر هذه الأشياء مثيراً للحزن والخوف والقلق فهذا يستدعي منا أن نبحث مثيرات أخرى غيرها تجلب لنا الهدوء والسعادة الراحة. وبالتالي إذا لم تستطع مثل هذه الموجودات الطبيعية أن تحقق لنا الراحة، فقد تكون المثيرات الصناعية

ممزوجة بالمشيرات الطبيعية أكثر جدوى في تحقيق ما تصبو إليه من راحة وسعادة. أو أن تكون المشيرات الصناعية وحدها كافية لتحقيق ذلك⁽¹⁾

فهذا ابن حمديس ينظر إلى الشقائق متأملاً، وعندما رأى الندى يتساقط بين أوراقها يقول.

نظرتُ إلى حسنِ الرياضِ وغيَمُها	جرى دَمْعُهُ منهنَّ في أعينِ الزَّهرِ
فلم ترَ عينيَ بينها كشَّقائِقِ	تبلُّبُها الأرواحُ في القصبِ الخضرِ
كما مشطتْ غيدُ القيانِ شعورها	وقامت لرقصٍ في غلائلها الحمرِ ⁽²⁾

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات يشبه زهرات الشقائق لحظة سقوط الماء عليها بالقيان اللائي يمشطن شعورهن، ثم يرقصن في غلائل حمراء. كما يصور الندى الذي يجري على الأوراق بالدموع التي تجري على الخد. وبهذا فإن الشاعر يرى أن هذا الماء الذي يجري على الأوراق إنما يثير في نفسه الحزن والألم لذا قال: جرى دمعته ولم يقل جرى طله. وهذه صورة لم يعتد عليها الشعراء من قبل لأن الأزهار والورود مع إصابة الندى لأوراقها إنما هذه منظر تثير الأمل بالنفس ويشعر بالطمأنينة والسرور، لا بالحزن والألم والدموع أما عن افتتان ابن حمديس بالأنهار ومائها نرى ذلك في وصفه لنهر جار اجتمعت فيه كل أسباب الجمال يقول:

ولا بس نَقَبَ الأعراضِ جوهره	له أنسابُ حبابِ رَقْشُهُ الحَبَبِ
إذا الصَّبَا زلقت فيه سَنابِكُها	حسبته مُنْصَلًّا في متنه شُطْبِ
وردته ونجوم الليل ماثلة	كما تدحرج دُرُّ ماله ثَقَبِ
ومغرب طعنته غير نايبة	أسنة هي أن حققها شهب
ومشرق كيمياء الشمس في يده	ففضة الماء من إقائِها ذهب ⁽³⁾

(البيسط)

فالشاعر في هذه الأبيات يصف النهر الذي علت مياهه فقاعات الهواء، وما صنعتها الريح على ضفتيه من تموج، كما ذكر النجوم التي انعكست على صفحات الماء الجاري، وينقل

(1) انظر: شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعرا، ص 161.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 192.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 25.

الشاعر كذلك مشهدي الغروب والشروق لهذا النهر، فقد أعمدت الشمس فيه أشعتها وكأنها رماح، فتراءى الماء كأنه ذهب سائل، وهنا استطاع الشاعر أن يولد دلالة جديدة للماء الذي أصابته أشعة الشمس، فشبه الأشعة بالرماح التي ترسل لتصيب الأعداء.

لقد ابدع ابن حمديس في حديثه عن الماء ذكراً ووصفاً، حيث جاء بالصور الجميلة المبتكرة. ممزوجة بخيال بارع وقدرة عجيبة على الاستحضار والتشبيه يقول في وصف انسياب الماء.

تَجُوزُ لَهُ الْأَمْوَاهُ بِرِكَةٍ جَدُولٍ تَخَالُ الصَّبَا مِنْهُ مُشْطَبَةً نَصِلاً
إِذَا اتَّخَذَتْهَا الشَّمْسُ مِرَاةً وَجْهَهَا أَحَالَتْ عَلَيْهَا مِنْ مَدَاوِسِهَا صَقْلًا
تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لَيْقَةً تَسْتَمِدُّهَا أَكْفٌ أَقَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شَكْلًا⁽¹⁾

(الطويل)

فالشاعر ينقل صورة الماء في البركة بدقة بارعة وعناية بالغة في بيان حركة الماء وانعكاس الشمس ونورها فيه، وكأن الماء مرآة تنزّين الشمس عليها.

ومن الصور التي تأنق فيها ابن حمديس وأبدع صورة ذلك النهر الذي نزفت جراحه إثر جريانه على الحصى التي يشكو إليها أوجاعه والآمه، فجاءت الصورة حزينة على عكس ما عهدنا صورة الماء والأنهار في قصائد أخرى للشاعر. فالماء أساس حياة واستقرار. ومع ذلك فالشاعر يصور النهر جريحاً باكياً، يقول:

وَمُطْرِدِ الْأَجْزَاءِ يَصْقِلُ مَتْنَهُ صَبَاً أَعْلَنْتَ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْحَصَى كَلَّمَا جَرَى عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعَهُ بِخَرِيرِهِ
كَأَنَّ حُبَاباً رِيحٍ تَحْتَ حُبَابِهِ فَأَقْبَلَ يُلْقَى نَفْسَهُ فِي غَدِيرِهِ
شَرَبْنَا عَلَى خَافَاتِهِ دَوْرَ سَكْرَةٍ وَأُقْتِلُ سَكْرًا مِنْهُ لِحَظِّ مَدِيرِهِ⁽²⁾

(الطويل)

ربما تصدر الوصف الحزين صدر المقطوعة، فبدأ وكأنه يعلن عن الدوافع التي حدثت بالشاعر أن يلتمس لهمّة فرجاً في النزهة ولضيقة مخرجاً في التسلي بجمال الطبيعة. ولعل

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 379.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 186.

شاعرنا أراد أن يجعل الطبيعة تشاركه همومه والآلمه وأحزانه بسبب ابتعاده عن الوطن، لذا فهو يعبر عن مدى حزنه وأن فراقه لوطنه مازال جرحاً نازفاً في نفسه ودليل ذلك أن الشاعر بعد ذكر النهر اتجه إلى الحديث عن الخمر وشربه إياه على جوانب النهر.

ويؤكد ما نراه من أن الشاعر عندما يصف وصفاً مرحاً لا يصدر عن وجدان عميق ولا عن نفس صادقة، بل هي سطحية لا تتم عن غور بعيد، وما يؤكد ذلك قوله للساقى في إحدى قصائده التي تحدث فيها عن سمره مع الشباب⁽¹⁾، فيقول:

عَدُّ بِالْأَكْوَابِ عَنِّي إِنَّ لِي فِي يَدِ الْآنَسِ عَنَّهُنَّ نَفُورٌ⁽²⁾

(الرمل)

ويقول:

يَارِبُّ مَجْلِسٍ لَذَّةٍ شَاهَدْتُهَا كَرِهًا وَجُنْحَ اللَّيْلِ مَدَّ جَنَاحًا⁽³⁾

(الرمل)

لمحة فنية غاية في الروعة والأناقة والجمال، لم يترك فيها الشاعر شيئاً من الجمال إلا زين به هذا الوصف، أبيات قليلة بألفاظ سهلة واضحة قريبة إلى النفس صور استغرق فيها الشاعر مشاعر فياضة بالرفقة مرهفة الإحساس، مزج فيها الشاعر بين الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية. أظهرت براعة في النظم وقدرة عجيبة على الوصف، مصحوبة بإيقاع يتمشى في أذبال أبياتها، فجسد جريان الماء مصحوباً بأنغام خريره العذب وإيقاعات الضبابية على الأرض إضافة إلى انحناءاته الجميلة فكانت كأغصان تراقصها الرياح والنسائم. وفي ذلك يقول:

فكَأَنَّمَا سُلَّتْ سَيُوفُ جَدَاوِلٍ ذَابَتْ بِلَا نَارٍ فَعَدُنْ غَدِيرًا⁽⁴⁾
وَكَأَنَّمَا نَسَجَ النَّسِيمُ لِمَائِهِ دَرَعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرًا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَلْسَالِ اللَّجِينِ نَمِيرًا
خُرْسٌ تَعْدُّ مِنَ الْفَصَاحِ فَإِنْ شَدَّتْ جَعَلَتْ تَغَرَّدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرًا

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، القاهرة، 1978، ص 191.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 192.

(3) المصدر نفسه: ص 80.

(4) المصدر نفسه: ص 547.

لانت فأرسلَ خيظها مجرورا
فوق الزبرجدِ لؤلؤاً منثورا

وكأنما في كل غصنِ فضةً
وتريك في الصهريجِ موقعَ قَطْرها

(البسيط)

نعم صدق في الوصف وعاطفة الإعجاب تفوح في كل بيت من هذه الأبيات. أبيات مفعمة وحافلة بالتصوير والحركة، فالطيور خرس ولكنها فصاح تشدو وتغرد وتنتشر القطر اللؤلؤي على الزبرجد جمال في التعبير وتلاعب في الصور وجمع بين المتناقضات، إضافة إلى الإحاطة بوصف المنظر، فالشاعر يصور الماء يداعبه النسيم فيترك فيه اهتزازات رقيقة بالآلات الحربية وما عليها من تشطيب أو ما لها من ترسيد وهذا يدل على ملاءمة نفسية بين طرفي التشبيه، وشتان بين ما يوحي به السيف والدرع والنار من العنف والرعب والقتل والدم، وبين ما يوحيه النسيم يداعب صفيحة الماء من الرقة والهدوء والطمأنينة والارتياح⁽¹⁾.

وقد نوجد العذر لشاعر فهو بعيد عن الموطن المشرد السليب حنينه إليه يفزعه إلى أن يستحضر السيف والدرع والدم والثمار في كل وقت مرغماً لا رغباً، فحنين الشاعر إلى وطنه لا يستأذنه الحديث عن وطنه في أوقات محددة، بل يذكره في كل وقت وحين حتى في وقوفه بين أحضان الطبيعة يأسره جمالها وتفتته موجوداتها.

وعلى الرغم من أن الماء سبب للحياة والجمال والرقة والعطاء. إلا أن شاعرنا يذكره سبباً للحنن والألم واللوعة بل سبباً للموت. وهذا واضح في أبيات كثيرة للشاعر لا بل في قصائد وأخص بالذكر قصائد الرثاء وقصائد الحنين إلى الوطن، وعلى وجه الخصوص تلك القصائد التي يذكر الشاعر فيها البحر، فقد جاءت ألفاظ البحر تحمل دلالات غنية مفعمة بأحاسيس الشاعر ومشاعره التي يملؤها الحزن والألم

أ-ألفاظ الماء:

الماء، مياه، أمواه، جدول، سيول، نهر، مطر، غيث، بحر.

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً، ص 75.

البحر في شعر ابن حمديس

البحر⁽¹⁾:

البحر في كلام العرب: الشق، وفي حديث عبد المطلب: وحفر زمزم ثم بحرها بحرا أي شقها ووسعها حتى لا تنزف، ومنه قيل للناقة التي كانوا يشقون في أذنها شقا: بحيرة، ويرى ابن سيده أن كل نهر عظيم بحر. أما الزجاج فيرى أن كل نهر لا ينقطع ماءه فهو بحر، قال الأزهري: كل نهر لا ينقطع ماءه مثل دجلة والنيل وما أشبهها من الأنهار العذبة الكبار، فهو بحر، وأما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الأنهار فلا يكون ماءه إلا ملحا أجاجا، ولا يكون ماءه إلا راكدا. وأما هذه الأنهار العذبة فمأؤها جار، وسميت هذه الأنهار بحارا لأنها مشقوقة في الأرض شقا. ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم، في مندوب فرس أبي طلحة وقد ركبه عريا: اني وجدته بحرا واسع الجري. وفي الحديث: أبا ذلك البحر ابن عباس، سمي بحرا لسعة علمه وكثرتة.

ومن ذلك تستنتج أن المعاني التي تدل عليها كلمة البحر تشترك في معنى لغوي واحد هو السعة والكثرة. وقد استخدم ابن حمد يس هذه اللفظة بمعانيها المختلفة عشرات المرات، إضافة الى انه قد افرد في ديوانه مقطوعات يصف منها البحر. وفيما يلي نماذج توضح ذلك.

ومن الاستخدام الحقيقي لكلمة البحر في شعر ابن حمد يس:

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء⁽²⁾

(المتقارب)

ومن ذلك أيضا:

فلو انتي كنت أعطي المنى إذا منع البحر منها اللقاء⁽³⁾

(المتقارب)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص 323/1.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

ويقول:

أراك ركبتَ في الأهوالِ بحرًا
واصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي
عَظِيمًا لَيْسَ يُؤْمِنُ مِنْ خُطُوبِهِ
أَمُورًا أَلْجَأَتْكَ إِلَى رُكُوبِهِ⁽¹⁾

(المتقارب)

أما استخدام هذا اللفظ مجازا فيتضح ذلك فيما يلي:

يقول الشاعر متغزلا:

كم ذا يزورُ البحرَ بحرُ أسي
ما كان نأبي عن ذراكِ قلبي
في العينِ منكِ جُماتةَ رطب
فيموتُ بعدَ حياتِهِ الحب⁽²⁾

(الكامل)

ويقول مشبها كثرة الشوق بالبحر:

والشوقُ يَزْخَرُ بحرُهُ بِقبولِهِ
ودبورِهِ وشمالِهِ وجنوبِهِ⁽³⁾

(الكامل)

ويذكر ابن حمد يس ممدوحه فيشبهه بالبحر إذا فاض أو أصابه المد والجزر فيقول:

ومن ذا يردُّ البحرُ عن فيضِ مدّه
إذا عَبَّ منهُ بالجَنائِبِ ما عَبَّ⁽⁴⁾

(الطويل)

قضى الشاعر مع البحر وقتاً طويلاً يعانق أمواجه في المدح ويركب سفينته في الجهاد، فكان في غمرة بحر المدح. تأتيه أوقات بل لحظات تأجج مشاعر وتفيض أحاسيسه ومشاعره فيعبر فيها عن نفسه أكثر مما يعبر عن الموقف، وهذا ما تدل عليه ألفاظ قد كررها الشاعر بشكل عفوي وتلقائي، فقد تكرر عند ابن حمديس صورة عرائس، فمرة جعلها لوحة عرائس نافرة، ومرة جعلها عرائس زنج ومرة جعلها عرائس أغوال، ورابعة عرائس موت⁽⁵⁾.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 8.

(2) المصدر نفسه: ص 8.

(3) المصدر نفسه: ص 10.

(4) المصدر نفسه: ص 52.

(5) أنظر: الحلو، مصطفى: شعر البحر، 99.

يقول في وصف البحر ويرسم له صورة قبيحة مثلها بالشیطان الذي يركب مصروعاً فتراه
غاضباً لا يرضى ويفتح فم الموت.

وأخضر حصَلتْ نَفْسِي بِهِ وَنَجَتْ
رَعَا وَأَزِيدَ وَالنَّكْبَاءُ تُغْضِبُهُ
وما تُفَارِقُ مِنْهُ رَوْعَةٌ رَوْعِي
كما تَعَبَّتْ شَيْطَانٌ بِمَصْرُوعٍ⁽¹⁾

(البسيط)

وفي هذه الصورة يصور لنا الشاعر عند تلاطم موجه فقد جاء بشيطان وشخص مجنون
ليدل على شدة غضب البحر، وشدة خوفه منه، أنه إن هداً فهدوء العاصفة، وهدوءه أشد خطراً
من غضبه لأن الهدوء في ظاهره والغضب في طبعه، ويتضح ذلك من خلال المقطوعة التالية:

أراك ركبتَ في الأهوالِ بحرًا
تسيرُ فلكهُ شرقاً وغرباً
عظيماً ليس يؤمن من خطوبه
وتدفعُ من صباهِ إلى جنوبه
وأصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي
أُمورٌ أَلْجَأَتْكَ إِلَى رُكُوبِهِ⁽²⁾

(الوافر)

فالشاعر يصور ركوب البحر بصحبة العدو الذي لا يؤمن غدره وكذلك البحر وإن رأيتَه
هادئاً، على الرغم من أن السفن تجول فيه شرقاً وغرباً، إلا أن الشاعر يرى أن ركوب البحر
صعب جداً وثقيل عليه فهو كاره له وما أصعب من ذلك هو الأمور التي ترغم الشاعر على
ركوب البحر، وكأنني بالشاعر يرى البحر شراً لا بد منه أو عدواً صداقته أمر محتوم.

ومن تلك الصور الحزينة التي عاشها شاعرنا مع البحر تلك الحادثة التي تلاطمت فيها أمواج
البحر فأغرقت محبوبته وجاريته جوهرة حتى كاد هو أن يغرق. وقد عبر عن ذلك فقال يرثيها.

يا باقةً في يميني للردى ذبلت
ألم تكوني لتاج الحُسنِ جوهرةً
أذابَ قلبي عليك الحُزنُ والأسفُ
لما غرقتِ فهلاً صانَكَ الصدفُ⁽³⁾

(البسيط)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 311.

(2) المصدر نفسه: ص 8.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 315.

فالشاعر يرى الموت جهرة بين الذاكرة والنسيان أو يرى مظاهره وأسبابه، فغرق محبوبته قد زاد من صور الموت حوله فهو أكثر الشعراء ذكراً للموت. وهذا دلالة على وجود استعداد لعقدة البحر والغرق التي لازمت الشاعر في حياته، فهو يرى الموت في باقاة ورد ذابلية لأن الذبول مظهر من مظاهر الموت، وربطه بالماء للدلالة على علاقته بالبحر سلباً وإيجاباً.

لقد كان ابن حمديس كلما رأى مظهراً من مظاهر الموت أو رأى الموت عينه ذكر البحر فتأكدت العلاقة بين الموت والبحر، وهذا ما كان يزيده خوفاً وقلقاً. فهوذا يذكر البحر عندما يرى رجلاً مصلوباً بأعلى شجرة وفي ذلك يقول:

وَمُرْتَفِعٍ فِي الْجَذَعِ إِذْ حُطَّ قَدْرُهُ أَسَاءَ إِلَيْهِ ظَالِمٌ وَهُوَ مُحْسِنٌ
كَذِي غَرِقَ مَدَّ الذَّرَاعِينَ سَابِحاً مِنْ الْجَوْ بِحَرًّا عَوْمَهُ لَيْسَ يُمْكِنُ⁽¹⁾ (الطويل)

فهو يرى أن الرجل المصلوب ذا الذراعين الممدودتين على الشجرة يشبه شخصاً يسبح في بحر فارداً ذراعيه ولكنه غارق بل عاجز عن العوم في البحر. إن وقع البحر على الشاعر موت، وصوت موجه على قلبه إنذار بمقدمه، والرحله عليه عكست ظلالاً حزينة على النفس، ترجمت هذه العلاقة، وتحللت إلى حالات نفسية كثيرة ظهرت على لسان الشاعر صراحة وكان الموت وأسبابه أو لاهما⁽²⁾.

لم يكن البحر يشكل هاجس الموت فقط للشاعر، بل أيضاً مانعاً له ومعيقاً من الوصول إلى وطنه المسلوب، فكان البحر حاجز موت يؤرق الشاعر دوماً ويقلقه ليبقى مضرراً بأحزانه التي لا تنتهي، أسيراً في قضبان الغربة ينلوى شوقاً إلى وطن كان هاجس أحلامه وأمله في حياة مستقرة هادئة وسعيدة، لكن ذلك كله بقي رهين الأحلام. فالبحر يحول دون ذلك. فيقول:

وَرَأَيْكَ يَا بَحْرُ لِي جَنَّةٌ لَبِستُ النِّعِيمَ بِهَا لَا الشَّقَاءَ
فَلَوْ أَنِّي كُنْتُ أُعْطِي الْمَنَى إِذَا مَنَعَ الْبَحْرُ مِنْهَا اللَّقَاءَ
رَكِبْتُ الْهَلَالَ بِه زَوْراً إِلَى أَنْ أَعَاتِقَ فِيهَا دُكَاءَ⁽³⁾ (المتقارب)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 560.

(2) أنظر: الحلو، مصطفى: شعر البحر، ص 103.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

يتمنى الشاعر في أعماق نفسه أن يكون زورقه أماناً ونوراً كالهلال يطل فيه على وطنه حتى لا يضطر إلى ركوب البحر الذي كلما رآه ازداد خوفاً وقلقاً.

ومن الاستخدام الحقيقي لكلمة البحر في شعر ابن حمد يس:

وراءك يا بحرُ لي جنةٌ لبستُ النعيم بها لا الشقاء⁽¹⁾

ومن ذلك أيضاً:

فلو أنني كنتُ أعطي المنى إذا منع البحرُ منها اللقاء⁽²⁾

(المتقارب)

أما استخدام هذا اللفظ مجازاً فيتضح ذلك فيما يلي:

يقول الشاعر متغزلاً:

كم ذا يزور البحرَ بحرُ أسي في العين منك جُمأنهُ رطب
ما كان نأبي عن ذراك قلبي فيموتُ بعدَ حياتهِ الحب⁽³⁾

(الكامل)

ويقول مشبها كثرة الشوق بالبحر:

والشوقُ يزخرُ بحرُهُ بقبولهِ ودبورهِ وشمالهِ وجنوبهِ⁽⁴⁾

(الكامل)

ويذكر ابن حمد يس ممدوحه فيشبهه بالبحر إذا فاض أو أصابه المد والجزر فيقول:

ومن ذا يُردُّ البحرَ عن فيضِ مدّه إذا عَبَّ منه بالجنايبِ ما عَبَّ⁽⁵⁾

(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(3) المصدر نفسه: ص 8.

(4) المصدر نفسه: ص 10.

(5) المصدر نفسه: ص 53.

بَرَدٌ⁽¹⁾:

البَرَدُ: سحب كالجمد سمي بذلك لشدة برده وسحاب برد وابرِد ذو قر برد.

البرد: حب الغمام تقول منه بردت الأرض وبرد القوم! أصابهم البرد

البرد بغير هاء: زعم الليث انه مطر جامد

والبرد: النوم لأته يبرد العين بان يقرها

والبرد: الريق

وبرد الرجل يبرد بردا: مات

وقد وردت هذه اللفظة في شعر ابن حمديس إلا أنها لم تشمل تلك المعاني فمنها ما جاء على معنى الماء الجامد ومنها بمعنى الريق ومنها ما جاء على التشبيه ومنها ما جاء بمعنى النوم.

يقول

وَبَرَدَتْ حَرَّ الشُّوقِ بِالْبَرْدِ الَّذِي شَهِدْتُ وَمَسَكْتُ دُونَهُ وَعَقَارُ⁽²⁾

(الكامل)

ويقول:

وَكأَئِذَا حَرُّ المَنَآيَا عِنْدَهُم بَرَدُ إِذَا مَا اشْتَدَّ مِنْهُ أَوَارُ⁽³⁾

(الكامل)

برد: قصد بها الموت

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 1، دار صادر، بيروت، ص 364.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 260.

(3) المصدر نفسه: ص 262.

ويقول:

قَفَارٌ: نَجَتْ مِنْهَا الصَّبَا إِذَا تَعَلَّقَتْ حَشَاشَتُهَا مِنْ بَحَاشِيَةِ الْبَرْدِ⁽¹⁾

(الطويل)

البرد: قصد بها الغمام

ويقول:

نَثَرَ الْجَوُّ عَلَى الْأَرْضِ بَرْدَ أَي دَرٍّ لِنَحْوَرٍ لَوْ جَمَدَ⁽²⁾

(الرملي)

برد: قصد بها المطر الجامد.

ويقول:

تَتَنَّتْ بِعَطْفِهَا عَنِ الْعَطْفِ وَانْتَثَتْ كَنَشْوَانٍ فِي بَرْدِ الصَّبَا مُتَرَنَّحٍ⁽³⁾

(الطويل)

البرد: قصد به النوم

يقول:

يُخْبِرُ مَنْ فَازَ بِتَقْبِيلِهَا عَنِ بَرْدِ تَنْبَعٍ مِنْهُ مُدَامٌ⁽⁴⁾

(الطويل)

البرد: قصد به الأسنان

جَدُولٌ⁽⁵⁾:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 151.

(2) المصدر نفسه: ص 109.

(3) المصدر نفسه: ص 459.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ص 213.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 379.

الجدول: النهر الصغير، وحكى ابن جني جدول بكسر الجيم، على مثال خروج

الليث: الجدول نهر الحوض، ونحو ذلك من الانهار الصغار يقال لها الجداول.

والجدول: نهر معروف.

وقد ذكر ابن حمد يس هذا اللفظ مفردا وجمعا ما يزيد على عشرة مرات بين المفرد والجمع خرجت في دلالتها عن معناها اللغوي، وانما قصد الشاعر من ذكرها معان مجازية على التشبيه او المعنى الحقيقي وهو النهر الصغير او الانهار الصغيرة عند جمع اللفظ. ومن الشواهد على الاستخدام الحقيقي.

يقول:

تَجَوَّزُ لَهُ الْأَمْوَاهُ بِرَكَّةٍ جَدُولٍ تَخَالُ الصَّبَا مِنْهُ مُشْطَبَةً نَصِلًا⁽¹⁾

(الطويل)

فكلمة جدول استخدمها الشاعر استخداما حقيقيا قصد النهر الصغير الذي يملأ البركة ماء. اما الاستخدام المجازي لهذه اللفظة فقد كان في اكثر من موقع وبذا يكون الشاعر قد اكسبها معنى جديداً ومن ذلك قول الشاعر:

وذي رونقٍ ترتاعٍ منه كأنما عروسُ المنايا فيه للعينِ تجتلى
جرى والتظى سلا فقلتُ تعجباً: متى فجرتُ كفٌ من النارِ جدولا⁽²⁾

(الطويل)

فهذا معنى جديد حيث قصد الشاعر بلفظه جدولا السيف الذي يجري دماء من كثرة القتل وقد تكررت هذه الصورة عند الشاعر في اكثر من موقع حيث ربط الشاعر بين السيف والجدول ومن ذلك⁽³⁾:

وابيضُ تحسبُ فيه الفرندُ يثيرُ هباءً على جدولٍ

(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 383.

(2) المصدر نفسه: ص 383

(3) المصدر نفسه: ص 383.

وأيضا:

رَعْدٌ يَصُوبُ مِنَ الدَّمَاءِ بَوَابِلِ
مَنْشُورَةً مِنْهُنَّ فَوْقَ جَدَاوِلِ⁽¹⁾

(الكامل)

وَمِنَ البروقِ عَلَى الرُّؤُوسِ لَوْقِعِهَا
وَكأنَ أَجْنَحَةَ الفَرَّاشِ تَقَطَّعَتْ

سَيْلٌ، سَيْوُولٌ⁽²⁾:

سال الماء والثشيء سيلا وسيلانا: جرى، وأسأله غيره وسيله هو.

وماء سيل: سائل، وضعوا المصدر موضع الصفة. والسيل: الماء الكثير، السائل: اسم لا

مصدر، وجمعه سيول، والسيل معروف والجمع سيول.

ومسيل الماء، وجمعه أسيلة: وهي مياه الأمطار إذا سالت.

تقول العرب: سال بهم السيل.

لقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في مواقع متعددة وقد حملت في طياتها

الداليتين الحقيقة والمجازية، ومن أمثلة الاستخدام للفظه:

ذَوَّبَتْهُ مِنْ سَمَاءِ أَدْمُعٍ
فَجَرَّتْ مِنْهُ سَيْوُولٌ حَوْلَنَا
فَوْقَ أَرْضٍ تَتَلَفَّأُ بِخَدِ
كثعابين عجالٍ تَطْرُدُ⁽³⁾

(الكامل)

أما الدلالة المجازية فقد جاءت بأكثر من صورة ومن ذلك:

1. تشبيهه

وَالصَّبْحُ قَدْ دَفَعَ النُّجُومَ عُبَابَهُ
كَأَنَّهُ سَيْلٌ يَسُوقُ حُبَابَا⁽⁴⁾

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 382.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ص 457 - 458.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 117.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 7.

يشبه الشاعر مجيء الصباح واختفاء النجوم بالسيول الذي يأخذ كل شيء أمامه.

2. ومن الصور الجميلة التي نقل فيها الشاعر كلمة السيول من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية. تشبيه السيوف وكثرتها في أرض المعركة بالسيول.

النَّهْرُ⁽¹⁾:

النهر والنهر واحد الانهار، وفي المحكم: النهر والنهر من مجاري المياه، والجمع أنهار ونهر ونهور، وفي الحديث نهران مؤمنان ونهران كافران، فالمؤمنان النيل والفرات، والكافران دجلة ونهر بلخ ونهر الماء إذا جرى من الارض وجعل لنفسه نهرا، نهرت النهر: حفرت. ونهر النهر ينهره: أجراه واستنهر النهر إذا أخذ لمجراه موضعا مكينا.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في بضعة مواقع في ديوانه ومن

الاستخدام الحقيقي لهذه اللفظة

وإن كثرَ الأنهارِ منَ عنْ جوانبه⁽²⁾

لأصبحتَ مثلَ البحرِ يزخرُ وحدَه

(الطويل)

اما الاستخدام المجازي فيتضح في قوله:

على جسمه نهي وفي يده نهر⁽³⁾

وتحسبَ منه الريحَ تغدو بضيقم

(الطويل)

وقوله حيث شبه دموع عينيه الكثيرة بالأنهار الجارية:

حسبتُ دموعي أنهارها⁽⁴⁾

ولولا ملوحة ماء البكا

(المتقارب)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ص 198.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 27.

(3) المصدر نفسه: ص 242.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 183.

ب-الغطاء النباتي في ديوان ابن حمديس:

لقد اعتنى ابن حمديس بوصف النبات والأزهار والرياح والثمار فافتتن في ذلك وأبدع، فلم يصفها وصفاً عارضاً أو عابراً، بل إنه يجعل من الطبيعة فتاة حسناء تزهر بجمالها ورقتها، فيقف أمامها، ليجلي سحرها ومفاتها وجمالها على صورة لم يعهد لها الشعر العربي قبلاً. فهو يستمتع بجمالها ويتغزل فيه متناسياً أو ناسياً بشعوره أو لا شعوره الزهرة التي يصفها، أو الثمرة التي أدهشته فأعجب بها، ويرى نفسه وكأنه أمام فتاة يحبها ويهاها، ولا يلبث أن يتغزل فيها غزلاً حسيماً.

وبذا فإن شاعر يسمو بالطبيعة ويرقى بها فوق كل إحساس بسيط، أو شعور عابر، ليصورها بأجمل صورة يحلم بها ليل نهار ويكرمها ويقدرها وكأنها مصدر حياة وإلهام، تلك هي المرأة التي ملكت على شاعرنا قلبه وفؤاده، فلا يدري أي وصف يليق بها. لذا فإن شاعرنا يجعل من الأزهار والورود والأشجار وأغصانها فتاة نابضة بالحياة والجمال يسعى إليها الشاعر مشرباً في كل زمان ومكان.

لقد جاء وصف الأزهار والنبات عند ابن حمديس منفرداً في قصيدة أو مقطوعة تارة، وممزوجاً بالمدح أو شرب الخمر أو وصف المعارك تارة أخرى وسنوضح تالياً وصف الغطاء النباتي عند ابن حمديس وقدرته على جعل هذه الموصوفات تحمل دلالة جديدة لم يعرف الشعر العربي من قبل.

الأقحوان:

الأقحوان، أنواع كثيرة، الواحدة أقحوانة، ويقال أقحوان وقحوان وأقاح وأقاحين، ويقال أقحوانين، وقيد منها سبعة وهي أكثر من هذا.

جمعت أنواعها من طريق شبه الزهر وتقاربه في القوى وإن اختلف شكل الورق. واختلف فيه المتأخرون، وبالجملة هو نوع من البابونج عند البعض، وعند البعض الببلييه، وعند أئمة الرواه البابونج بعينه.

قال الأصمعي: "البابونج: الأَقْحوان" وهو القَرَّاص، بولش: "هو نوعان أصفر وأبيض" دُونش ابن تميم: "منه ما وزهره كلُّه أصفر، منه زهره أبيض في وسطه لمعه صفراء". والمستعمل منه في الترياق ما زهره أبيض أما الرازي في (الحاوي): "الأقحوان الأبيض يدعى تفاح الأرض، والذي صحَّ فيه ما ذكره ديسقوريدس، قال: إنه بنات من جنس البقل المستأنق كلَّ عام⁽¹⁾.

جاء ذكر الأَقْحوان في ديوان ابن حمديس مرتباً بالغزل في معظم مواقعه. وتعدد ذكره بين الأفراد والجمع والتعريف في التتكير، وكأن الشاعر يوظفه توظيفاً جمالياً خاصاً بالمرأة وخاصة أن الشعراء يشبهون شفاهها بالأقحوان يقول ابن حمديس:

وما روضةً حيَّ ترى أقحوانها يُضاحِكها في الغيمِ سنِّ من الضحِّ⁽²⁾
(الطويل)

ويقول متغزلاً:

يَبِيْتُ في نَغْرِها بردُ الشَّبَابِ كما باتَ الندى من أقاحي الروضِ في زهر⁽³⁾
(البيسط)

ويقول متغزلاً:

تَمَشَى وسُكْرُ التيهِ في عَطْفِها يُمِيلُ منها باعتدالِ القوامِ
يا مَنْ رأى في غصنِ روضة يُسْمَعُ منها للأقاحي كلام⁽⁴⁾
(السريع)

فالشاعر يتغزل ويشبه الفتاه بالأقاحي

(1) انظر: الإشبيلي، أبو بكر محمد: عمدة الطبيب، ج1، ص67.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 78.

(3) المصدر نفسه: ص 176.

(4) المصدر نفسه: ص 459.

التُّفَّاح

أما التفاح فقد ارتبط ذكره بالمرأة وشبهت خدودها لتوردها واحمرارها ونضارة وكأنها التفاح يقول الشاعر .

مُهْتَزَّةٌ بِقَوَاتِلِ الثَّمْرِ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا الرُّمَانُ وَالتُّفَّاحُ⁽¹⁾

(الكامل)

ويقول:

لَوْ شِئْتُ حَيِّتَ نَشَاوَى الْهَوَى مِنْ لَوْنِ خَدَيْكَ بِتَفَاحَتَيْكَ⁽²⁾

(السريع)

الثَّمَرُ، ثَمَارٌ⁽³⁾:

الثمر: حمل الشجر وأنواع المال والولد: ثمرة القلب وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم، قيل للولد ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر والولد ينتجه الأب.

والثمر: أنواع المال، وجمع الثمر ثمار، وثمر جمع الجمع، وقد يجوز أن يكون الثمر جمع ثمرة كخشبة وخشب وأن لا يكون جمع ثمار.

والثمر: الذهب والفضة، حكاه الفارسي يرفعه إلى مجاهد في قوله تعالى (وكان له ثمر). وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا بضع عشرة مرة وحملت الداليتين المجازية والحقيقية أما الاستخدام الحقيقي فيتضح في قوله:

عَجَبًا لَهَا تَسْقِي الرِّيَاضَ يَنَابِعًا نَبَعَتْ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَغْصَانِ

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 102.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 2، ص 126.

أما الاستخدام المجازي، فإن معظم ما ذكر لهذا اللفظ مفردا أو جمعا لم يقصد به الشاعر المعنى الحقيقي للكلمة وإنما ذهب إلى المعنى اللغوي المستخدم للدلالة على ثمرة أي شيء أي نتاجه.

يقول:

وَأَوَانُ الْهَجْرِ لَا يُجْنِي بِهِ
ثَمَرٌ كَانَ لَهَا الْوَصْلُ أَوَانٌ⁽¹⁾
(الرملة)

ويقول في غزله، ويصف جارية جميلة:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ غَصْنَ بَانَ فِي نَقَا
تَشْكُو أَلِيمَ الْقَطْفِ مِنْهُ ثَمَارٌ⁽²⁾
(الكامل)

حَدِيقَةٌ، حَدَائِقُ⁽³⁾

حدق: حدق به الشيء وأحدق: استدار، وكل شيء استدار بشيء وأحاط به، فقد أحدق به، ونقول عليه شامة سوداء قد أحدق بها بياض. والحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة، وقيل الحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل. وقيل الحديقة البستان، وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب.

وقيل الحديقة: حفرة تكون في الوادي تحبس الماء. وكل وطئ يحبس الماء في الوادي وإن لم يكن الماء في بطنه فهو حديقة.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة جمعا ومفردا في بضعة عشر موقعا بعضها استخداما حقيقيا والآخر مجازيا.

يقول:

يُرِيكَ رُؤُوسًا مِنْهُ فِي جِسْمِ حَيَّةٍ
سَعَتْ مِنْ حَيَاةٍ فِي حَدَائِقِهِ الْخَضِرِ⁽⁴⁾
(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 503.

(2) المصدر نفسه: ص 259.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 3، ص 87.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 187.

وقد استخدم اللفظة جمعا أما استخدامها مفردة، فيقول:

تَفْتَحُ وَسَطَهَا لَهُ جُنَّارٌ (1)

(الوافر)

يُرِيكَ حَدِيقَةً مِنْ يَاسَمِينَ

ويقول مستخدما اللفظة على التشبيه:

كَنْشَوَانَ ذِي جَيْدٍ مِنْ السُّكَّرِ مَائِلٌ (2)

(الطويل)

حَدِيقَةٌ نَوْرٌ دَامِعٍ الْعَيْنِ ضَاحِكٌ

ويقول:

حَدَائِقُ لَمْ تَعْدَمْ لِأَمَلِهِ سُقْيَا (3)

(الطويل)

وَإِنْ أَجْدَبَتْ آمَانَا فَهَبَاتُهُ

الرُّمَّانُ (4):

الرُّمَّانُ: حمل شجرة معروفة من الفواكه، واحده رمانة، وهو لا يصرف لأنه يعرف اشتقاقه هذا ما يراه الخليل... ويقال لمنبت الرمان مرمنة إذا فيه أصوله، والرمانة تصغر رميمينة، ورمان بفتح الراء: موضع، وفي الصحاح: جبل طيء ورمانة: الفرس الذي فيه علفة.

وقد ذكر ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في عشرة مواضع تقريبا. وقد طغى الاستخدام المجازي على الاستخدام الحقيقي لللفظة وقد استخدم ابن حمد يس هذا اللفظ للدلالة على نهدي المرأة في غزله ولتوضيح ذلك نورد هذه الأمثلة يقول:

قُضِبُ تَقَوْمٌ بِمِيلِهِنَّ رِيَاخُ

أَسْمَاؤُهَا الرِّمَانُ وَالتُّفَّاحُ (5)

(الكامل)

وَبِمُهْجَتِي عُرْبٌ كَأَنَّ قَدُودَهَا

مَهْتَرَةٌ بِقَوَاتِلِ الثَّمَرِ الَّتِي

ويقول:

(1) المصدر نفسه: ص 237.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 395.

(3) المصدر نفسه: ص 525.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 5، ص 326،

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 102.

وَجَنِي لِي، فَإِنَّ قَلْبِي عَلِيٌّ

ما اشتهى من جنِّي رمان صدرك⁽¹⁾

(الخفيف)

ويقول:

وردفك المرتج في غصنه

مياس اهتز برماتيك⁽²⁾

(السريع)

وقد استخدم الشاعر اللفظة بصيغة المثني لتدل على نهدي المرأة، أما استخدام اللفظ على حقيقته فلم يرد سوى مرة واحدة ولم يذكر الرمان بلفظة وإنما دل عليه بذكر زهرة (الجنار)

يقول:

يُريك حديقة من ياسمين

تفتح وسطها له جنار⁽³⁾

(الوافر)

والرمان نوع من الفواكه التي يتناولها الناس ويقبلون عليها، وكما ذكرنا أن النرجس ارتبطت دلالاته بالمرأة فكذا هذا النوع من الفاكهة، فقد ذكر الرمان فيما لا يقل عن عشرة مواقع. أما ارتباطه بالمرأة والتغزل فيها، فهذا ما تدلنا عليه أشعار شاعرنا عندما يذكره، فمن ما جاء ذكر الرمان فيه قوله:

وردفك المرتج في غصنه

مياس اهتز برماتيك⁽⁴⁾

(السريع)

يقول الشاعر بأن تلك الفتاة إذا ما أرادت الرقص وهزت أردافها فإن نهديها يهتزان استجابة لإهتزاز قدمها وأردافها، فالشاعر يرتبط في دلالة واضحة وصريحة بين النهود وفاكهة الرمان، ولعله أخذ ذلك من استدارة كل منهما فربط بينهما، وقد ورد ذلك في أكثر من موقع يقول:

أعليل أنت؟ ما تشتهي؟

قلت: قطفي بيدي رماتيك

فأنتنت كبراً وقالت: ويلتنا

أوهذا كمله تطلب ويك؟⁽⁵⁾

(الرمل)

(1) المصدر نفسه: ص 199.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345

(3) المصدر نفسه: ص 237.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345.

(5) المصدر نفسه: ص 343.

الرَّوَضُ، الرِّياضُ، رَوْضَةٌ⁽¹⁾:

روض: الروضة: الارض ذات الخضرة، والروضة: البستان الحسن

والروضة: الموضع يجتمع فيه الماء يكثر نبتة، ولا يقال في موضع الشجر روضة

والروضة: عشب وماء ولا تكون روضة إلا بما معها أو الى جنبها

والروضة: القاع ينبت فيه

والروضة: البقل والعشب

والروضة: قاع فيه جراثيم ورا ب سهلة صغار في سرار الارض يستتبع فيها الماء وأصغر

الرياض مئة ذراع.

والجمع من ذلك كله روضات، ورياض، وروض وروضات.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا خمسين ونيفا.

يقول:

تناولتها ونسيمُ الرياضِ ذكيّ النسيمِ عليلُ الهبوبِ⁽²⁾

(المتقارب)

ويقول:

وما روضةٌ حيّ ثرى أقحوانها يضحكها في الغيمِ سنّ من الضحّ⁽³⁾

(الطويل)

ويقول:

وكأنَّ الرّوضَ رشّت زهرةً بمياهِ الوردِ أفواهُ الرّياحِ⁽⁴⁾

(الرمل)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 5 ص 396.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 13.

(3) المصدر نفسه: ص 78.

(4) المصدر نفسه: ص 85.

اما الدلالة المجازية او ما استخدم على التشبيه قوله:

وكأنَّ النَّسِيمَ بِالْفَرْجِ يُفْشِي

بين روضاتها سرائرَ خرد⁽¹⁾

(الخفيف)

اما الدلالة المجازية او ما استخدم على التشبيه قوله:

كلَّ نَمَامَةٍ الرِّيحِ تَلَاقِي

منه أنفاسَ رَوْضَةٍ تَتَضَوَّعُ⁽²⁾

(الخفيف)

الرَّيْحَانُ:

نبات ذو رائحة جميلة عطرها فواح، وخضرتها دائمة عبققت بأريجها قصائد ابن حمديس حتى ملأ شذاها أفاظه وديوانه، تلك البيئة الأخاذة اختلفت مواقعها في أغراض الشاعر وموضوعاته، إلا أنها كثيرة الورد في الوصف والغزل والمدح وشرب الخمرة ومجالسها التي جاء وصف الطبيعة متمماً لصورتها، فكان الريحان وغيره من الأزهار تأتلق فرحاً وسروراً لفرح الشاعر وسروره، بل وتشاركه اللذة فتصطحج متراقصة بأغصانها وقد ملأ عبيرها الأنفاس.

ومن جميل الصور التي جاءت الريحانة لتزيدها جمالاً قول الشاعر:

وَرَيْحَانَةٌ أُمَّهَا كَرْمَةٌ
مُعْتَقَةٌ فِي يَدَيِّ رَاهِبٍ

تَنْفَسُ فِي كَفِّ غُصْنِ رَطِيبٍ
عَلَى دَنِّهَا خَتْمُهُ بِالصَّلِيبِ⁽³⁾

(المقارب)

حيث شبه الشاعر الخمرة برائحتها ونشوتها بالريحانة ذات الرائحة العطرة. فالشاعر يربط بين ما تحدثه نشوة الخمرة في نفسه وبين رائحة الريحانة الزكية التي عبق بها أنف الشاعر. كما أن الشاعر يشبه الريحانة بالفتاة الجميلة والكرمة هي أمها وهي تنفس محمولة على

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 125.

(2) المصدر نفسه: ص 305.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 125.

أيدي قيان يحركها كما تتحرك الأغصان الغضة. وبالتالي فالشاعر يولد هذه الدلالة وهذه الصورة وهو يتلذذ بشرب الخمر في مجلس سمر.

ومما يؤكد أثر الريحان وقيمته في نفس الشاعر أنه يستحضره في مجالس شربه كثيراً. بل أنه يقدم الريحان في مجلسه قبل الراح أنظر إليه يقول:

عَلَّلِ النَّفْسَ بِرِيحَانٍ وَرَاحٍ وَأَطْعُ سَاقِيهَا وَاعْصِ اللِّوَّاحِ
وَأَدِرْ حَمْرَاءَ يَسْرِي لُطْفًا سُكْرُهَا مِنْ شَمِّهَا فِي كُلِّ صَاحٍ⁽¹⁾

(الرملة)

فالشاعر يلجأ إلى الطبيعة كلما ضاقت به الحال فما هو ذا يتجه إليها في شربه ولهوه ويعلل نفسه بالريحان قبل أن يتجه إلى الخمر وشربه، فالشاعر يستحضر الأزهار والورود والريحان ويرى أنها بعبقها وأريجها تكون سببا في تعله. ففي الوقت الذي يتمتع فيه الشاعر بالخمرة وشربها ويلهو متناسياً همومه لا تلبث الورود تذكره بوطنه السليبي.

وقد ورد ذكر الريحان متعددًا بين الأفراد والجمع والتعريف والتكثير، وأمثلة ذلك كثيرة في الديوان نورد بعضها، يقول مشبهاً بالفخر بالريحانة التي تنمو وتكبر ويفوح عبيرها ليملاً أرجاء الدنيا:

رَحِيبٌ ذُرَى الْمَعْرُوفِ مُسْتَهْدَفُ النَّدَى تَنْدَى الْأَمَانِي فِي حَدَائِقِهِ الْخَضْرِ
تَحَلَّبُ مِنْ يَمَانِهِ تَجَاجَةً النَّدَى وَتَنْبُتُ مِنْ ذِكْرَاهِ رِيحَانَةُ الْفَخْرِ
لَهُ سَيْرَةٌ فِي مَلِكِهِ عُمْرِيَّةٌ وَكَفُّ مِنَ الْإِعْدَامِ جَابِرَةٌ الْكَسْرِ⁽²⁾

(الطويل)

وفي صورة جميلة يربط فيها ابن حمديس بين فتاة جميلة يتغزل فيها وبين الجنة وما فيها من ورود وأزهار ورقة وجمال إلا أن تلك الجنة قد أحاطتها نيران الصدود فهي تتمنع على الشاعر وتدل، ومع ذلك فهو يشبها بريحان الخلود وفي ذلك يقول:

يَا جَنَّةَ الْوَصْلِ الَّتِي حَفَّتْ بِهَا نَارُ الصُّدُودِ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 83.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 216.

فَتَقَّتْ بِرِيحَانِ الْخُلُودِ
تُجْتَنَى مِنَ الْبَرْدِ الْبُرُودِ⁽¹⁾

مَنْ لِي بِرِيَّاكَ الَّتِي
وَمُجَاجَةٌ شَهْدِيَّةٌ

(الكامل)

والريحان من جنس الشجر وهو خمسة أنواع، منه بستاني وهو نوعان والبري ثلاثة أنواع. فأحد البستانيين هو الهاشمي، له ورق طويل شديد الخضرة، فيها الخضار، تخرج على ساق، شجرتها من أولها إلى آخرها متكاثفة بعضها فوق بعض، متصلة، ولها زهر دقيق أبيض، طيب الرائحة يخلفه تمر في قدر الحمص إلى الطول، فما نضج منه أسود وهو معروف يتخذ في البساتين والدور ويسمى أماروس.

والنوع الثاني هو المشرقي، ورقه دقيق جداً، في قدر ورق العينون إلا أنها أعرض وأشد خضرة، وخضرتها ميالة إلى الصفرة، وأغصانها إلى الرقة لينة تنثني مع الرياح، وليس النوع الأول كذلك، وزهره كزهر الأول وحبّه كحبّه ويسود أيضاً بعد النضج، فإن زرع حبّه قبل أن ينضج ويسود صار علي صفة الآس الجبلي. وإن زرع بعد النضج صار على حاله مشرقياً. ويتخذ هذا النوع أيضاً في الدور والبساتين، وهو مشهور معروف.

لقد جاء ذكر الريحان في ديوان ابن حمديس مقروناً بقصائد المدح والخمر والغزل ولا يذكر الشاعر في غير هذه المواقع ومن ذلك قوله⁽²⁾:

وفي عَضْدِي عَضَّ ثَغْرِ شَنْبِيبِ

وفي كَبْدِي جُرْحُ لِحْظِ عَلِيلِ

(المتقارب)

تَنْفَسَ فِي كَفِّ غُصْنِ رَطِيبِ
عَلَى دَنْهَا خَتْمُهُ بِالصَّلِيبِ

وريحانة أمها كرممة
مُعْتَقَةٌ فِي يَدَيِّ رَاهِبِ

(المتقارب)

ويقول في قصيدة يمدح فيها المعتمد:

ظَمِئْتُ وَلَكِنْ قَلَمَا تَسْتَمِطِرُ⁽³⁾

أَعْطَاكَ رِيحَانَ النَّوَاءِ حَدِيقَةً

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 113.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 12.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 197.

ويقول في قصيدة أخرى يمدح فيها المنصور بن ناصر بن علناس:

عَرَجَ بِأَرْضِ النَّاصِرِيَّةِ كَيْ تَرَى شَرَفَ الْمَكَانِ وَقُدْرَةَ الْإِمْكَانِ
وَفِي جَنَّةٍ غَنَاءَ فِرْدَوْسِيَّةٍ مَحْفُوفَةً بِالرُّوحِ وَالرِّيْحَانِ⁽¹⁾

(الكامل)

الزَّهْرُ:

زهْر: الزُّهْرَةُ: نور كلِّ نبات، والجمع زَهْرٌ، وخص بعضهم به الأبيض، وزهْرُ النبات: نوره. وكذلك الزهرة، بالتحريك، وقال الزهرة البياض عن يعقوب، ويُقال أزهْرُ بين الزُّهْرَةِ، وهو بياضُ عَنقِ قالِ شمر: الأزهْرُ من الرجال الأبيضُ العتيقُ البياضُ، النيرُ الحَسَنُ وهو أحسن البياض كأنَّ له بريقاً ونوراً.

يزهر كما يُزهرُ النجم والسراج، ابن الأعرابي: النورُ الأبيض والزَّهْرُ الأصغر، وذلك لأنه يبييض ثم يصغرُ، والجمع أزهار وأزاهير جمع الجمع، وقد أزهْرَ الشجر والنبات. وقال أبو حنيفة: أزهْرَ النباتُ، بالألف، إذا نورَ وظهر زهره، وزهيرَ بغير ألف، إذا حسنَ. وأزهارَ النبات، كالزهْرَ، قال ابن سيده: وجعله ابن جني رباعياً، وشجرة مزهرة ونبات مزهْرٌ، والزَّاهِرُ: الحَسَنُ من النبات⁽²⁾.

نستخلص من هذه المعاني أن الزهر يعني الحياة والحسن والبهجة والجمال. لذا فقد وظّفه الشاعر في ديوانه توظيفاً جميلاً. فذكر بمفرده وجمعه، وذكره بالتركيب تارة والتعريف تارة أخرى. ومن ذلك قول ابن حمديس في قصيدة مدح:

ذو سجايا في المعالي خُلِقَتْ للوغي والسلم من بأسٍ وجود
وأناةٍ أرسيت في خُلُقٍ كنظيرِ الزهر في الروضِ المَجُود⁽³⁾

(الرمل)

فالشاعر يشبه صفات الممدوح بالزهر في الروض. ويقول في قصيدة يمدح فيها أحمد بن

عبد العزيز بن خراسان:

(1) المصدر نفسه: ص 495.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 6، ص 98.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 156.

ما كان في الأفاقِ ذا تبديد
سُرُجُ المَشَاكِي عولجتِ بِخُمُودِ
من كلِّ مخضِرِ البقاعِ مَجُودِ⁽¹⁾

(الكامل)

جاء الزهر في قصائد ابن حمديس متعدداً كغيره من النبات وعلى الرغم من أن ذكره في الديوان كان أقل من ذكر الورد إلا أن وروده في صيغ متعددة ومختلفة بين الأفراد والجمع، تعدد ذكرها بين التعريف والتكثير والإضافة إلى الضمائر، كان له أثر كبير في استكمال الصورة وتوليد معاني جديدة لها بهاؤها ورونقها. وخاصة في قصائد الوصف والغزل والمدح التي ملأت صفحات الديوان.

إن أول ذكر للزهور يطالعنا في الديوان كان في صفحاته الأولى حيث يصف شاعرنا زهرة النيلوفر، يقول:

أشربَ على بركة نيلوفرٍ
كأنما أزهارها أخرجتُ
مُحَمَّرَةَ النّوَارِ خضراءِ
السنة النارِ من الماءِ

(السريع)

فالشاعر في هذين البيتين يشرب الخمرة مستأنساً بأزهار النيلوفر، الذي أحس أن ثمة ما يربط بينه وبينها، فكان يتصوره من نبت بيئته وبلاده، فعندما يرى أزهاره في وطن آخر غير وطنه كأن يحس أنه يعاني الآم الغربة ولوعة الفراق مثله سواء بسواء⁽²⁾.

فكان الشاعر يرى أن هذه الأزهار تهيج في نفسه الحزن والألم والشوق إلى الوطن السليب، وتثير في أشجانه الغربة والحنين فتوقد نار الحقد والكراهية للمحتل الغاصب بدلاً من أن تكون مثيرة للدعة والرخاء والسرور.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 156.

(2) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 186.

ويذكر الشاعر الأزاهير التي شكلت عنصراً أساسياً في رسم صورة لمجلس الشراب الذي لا تكون فيه لذة أو متعة إلا إذا كان الشراب ممزوجاً بعبير الزهور وأريجها، فهي تصطهج مزحاً وسكراً لاصطهاج الشاعر وفرحه، حتى أنها تعقل الطرف وتعقد. يقول:

ثَقَلِ الرَّاحَةَ مِنْ كَاسَاتِهَا بَرْدَاحٍ مِنْ يَدِ الْخُودِ الرَّدَّاحِ
فِي حَدِيقِ غَرَسِ الْغَيْثِ بِهِ عَبَقَ الْأُرُوحِ مَوْشِيَّ الْبَطَّاحِ
تَعْقَلُ الطَّرْفَ أَزَاهِيرُ بِهِ ثَمَّ تَعَطِّطِيهِ أَزَاهِيرُ صِرَاحٍ⁽¹⁾

(الرمل)

فهو يستخدم الأزاهير ليدل به على الأزهار وأريجها تارة ويستخدمها مرة أخرى ليدل بها على حسنات النساء من الراقصات والقيان والساقيات الخمر لهم في المجلس.

ومن الصور الجميلة التي رسمها ابن حمديس للزهر، تلك التي شبه فيها تضحيات أهل سرقوسة (مدينة المغنصبة) وقتالهم ودمائهم التي أريق دفاعاً عنها. بالزهور التي تهيؤ للثمر يعني أن تضحياتهم هذه ودماءهم المراقبة تمهد وتبشر بقدوم النصر يقول:

رَعَى وَرَقَ الْبَيْضِ الَّذِي زَهْرُهُ دَمٌّ بِهِمْ وَرَقًا عَنْ زَهْرِهِ الرُّوضُ يَبْتَسِمُ
جَبَابِرَةٌ فِي الرُّوعِ تَعْدُو جِيَادَهُمْ بِهِمْ فَوْقَ مَا سَحَّ الْوَشِيحُ الْمُقَوِّمُ⁽²⁾

(الطويل)

وقد أبدع في ربطه بين الزهور التي تشرئب للفتوح لتخرج الثمار وبين أهل سرقوسة وتضحياتهم التي تقدم للنصر وهذا توكيد وابتكار جديد في توظيف الزهور التي ترمز أصلاً إلى السرور والارتياح الفرح.

السَّوْسَنُ⁽³⁾:

السَّوْسَنُ: نبت، أعجمي معرَّب، وهو معروف وقد جرى في كلام، العرب قال الأغشى:

وَآسٌ وَخَيْرِيٌّ وَمَرُوءٌ وَسَوْسَنٌ إِذَا كَانَ هِيْزَفَنٌ وَرُحْتُ مَخْشَمًا

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 84.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 412.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 6، ص 430.

وأجناس كثيرة وأطيب الأبيض:

والسوسن ليس من نبات أرض العرب، وأنواعه كثيرة، فمنه الأبيض والأحمر، والأصفر، والأزرق، والأسمانجوفي، ومنه بريّ وبستاني ومائيّ وجبليّ ورمليّ لم يرد ذكر السوسن في ديوان ابن حمديس كثيراً، فلم يتجاوز مرتين، إلا أنها حملت في طياتها دلالات جميلة، فقد وظّفها الشاعر توظيفاً رائعاً يقول في قصيدة مدح يذكر فيها شجاعة الممدوح وقوته وسطوته على أعدائه. ويقول.

بَحْرٌ إِذَا مَا الْقَرْنُ رَامَ عِبُورَهُ
عَطِبَتْ بِهِ مُهَجُّ الْجَبَابِرَةِ الْأَلِي
رَسَبَتْ بَلَجَّتَهُ النَّفُوسُ لَوْ طَفَّتْ
وَرَدَّ النَّجِيعَ وَسَوْسَنُ جَنِّيَاتِهِ
لَمْ يَلْقَ فِيهِ إِلَى السَّلَامَةِ مَعْبَرًا
بَصُرُوا بِكَسْرِي فِي الزَّمَانِ وَقَيْصَرًا
لَحَسِبْتُهُ قَبْلَ الْقِيَامَةِ مَحْشَرًا
ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِهِنَّ وَرَدًّا أَحْمَرًا⁽¹⁾

(الكامل)

ويقول في قصيدة مدح:

يَا لَهَا مِنْ جَنَّةٍ رُمَانِهَا
يَا عَلِيلَ الْقَلْبِ كَمْ ذَا تَشْتَهِي
مَا دَرَّتْ مَا لَمَسَتْ رَاحَةَ جَانِ
سَوْسَنَ النَّحْرِ وَعَنْابَ الْبِنَانِ⁽²⁾

(الرملي)

العناب⁽³⁾:

العناب: من الثمر، معروف، الواحدة عنابة، ويقال له السنجلان بلسان الفرس

والعناب: ثمر الأراك.

والعناب: العبيراء.

والعناب: الجبيل الصغير الدقيق المنتصب الاسود

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 235.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 9، ص 413.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 503.

والعنب: النبكة الطويلة في السماء الفادرة، المحددة الرأس، ويكون أسود وأحمر، وعلى كل لون يكون، والغالب عليه السمرة، وهو جبل طويل في السماء، لا ينبت شيئاً، مستدير.

والعنب: واحد، لا تعمه أي لا تجمعها، ولو جمعت لقلت: العنب

والعنب: واد والعنب: جبل بطريق مكة

والعنب: الرجل العظيم الأنف.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواضع يقول:

يا عليل القلب كم ذا تشتهي سوسن النحر وعنب البنان⁽¹⁾

(الرميل)

ويقول مشبها إبرة العقرب بالشوكة التي تكون على شجر العنب:

كان شوكة عنب بمبضعها يجرع السم منه من يصادفه⁽²⁾

(البيسط)

ثم يذكر العنب مرة أخرى في وصف العقرب:

وقد نصلت للطعن محني صعدة بشوكة عنب قتيل زبيها⁽³⁾

(الطويل)

عنب⁽⁴⁾:

العنب: معروف واحده عنبه ويجمع العنب أيضا على أعناب وهو العنباء

والعنب: الخمر

وقد ذكره ابن حمديس مرة واحدة في شعره يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 316.

(2) المصدر نفسه: ص 42.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 9، ص 413.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 45.

أَشْهَابٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ تَقْبُ

أَمْ سِرَاجٌ نَارُهُ مَاءُ الْعَنْبِ⁽¹⁾

(الرمل)

وقصد من ذكره الحديث عن الخمر.

غَابَةٌ:

الغابة: الأجمة التي طالت ولها إطراف مرتفعة بأسفة يقال ليث غابة

الغاب: الأجام والغابة: الأجمة والغابة الأجمة من القصب وقد جعلت جماعة الشجر لأنه مأخوذ من الغيابة.

الغابة: غيضة ذات شجر كثير

يقول ابن حمديس:

ككناسٍ بَعَمَتْ غَزَلَاتُهُ

من زئيرٍ راعَهَا مِنْ أُسْدٍ غَابِ⁽²⁾

(الرمل)

الْفِرْصَادُ:

فرصد: الفرصد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العنجد.

الفرصاد التوت وصل حملة وهو الأحمر منه والفرصاد: الحمرة وقد جاء استخدام هذه اللفظة قليلا.

يقول:

نَحَرْتُ شُؤُونِي بِالْبِكَاءِ عَلَيْهِ أَمْ

عَصَرْتُ مَدَامِعَهَا مِنَ الْفِرْصَادِ⁽³⁾

(الكامل)

ويقول:

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب، ج 10، ص 135.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 65.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 1، ص 230.

وَيَرَدُّ سُمْرَ الطَّعْنِ عَنِ اَرْضِ الْعَدَى

وَكَأَنَّهَا فِي صِبْغَةِ الْفِرْصَادِ⁽¹⁾

(الكامل)

القَضْبُ⁽²⁾:

القضب: الرطبة وألقت القضبة

القضب: ما أكل من النبات عضا

القضب: كل شجر سببت أعضائه

القضب: الفصافص واحدها قضبة وهي الاسفت بالفارسية

القضب: شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى.

القضب: السهام الدقاق

الكَافُورُ:

فأما الكافور المشموم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا:

القُفُورُ⁽³⁾. وقد جاء في التزويل "كان مزاجها كافوراً" (الإنسان 5).

فسر الجوهري الكافور بالطيب. والقُفُور بكافور النخل. وذكر صاحب اللسان

المعنيين. وهو بالفارسية كافور وبالفهلووية، وأصله من اللغات الهندية. فهو بالتاملية

إحدى اللغات الدرافيدية (كربورم) ومنه (كربُور) بالسنسكريتية. وهو بالسريانية

(قفوراً) و(قفور) فالكافور من الفارسية والقفور من السريانية. ودخلت الكلمة في

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 148.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 10، ص 230.

(3) الجمهرة: 401/2.

اللاتينية من اللغة العربية فهي Camphora بزيادة النون. أما كافور الطلعة وهو
وعاؤها الذي تنتشق عنه فعرابي وسمي كافوراً لأنه قد كفرها أي غطاها⁽¹⁾

وقد وردت لفظة الكافور في شعر ابن حمديس في مواطن متعددة نذكر منها، يقول:

كفُّ من الكافور هذي التي أرى من المسك عليها خضاب⁽²⁾
(السريع)

ويقول:

كأنما الكافور نثر ثلجنا أو ندف البرس لناقوس قرح⁽³⁾
(الرجز)

ويقول:

كأن مسك الليل في مغرقه فأنجلي عنه بكافور الصباح⁽⁴⁾
(الرمل)

النيلوفر⁽⁵⁾:

هو أنواع كثيرة فمنه أبيض الزهر وأصفر وأحمر وأزرق، ومنه بستاني وبري ونهري.
فالبستاني يصل في قدر تصل الأكل وأعظم، ذو طاقات كطاقات ثمر الصنوبر الكبار.

ومن النيلوفر ثلاثة أصناف تعرف بالليلية والسامرية، أحدها له لون أصفر ذهبي، في
لون النرجس الأصفر، وآخر أزرق اللون وآخر أحمر، وأصول هذه الأنواع الثلاثة يصل.
منابتها الرمال وبقرب البحر. وليس يظهر نباتها بالنهار البتة وبالليل تطلع وتنمو إلى أن تزهر
ثم تبرز وتنحطم عند تمام مدتها، وهي في هذا كله تطلع إذا أقبل الظلام وتغيب في التراب إذا
أقبل ضوء النهار.

(1) الجواليقي، أبو منصور موهوب ابن احمد: المعرب من الكلام الاعجمي، تحقيق عبد الرحيم، دار القلم، دمشق
1990، ص544.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 9.

(3) المصدر نفسه: ص 87.

(4) المصدر نفسه: ص 96.

(5) انظر عمدة الطبيب في معرفة النبات 394/1

ومن النيلوفر برئ، وهو أنواع كثيرة، فمنه الأصفر، وهو النهري ويعرف بالذهبي. ورقه مستدير متين كالمراوح قدراً وشكلاً، وفيها ملاسة لونها أخضر إلى الصفرة، تتبسط على المياه القائمة والغدران العميقة التي تكون في الأودية الشتوية، وهي على أذرع طوال، مدوّرة، رخوة، تخرج من وسطها قصبه كساق البردية.

ومنه نوع آخر أبيض يُعرف بنيلوفر البرك، وهو ثلاثة أصناف: أحدها له ورق كورق المتقدم، كثيرة تخرج من أصل واحد، وعرض زهره عَرْضَ كَفِّ الإنسان. مضَعَفُ الورق كورق الورد المضعف تحويها غاشية خضراء.

يقول ابن حمديس في النيلوفر:

أشربُ على بركةِ نيلوفرٍ
مُحَمَّرَةَ النّوارِ خَضْرَاءِ⁽¹⁾
كأنما أزهارها أخرجتْ
السنةُ النارَ من الماءِ
النَّارِنجُ:

(السريع)

من جنس الشجر الخشبي⁽²⁾، يذكره ابن حمديس فيقول:

وانظرُ إلى النَّارِنجِ في الطَّبَقِ الذي
أبدي تدانيَ وجنةٍ منْ وجنةٍ
النَّرجسُ⁽³⁾:

(الكامل)

بالكسر، من الرياحين، معروف، وهو دخيل. نرجس أحسن إذا أعرب، وذكره ابن سيده في الرباعي بالكسر، وذكره في الثلاثي بالفتح في ترجمة رفس.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 5.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 69.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، ص 102.

ذكر ديوسقوريديس وجالينوس هذا النبات ويسمى باليونانية نركسوس صفوته شبه لون
النيرون، وبالسريانية مريث، وبالعربية نرجس وباللطينية بنرجسينوس، وبالعجمية نبقيرس
وفلور أور، أي نوار الذهب.

على الرغم من أن هذا النبات ليس عربي الأصل والنشأة إلا أن ابن حمديس يذكره في
ديوانه وكأنه يشير إلى غربته عن بلاده، يذكر النرجس بالتنكير والتعريف فيقول:

وَلَيْلٌ هَوَتْ فِيهِ نُجُومٌ كَأَنَّهَا يَعَالِيلُ بَحْرٍ مُضْمَرِ الْجَزْرِ فِي الْمَدِّ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا فِيهِ بَاقَةٌ نَرْجَسٍ مِنْ الشَّرْقِ يُهْدِيهَا إِلَى مَغْرَبِ مُهْدٍ⁽¹⁾

(الطويل)

ويقول:

أَذَابِلُ النَّرْجَسِ فِي مَقَلَّتَيْكَ أَمْ نَاضِرُ الْوَرْدِ عَلَى وَجْنَتَيْكَ⁽²⁾

(السريع)

لقد جاء ذكر النرجس أقل من ذكر الورد بكثير في ديوان ابن حمديس، فلم يتجاوز عشر
مرات وردت فيها هذه اللفظة جاء في أكثرها نكرة وجمعاً، على غير ذكر الورد الذي جاء
عشرات المرات. وقد كان ذكر النرجس مرتبطاً إلى حد بعيد بذكر المرأة والتغزل فيها في ديوان
شاعرنا. ومما جاء ذكر النرجس فيه في غزله قوله:

أَذَابِلُ النَّرْجَسِ فِي مَقَلَّتَيْكَ أَمْ نَاضِرُ الْوَرْدِ عَلَى وَجْنَتَيْكَ
وَعَقْرِبَاءَ صَدَّغَيْكَ مِنْ عَنِيرٍ سُمَّهُمَا وَيْلَاهُ مِنْ عَقْرَبَيْكَ
وَرَدْفِكَ الْمُرْتَجِّ فِي غُصْنِهِ مَيَّاسٌ اهْتَزَّ بِرُمَّانَتَيْكَ⁽³⁾

(السريع)

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بفتاة جميلة، ويصفها وصفاً مفصلاً، ويلتمس لذلك
الصورة المليحة والحسن من التعليل، وقد ذكر النبات، النرجس والورد والعنبر والغصن وذكر
كذلك الرمان، كما ذكر العقرب من الحيوان. ولعل ذلك كله كان لازماً فاستحضره الشاعر

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150.

(2) المصدر نفسه ص 345.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345.

ليشكل صورة ملؤها الابتكار والتجديد فيها السحر والعذوبة وفيها الرقة، إلا أنه قد ذكر العقرب وهي حشرة زاحفة ضارة ولعل هذا قد أثر في رقة الصورة وجمالها شيئاً قليلاً.

ومما يؤكد اقتران ذكر النرجس بذكر المرأة والتغزل فيها قول الشاعر:

تَزْرَرُ صَوْنًا عَلَيْهَا الْخُدُورَ فَتُبْكِي عَيُونَ الْمَهَا الْكُنُسِ
وقد زارَ عَذْبَ اللَّمَى فِي الْأَقَاحِ أَجَاجُ الدُّمُوعِ مِنَ النَّرْجِسِ⁽¹⁾

(المتقارب)

فهو يصورها وقد أغلقت على خيمتها وأخذت تبكي وشبهه عينيها بالنرجس وشبه الشفاه بالأقاحي، فالشاعر يذكر النرجس ويذكر الأقاح ويحملها دلالة المرأة وتشبيهه العيون بالنرجس صورة مبتكرة عند الأندلسيين.

الوردُ

ورد: ورد كل شجرة نورها، وقد غلبت على نوعها الحوجم . قال أبو حنيفة الورد نور كل شجرة وزهر كل نبتة، واحده وردة، قال والورد ببلاد العرب كثير، ريفيه وبرية وجبلية.

ورد الشجر: نور . ووردت الشجرة إذا خرج نورها. الجوهرى الورد بالفتح، الذي يُشَمِّم، الواحدة وردة، وبلونه قيل للأسد وردٌ وللفرس وردٌ، وهو بين الكميت والأشعر.

ابن سيده: الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء⁽²⁾. لقد ذكر ابن حمديس الورد في ديوانه عشرات المرات، مما كان له أثر كبير في جماليات التعبير والدلالة في قصائده الرائعة. يقول في قصيدة يمدح فيها المعتمد.

أُنْكَرَتْ سَقَمَ مُذَابِ الْجَسَدِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِ عَيُونِ الْحُرْدِ
وَبَكَتُ فَالِدَمْعُ فِي وَجْنَتِهَا كَجُمَانِ الطَّلِّ فِي الْوَرْدِ النَّدِيِّ⁽³⁾

(الرملي)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 278.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 15، ص 267.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 138.

فيشبهه الشاعر جريان الدموع على الخدود بجريان الطل ويقصد به الندى على الورود.

وفي تشبيهه مقارب للسابق إلا أن الصورة عكسية تماماً يشبه ابن حمديس الخدود وتوردها وتفتح لونها وحمرتها وذلك سبب ماء الحسن بالورد الذي يجري الماء في عروقه فينتفتح. يقول:

رَقِيقُهُ مَاءِ الْحُسْنِ يَجْرِي بِخَدِّهَا كَجَرِيِ النَّدى فِي غَضِّ وَرْدٍ مُتَفَتِّحٍ⁽¹⁾
(الطويل)

ويذكر الورد بلفظ النكرة. فهي تشبه أي ورد جرى الماء في عروقه فتفتح.

وفي قصيدة مدح يتغزل بفتاة جميلة فيقول.

وَمَشَتْ تَرْتَحُ كَالنَزِيفِ وَمَشِيهَا فَضَحَ الْقَطَاةَ بِحَسَنِهِ وَالْجَوْدِرَا
فَعَجَبْتُ مِنْ غُصْنٍ تُدَافِعُهُ الصَّبَا بِالنَّهْدِ أَثْمَرَ وَالثَّنَايَا نَوْرَا
مَعشوقَةٌ حَيَّتْ بوردَةٍ وَجَنَّةٍ وَسَقَّتْ بِكَاسٍ فَمِ سُلَافًا مُسْكِرًا⁽²⁾
(الكامل)

إذا أردنا أن نتقصى الزهريات في ديوان ابن حمديس وجدناها منثورة في ثناياه مفردة حيناً، ومضمنة في أغراض أخرى كما هو الحال في مدح ووصف الخمر وحتى في الحربيات من شعره حيناً آخر، وخاصة أشعاره في الروض والرياض، إن المدقق في وصف الزهور والرياض عند ابن حمديس يجد نفسه أمام شاعر قد أحاط معرفة كبيرة وشاملة في مواسم تفتح الأزهار والتميز بين النباتات ذات الخضرة الدائمة، والنباتات الموسمية، فبراعم النرجس تتفتح مع إطلالة الربيع ولفترة قصيرة من الزمان في حين يتأخر الورد في تفتحه فلا يلتقيان أبداً.

لقد تغنى ابن حمديس بالزهور والورود بشعر جميل رقيق ضمنه أساليب تعبير مبتكرة فيأضة الخيال. تظهر دقة في الوصف، وقدرة فائقة على التجديد والابتكار، كما تظهر باعاً طويلاً في الفن الشعري. فقد صدر الشاعر في زهرياته عن شاعرية أصيلة عبّر فيها عن تعاطفه مع الزهور، مسجلاً صورة صادقة لانعكاسات هذا التعاطف في نفسه وقلبه.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 159.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 233.

على الرغم من أن ابن حمديس كان يقلد القدماء حيناً فيستلهم أسلوبهم وطريقتهم حتى أنه استخدم ألفاظهم، إلا أن ذلك لم يحد من قدرته على المجيء بصور جديدة مبتكرة وخلاقة، فهو يتمتع بقوة شخصية كان لها الأثر الأكبر في رسم صور كلية في عالم النبات والزهور والطبيعة. بأسلوب لم يتح للقدماء أن يمارسوا رسم مثلها بمثل ما جاءت به من الدقة والوضوح وتحديد الغاية التي يستفد منها من وراء رسمها.

ومن زهريات ابن حمديس التي افنتن بها الورود، التي ذكرها بكثرة في قصائد ديوانه. وقد جاءت بذكرها تحمل طابعاً تقليدياً حيناً، وتحمل دلالات جديدة ومبتكرة في أحيان أخرى. كما تراوح استخدامها بين التذكير والتعريف والإضافة. وبين الأفراد والجمع، وجمع الجمع أيضاً. وهذا ما يجعلها تحمل دلالات مختلفة ترجع معرفة معانيها إلى اللوحات التي ذكرت بها.

وبما أننا نتحدث عن فنتة ألفاظ الطبيعة وجمالها عند ابن حمديس، فنقف أولاً عند المعاني والدلالات المولدة التي حملتها الورود في شعر ابن حمديس ومن ذلك هجاؤه لباقة ورد حيث يقول:

وَبَاقَةٌ مُسْتَحْسِنٌ نَوْرُهَا وَقَدْ خَلَّتْ فِي الشَّمِّ مِنْ كُلِّ طَيْبٍ
كَمَعَشْرِ رَافَتِكَ أَتْوَابَهُمْ وَكَيْسٍ فِي جُمْلَتِهِمْ مِنْ أَدِيبٍ⁽¹⁾

(السريع)

فالشاعر يهجو هذه الباقة معللاً ذلك بأن زهورها قد خلت من الأريج، إلا أن الصورة قد جاءت ظريفة، والعرض جديد. كما جاء التشبيه فيها محكماً، ولكننا نأخذ على الشاعر هجاءها، فالأزهار والورود تبقى بجمالها فاتنة حتى لو خلت من الأريج وتجردت من العبير⁽²⁾.

ومع ذلك فقد يكون لشاعر العذراء في ذلك، فلعل ضيق الحياة وسوء أحوالها وغربته عن وطنه، وحنينه الذي لا يفارقه كلها مجتمعه جعلته يتبرم من الحياة حتى وصل به الأمر إلى أن يضيق بمظاهر الجمال فيها، وفيه انقباض نفسي عن الجمال الذي يريح النفس ويطمئنها من جهة وعن الناس من جهة أخرى.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 24.

(2) أنظر: الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، ص 277.

ومع ذلك فإنني أرى الشاعر يريد أن يوصل حكمة يعلنها إلى الناس من خلال هذا الهجاء أو لعلها رسالة يقول فيها أن الاهتمام بجوهر الأمور أفضل من أخذها بظاهرها من جهة. ومن جهة أخرى فهو يرى أن جمال الثياب لن يستمر ما في النفس والجسد من عيوب.

ومن الصور المبتكرة الجديدة في وصفه للورود رثاؤه لباقة ورد قد ذبلت يقول:

يا باقَةً في يَمِينِي للردَى بُذِلْتُ أَدَابَ قَلْبِي عَلَيْكَ الحُزْنَ والأَسْفُ
ألمْ تَكُونِي لتاجِ الحُسْنِ جَوْهَرَةً لَمَّا غَرِقْتُ، فَهَلَّا صَانَكِ الصَّدْفُ⁽¹⁾

(البيسط)

فالشاعر في هذه الأبيات يرثي تلك الباقة التي أصابها الذبول فيحترق حزنا وأسى عليها، بعد أن غرقت في بركة. فهو يشبهها بالجوهرة، ولما كان الجواهر من أصداف البحار، فقد استغل الشاعر تلك الفكرة الطريفة فوشى بها بيتيه. وقد يكون الشاعر يشبه أوراق الزهور بالأصداف وهو أقرب إلى التصور من التخريج الأول⁽²⁾.

وهذا أو ذلك أن المتمعن في البيتين يلمس قدرة عجيبة لدى الشاعر على توليد الألفاظ واستحضار معانيها في كل وقت وحين. فما هو يذكر الباقة والموت والقلب والحزن والجمال والتاج الذي يرمز إلى الرفعة والشموخ ويذكر البحر والأصداف، كل ذلك يستوحيه الشاعر بل يستحضره في بيتين ليرسم لوحة جميلة في أدواتها وألوانها إلا أنها حزينة في معانيها ودلالاتها.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل فنان بارع وشاعر مبدع وخيال فياض وسرعة عجيبة على استحضار ما هو غائب بعيد وموجود كل الظن أن وجوده ليس له ضرورة في توليد تلك اللوحة الفنية المتداعية المعاني، لوحة لم يعرفها الذوق العربي من قبل.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 315.

(2) أنظر: الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 278.

ج- الظواهر الجوية

البرق⁽¹⁾:

البرق: سوط من نور يزجر به الملك السحاب والبرق واحد من بروق السماء والبرق الذي يلمع في الغيم وجمعه بروق وبرقت السماء تبرق برقاً وأبرقت جاءت ببرق والبرقة المقدار من البرق.

والبارق: سحاب ذو برق والسحابة بارقة وسحابة بارقة ذات برق

وبرقت المرأة: تزينت

وبرقت: تعرضت وتحسنت

وقد وردت هذه اللفظة نكرة ومعرفة في ديوان ابن حمديس بما يزيد عن أربعين موضعاً.

يقول:

وتُشعلُ في جانبيها البروقُ بريقَ السيوفِ تُهزُّ أنتِضَاءُ⁽²⁾

(المتقارب)

وقصد البروق على حقيقة وبريق السيوف: لمعانها

ويقول:

وقهوة في الزجاج تحسبها شُعلة برق في الغيم ملتهب

(المنسرح)

ويقول:

أو على برق سماء ضاحك غيمه بالدمع منه منسكب⁽³⁾

(الرممل)

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 382

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(3) المصدر نفسه: ص 20.

ويقول:

شَرِبْنَا عَلَى إِيْمَاضِ بَرَقٍ كَأَنَّهُ سَنَا قَبَسٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ قَدْ شَبَا⁽¹⁾

(الطويل)

إيماض البرق لمعانه وضوءه القوي

كثير ذكر البرق في شعر ابن حمديس وقد جاء يحمل دلالات خاصة غير الدلالة العامة التي نعرفها. وهي أن البرق يكون مصاحباً للرعْد وسابقاً لنزول المطر ومبشراً به. وفي ذلك يقول:

وَطَائِرٍ فِي الْجَوِّ مِنْ مَغْرَبٍ فِي قَطْعِهِ اللَّيْلِ إِلَى مُشْرِقٍ
كَأَنَّمَا تَنْبُعُ مِنْ سُحْبِهِ شُعْلَةٌ نَفْطٌ لِلدَّجَى مُحْرِقٍ
لَوْ كَانَ يَبْقَى نُورُهُ فِي الدَّجَى كَانَ كَحَطِّ التَّبْرِ فِي المَيْلِقِ⁽²⁾

(السريع)

إن ابن حمديس يطلق عنان خياله وقوته على التصوير والإبداع ليصور لنا البرق بطائر يروح ويغدو بين المشرق والمغرب في الليل وهو في ظهوره كأنه نار تخبيء الظلام. ويبقى نوره مشرقاً في الظلام كما تظهر الكحلة في العين.

فكأن الشاعر بهذا التصوير تشرئب نفسه إلى أن يكون كالبرق يتجول بين الشرق والغرب وبذا يستطيع أن يعود أو يمر في وطنه السليب الذي غادره منذ سنين طويله.

وقد جاء ذكر البرق في الديوان في أكثر من خمسين موقعاً حملت دلالات مختلفة إيجاباً وسلباً فتارة، يكون البرق مبشراً بنزول الغيث الذي يروي ضمناً القلوب، وتارة يروي ضمناً النفس من الماء، وتارة للعطاء الذي يسخو به الأمراء والحكماء وخاصة في قصائد المدح وأخص بالذكر ما كان منها نكرة، فكأنه عطاء غير منتظر أو أن يكون عكس ذلك تماماً فقد يشير بالخوف والحزن.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 51.

(2) المصدر نفسه: ص 335.

الحرّ

الحرّ: ضد البرد والجمع حرور واحارر على غير قياس من وجهين احدهما بناؤه والآخر إظهار تضعيفه والحر: نقيض البارد والحرارة ضد لبرودة

وتقول: حر النهار وهو يحر حرا وقد حررت يا يوم تحر وحررت تحر بالكسر وتحر وحرا وحرّة وحرارة وحرورا أي اشتد حروه وقد تكون الحرارة للاسم وجمعها حينئذ حرارات.

الحرّة والحرارة: العطش ورجل حران: عطشان من قوم حرار وحراري وحراري.

والحرارة: الحرقّة في الغم

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في مختلف معانيها يقول:

لا يَلْحَظُّ الحَرَّ إِلَّا مِثْلَمَا وَقَعَتْ على أخي سيئاتٍ عينٌ ذي غَضَبٍ⁽¹⁾

(البسيط)

وقصد بالحر: العطش

ويقول في ذات المعنى لكلمة حر

إِذَا نَزَلَ الرِّكْبَانُ طَابَ لِنَفْسِهِ على الجمرِ مِنْ حَرِّ الهَجِيرِ رُكُوبٍ⁽²⁾

(الطويل)

كما استخدم اللفظ للدلالة على العطش يقول:

فَمِنْ لِي بَوْدُقٍ مُطْفِئٍ حَرِّ غَلَّتِي أَبَاكَرُ طَلًّا مِنْ أَقَاخِيهِ عَذْبًا⁽³⁾

(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 17.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 51.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج5، ص 242.

الرَّعْدُ⁽¹⁾:

رعد: الرعدة النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أَرعد فارتعد.

وترعد: أخذته الرعدة والارتعاد والاضطراب.

الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب، وأرعد القوم وأبرقوا أصابهم رعد وبرق. ورعدت

السماء ترعد وترعد رعدا ورعدا وأرعدت: صوتت للإمطار.

سحابة رعادة: كثيرة الرعد.

أرعدنا: سمعنا الرعد، رعدنا: أصابنا الرعد.

الرعد: ملك من الملائكة كما يزعم الفقهاء.

رعدت المرأة: تحسنت وتعرضت ورعد بالقول يرعد رعدا، وأرعد: تهدد وأوعد.

يقول:

كما يسمع الفحل شَوْلاً رِغَاءً⁽²⁾

(المتقارب)

فَمِنْ صَوْتِ رَعْدٍ يَسُوقُ السَّحَابَ

ويقول:

يُقَهِّقُهُ ضَاكِكُهُ بِالرُّعُودِ⁽³⁾

(المتقارب)

سَقَى اللَّهُ مِنْهُ الْحَمَى عَارِضاً

وقد استخدم اللفظ على الشبيه فيقول في وصف الجيد:

صَعَقَاتٍ مِنْ بُرُوقٍ وَرُعُودٍ⁽⁴⁾

(الرمل)

نَقَعُهُ كَالْغَيْمِ مُلْتَفّاً عَلَى

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(2) المصدر نفسه: ص 116.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 157.

(4) المصدر نفسه: ص 175.

ويقول:

كغَيْثِ هَمَى مَا فِيهِ بَرْقٌ وَلَا رَعْدٌ⁽¹⁾

(الطويل)

وإن جادَ كانَ الجودُ منه مهناً

ويقول مشبها مقارعة السيوف بالرعد:

رعدُ يَصُوبُ مِنَ الدماءِ بوابِلِ⁽²⁾

(الكامل)

وَمِنَ البُرُوقِ عَلَى الرُّؤُوسِ لَوْقَعِهَا

والرعد من الظواهر الجوية التي احتفل بذكرها ابن حمديس في شعره، إلا أن ذكرها في الديوان لا يشكل ثلث ذكر الشاعر للبرق على الرغم من أن البرق والرعد اعتدنا على رؤيتهما متعاقبين في السماء. ولعل هذا يدل على أن ذكر الشاعر لهما لم يعتمد على الدلالة الحقيقية لهما، بل إن الشاعر قد استثمرها في أشعاره وموظفاً ما يحملان من دلالات معنوية ومادية، سلبية وإيجابية حتى يستطيع أن يستكمل بناء صورة التي نسجها من خيال الرائع ويصقل من خلالها إبداعه.

وقد جاء ذكر الرعد مقارنة بذكر البرق في مواقع قليلة في الديوان، والفرق بين ذكر كل منهما أن الشاعر قد أفرد ذكر البرق في مقطوعة مستقلة، أما ذكر الرعد فقد جاء في قصائد مختلفة الأغراض ولم يفرد لها الشاعر قصيدة أو مقطوعة.

ومن المعاني الجديدة المبتكرة لدلالة ذكر الرعد عند شاعرنا قوله في وصف الأسد:

وَيَلْمَعُ بَرْقٌ مِنْ حَمَالِيْقِهِ الحمر⁽³⁾

(الطويل)

يُصَلِّصُ رَعْدٌ مِنْ عَظِيمِ زَيْبِرِهِ

فالشاعر يوظف الرعد دلالة على قوة زئير الأسد وكأن السماء عندما تسمع زئيره تهبأ لنزول المطر وهذا يبشر بالخير.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 382.

(2) المصدر نفسه: ص 550.

(3) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 355.

ومن الصور الجميلة التي يذكرها الشاعر للرعء، صورة يجعل فيها الرعد حزيناً باكياً
يصرخ وقد تكررت هذه الصورة في مراثي ابن حمديس، حيث نرى أن الرعد يصرخ حزيناً
على فراق من يرثيه الشاعر. وكأن الدنيا كلها تستجيب لحزن الشاعر فتحزن يقول في قصيدة
يرثي بها القائد أحمد بن إبراهيم:

وتولت عند التناهي افتراقاً
اسمع الرعد فيه صرخة حزن
ومضى ربه الوفي الوصول
ملء ليل الحزين فيه أليل⁽¹⁾

(الخفيف)

ريح، رياح⁽²⁾:

ريح: الأريح: الواسع من كل شيء، والأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف.

الرياح: بالفتح: هي الخمر وكل خمر رياح وراح.

يوم راح: شديد الريح، وراح يروح ريحا: اشتدت ريحه.

ريح القوم: دخلوا في الريح.

راحت الريح الشيء: أصابته.

وعضن مريح ومروح: أصابته الريح.

وقد استخدم ابن حمد يس هذه اللفظة عشرات المرات ما بين ريح ورياح. ويقول:

وريح خفيفة روح النسيم
أطت بليلاً وهبت رُخاء⁽³⁾

(المتقارب)

ويقول:

ويا ريح إماما مريت الحيا
ورويت منه الربوع الظماء

(المتقارب)

ويقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 399.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 5، ص 356.

(3) المصدر نفسه: ص 90.

كَأَنَّ مَفْتُوتَ عَبِيرٍ بِهَا

مُطَيَّبٌ مِنْهُ هُبُوبُ الرِّيحِ (1)

(السريع)

ويقول:

كَأَنَّهَا وَالرِّيحُ تَهْفُو بِهَا

قُلُوبٌ أَعْدَانِكَ يَوْمَ الْكِفَاحِ (2)

(السريع)

والريح والرياح وريحاً وريحه وريح، كلها ألفاظ استخدمها ابن حمديس في قصائده في مختلف أغراضه، لذا فقد حملت دلالات مختلفة من غرض إلى آخر، ومن موقع إلى موقع، فجاءت تحمل معاني الخير والبشارة، كما حملت معاني القوة والقسوة في مواقع أخرى. معاني القوة الدالة على الخير والعطاء من جهة ومعاني القوة الدالة على البشر من جهة أخرى، وخاصة في قصائده التي يذكرها فيها صقلية والدفاع عنها في وجه النورمان.

فالريح والتي ترمز إلى القوة والقسوة، وتحمل دلالة الحزن والشعر، ومن ذلك ذكرها في

قصيدة يرثى بها الشاعر القائد عبد الغني ابن القائد عبد العزيز الصقلي وفي ذلك يقول:

وَأَفْشَتْهُ مِنْ لِسَانِ النِّعِيِّ

أَيَّ رِزءٍ جَاءَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي المَاءِ

فِي ابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ عَبْدِ الغَنِيِّ (3)

وَمُصَابٍ أَصَابَ كُلَّ فَوَادٍ

(الخفيف)

ولكنّ الريح يحمل دلالة إيجابية في مقطوعة يصف بها الشاعر سحابة. شبهها بالمرأة التي تحمل في بطنها جنيناً دلالة على وجود الماء فيها يقول:

كَانَتْ لَهَا عِنْدَ الرِّيَاضِ يَمِينَا (4)

وَسَرَتْ بِهَا الرِّيحُ الشَّمَالُ فَكَمَّ يَدِ

(الكامل)

وقد وردت الريح والرياح في الديوان في أكثر من ستين موقعاً

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 527

(2) المصدر نفسه: ص 490.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 136.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 527.

وَمُصَابٍ أَصَابَ كُلَّ فَوَادٍ فِي ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَبْدِ الْغَنِيِّ (1)

(الخفيف)

ولكنّ الريح يحمل دلالة إيجابية في مقطوعة يصف بها الشاعر سحابة. شبهها بالمرأة التي تحمل في بطنها جنيناً دلالة على وجود الماء فيها يقول:

وَسَرَتْ بِهَا الرِّيحُ الشَّمَالَ فُكَمَّ يَدٍ كَانَتْ لَهَا عِنْدَ الرِّيَاضِ يَمِينَا (2)

(الكامل)

وقد وردت الريح والرياح في الديوان في أكثر من ستين موقعاً

السباسب (3):

سبب: إذا قطع رحمه

والسب: القطع، سبه سبا: قطعه قطعاً، والتساب: التقاطع.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع، وقصد بها المشي لمسافات طويلة في الصحراء.

يقول:

أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ تَعَسَّفُ سَبَسَبٍ يُعَقِّلُ أَخْفَافَ النَّجَائِبِ عَاتِكَةَ (4)

(الطويل)

قصد بالسبب: الصحراء.

ويقول:

لَهَا شَرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا أَطَالَ لَهَا سَبَسَبٌ أَمْ عَرَضُ

(المتقارب)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 490.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص: 136

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 341.

(4) ابن حمديس، الديوان، ص: 292

وقصد بالسبب الصحراء الممتدة الواسعة.

السَّحَاب، سَحَابَة، سُحْبٌ(1):

السحابة: الغيم والسحابة: التي يكون عنها المطر سميت بذلك لانسحابها في الهواء والجمع سحائب وسحاب وسحب، وخليق أن يكون سحب جمع سحاب الذي هو جمع سحابة.

سحابة اليوم: طول اليوم.

تسحب عليه: أدل عليه

تسحب في حقه: اغتصبه وأضافه إلى حقه وأرضه

يقول:

كما يسمعُ الفحلُ شَوْلًا رِغَاءً(2)

(المتقارب)

فمن صَوْتِ رَعْدٍ يَسُوقُ السَّحَابَ

ويقول:

لأملأهنَّ مِنَ الدَّمْعِ ماءً(3)

(المتقارب)

فَسُوقِي إِلَيَّ جِهَامَ السَّحَابِ

ويقول:

سليلِ ضُرُوعٍ أَرْضِعَتْ حَلَبَ السُّحْبِ(4)

(الطويل)

وَجِسْمٍ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ رُوحٌ لَذَّةٌ

ويقول:

وقد كان يُسْقَى عَذْبَ ماءِ السَّحَائِبِ(5)

(الطويل)

ويا ربَّ نَبْتٍ تَعْتَرِيهِ مَرَارَةٌ

ويستخدم اللفظ على التشبيه:

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 185

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(3) المصدر نفسه: ص 4.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 19

(5) المصدر نفسه: ص 29.

في سرير الملك منه قمرٌ

يُجْتَلَى يَوْمَ الْعَطَايا بِالسُّحُبِ (1)

(الرمل)

ويستخدم اللفظ بمعنى اغتصبيه:

إذ العيش يجري في الحياة نعيمه

وذيل الشباب الغض أركضه سحبا (2)

(الطويل)

واستأثرت الظواهر الجوية بعامة بنصيب وافر في ديوان شاعرنا فكان لها حضور أصفى بظلال وارفة شغلت حيزاً من إحساسه وخياله، فأبدع في وصفها وتأنق في استقصاء جمالها وسحرها في الطبيعة ومنها وصف السحاب وفي ذلك يقول:

ومُدِيمة لَمَعَ البروق كأنما
وسرت بها الريح الشمال فكم يد
صرخت بصوت الرعد صرخة حامل
حتى إذا ضاقت بمضمر حملها
قطراً تتأثر حبه فلو أنه
وكانما عمي الرياض بدمعه
هزت من البيض الصفاح متونا
كانت لها عند الرياض يمينا
ملأت بها الليل البهيم أنينا
ألقت بحجر الأرض منه جنينا
دُرُّ تَنْظَمُهُ لكان ثميناً
كسيت من الزهر الأنيق عيوناً (3)

(الكامل)

فقد بدأ الشاعر هذه المقطوعة بدأ مشرقاً تحس فيه بأنه استقبل هذه السحابة بنفس هادئة مطمئنة لا أثر فيها لخوف أو حزن، وفجأة يعلن الشاعر عن مشاعره، وكأنني به يغالبهما قبل ذلك أو يعاني ألماً، فحاول أن يخفيه هنا خلف لمعان البرق واهتزاز السيف الذي لا ينتهي ومسرى النسيم ونفح الرياض بأطيابها، وعندما تهيان استرسل في ذلك وكأنه يحاول استغلال القارئ ليبادل ابتسامة بابتسامة يفاجئه بصرخة ملؤها الضيق والحزن والدموع. لذا شبه السحابة بالمرأة الحامل التي أقض مضجعها الحمل فضاقت به فألقته في حجر الأرض ليتفجر زهوراً ورياضاً (4).

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 47.

(2) المصدر نفسه: ص 51.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 490 - 491.

(4) أنظر، شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً، ص 84..

وقد جاء وصف السحاب في الديوان مختلفاً بين الأفراد والجمع وبين التعريف والتكثير، وقد تراوح تعريفه بين أن يكون معرّفاً بأل التعريف أو أن يكون مضافاً إلى ضمير وكان الشاعر يفرق بين السحاب الذي يغطي السماء وبين سحاب آخر يرتبط بموصوفه أو ممدوحه وغالباً ما يحمل الدلالة الإيجابية ويقصد به الشاعر العطاء، وقد تكرر هذا في قصائد المدح أكثر من أي غرض آخر. قد وردت لفظ السحب والسحاب أكثر من ثلاثين مرة في صفحات الديوان. وظفها الشاعر في أغراضه وقد جمع بين المعاني التقليدية لها وبين معاني مبتكرة مولده كان لها أثر في أضفاء معاني جديدة فيما وردت من نصوص.

ومن المعاني التي جاءت السحب تدل عليها العطاء والسخاء ومن ذلك ما ورد في قصيدة يمدح فيها الأمير يحيى بن تميم:

مَلِكٌ عَنْ ثَغْرَةِ الدِّينِ اتَّقَى
وَرَمَى الأَعْدَاءَ بِالجَيْشِ اللُّجْبِ
فِي سَرِيرِ المَلِكِ مِنْهُ قَمَرٌ
يُجْتَلَى يَوْمَ العَطَايَا بالسُّحْبِ⁽¹⁾

(الرملة)

فالشاعر يربط بين السحب التي ملأها الماء وبين ملك الممدوح الذي أصبح العطاء له عنوان يعرف به.

الصَّبَا(2):

الصَّبَا: ريح معروفة تقابل الدبور وفي الصحاح: الصبا ريح مهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار نيحتها الدبور.

الصبا: ريح تستقبل البيت، قيل لأنها تحن إلى البيت. والجمع صبوات وأصباء. وقد صبت الرياح تصبو صبوا وصبأ.

صبي القوم: أصائبهم الصبا، واصبوا: دخلوا في الصبا

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 47.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج7، ص 284.

يقول:

إِذَا الصَّبَا زَلَقَتْ فِيهِ سَنَابِكُهَا

حسبته مُنْصَلَا فِي مَتْنِهِ شُطْبٌ (1)

(البسيط)

ويقول:

وَالصَّبَا فِي مَعَاطِفِي وَكَأَنِّي

غُصْنٌ فِي يَدِ الصَّبَا يَتَأَوَّدُ (2)

(الخفيف)

ويقول:

أَمْسِكِ الصَّبَا أَهْدَتْ إِلَى صَبَا نَجْدِ

وَقَدْ مُلِّتْ أَنْفَاسُهُ لِي بِالْوَجْدِ (3)

(الطويل)

الفجر

لقد اعتاد الشعراء على شرب الخمر واحتسائها عند أول الصباح، ومع انبثاق أو خيوط نور من أعماق الأفق، وتغنى به وقت الضحى، فنشأ عن مجالس الفجر الخمرية هذه لون طريف من ألوان الوصف، وهو ما يسمى بالفجريات، وقد تكون عوامل أخرى ساعدت في ذلك، غير الصبوح والتي أصبحت فيما بعد اسماً من أسماء الخمر، وقد ازدهر هذا الفن واتسع إلى حد كبير بين الشعراء وخاصة شعراء اشبيلية وكثر القول فيه عند الحديث عن خمرياتهم التي عجت بها اشعارهم.

ولشاعرنا نماذج رائعة يصف فيها الفجر وشربه للخمر صباحاً يقول:

وَلَيْلٍ رَسَبْنَا فِي عُبَابِ ظَلَامِهِ

إِلَى أَنْ طَفَا لِلصَّبْحِ فِي أَفْقِهِ نَجْمٌ

كَأَنَّ أَنْصَادَ الْفَجْرِ نَارًا يَرَى لَهَا

وَرَاءَ حِجَابِ حَالِكِ نَفْسٍ يَسْمُو

وَتَحَسَّبُهُ طِفْلاً مِنَ الرُّومِ طَرَفَتْ

بِهِ مِنْ بَنَاتِ الزَّنَجِ قَائِمَةً أُمٌ

أَأَعْلَمَ فِي أَحْسَانِهَا أَنَّ عُمْرَةَ

لَدَى وَضَعِهِ يَوْمَ فَشِيَّةِ الْوَهْمِ (4)

(الطويل)

(1) ابن حمديس، الديوان: ص 25.

(2) المصدر نفسه: ص 149

(3) السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباد. ط1، مطبعة النعمان، النجف الاشرف. 1972. ص 121.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 406.

فهذه الأبيات تدل على عمق إحساس شاعرنا بالفجر وتحسسه لجماله وهدوئه وروعته، لذا اختاروه وقتاً مناسباً لشرب الخمر، ولعله ما يلزمها أو أنه طقس من طقوس شربها، لذا فالشاعر يذكر ويبعد في وصفه، بل إنه برع في ذلك فجاء بصورة غاية في الروعة والبهاء، فهو ينتظر بزوغ نجمة على أحر من الجمر، كما صور ظهور الفجر وكأنه نار تشتعل معلنة وقت اللهو فهو يقول في قصيدة أخرى:

شَرِبْنَا وَلِلْأَصْبَاحِ فِي اللَّيْلِ غُرَّةً	تَزِيدُ أُنْدِيَا حَافِئًا بَيْنَ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ
عَلَى رَوْضَةٍ تَحْيَا بِحَيَّةٍ جَدُولٍ	يَفِيءُ عَلَيْهِ وَظَلَّ أَجْنَحَةَ الْقَضْبِ
بِأَزْهَرِ يَحْتَوِ اللَّهْوُ فِيهَا عَرَانِسًا	كَرَاسِيهَا أَيْدِي الْكِرَامِ مِنَ الشَّرْبِ (1)

(الطويل)

الليل والنهار:

لقد وظف ابن حمديس ذكر الليل والنهار بصور متعددة ومختلفة، إلا أن الدلالة القديمة الجديدة لهما لم تتغير في شعره، وإن جاء على صورة أجمل وأبهى من ذكرها قديماً، فالليل يرمز إلى الخوف والظلم والظلام والأعداء، والنهار يرمز إلى النور والضياء والإشراق والحرية. وقد جاء وصف الليل ذكره ليدل على الأعداء الذين احتلوا صقلية، حتى أن مجيء الليل طالما ذكر الشاعر بذلك أنظر إليه يقول في بيتين كان يصف بهما ثريا السماء.

وَلَيْلٍ كَأَنِّي أَجْتَلِي مِنْ نَجْوَمِهِ	حَرِيقَ نُبَالٍ أَوْ بَرِيقَ نِصَالٍ
أَشِيمُ الثَّرِيًّا فِيهِ طَالِعَةٌ كَمَا	تَنَيْتَ نِظَامًا فِيهِ سَبْعُ لَالٍ (2)

(الطويل)

ففي البيتين السابقين يوظف الشاعر الطبيعة ومظاهرها ليذكر الحرب ومعانيها، فالحرب والثأر ذات تأثير عاطفي عليه، فوجدت هذه المعارك طريقها إلى أدبه بصفة عامة وإلى وصفه بصفة خاصة وزحفت المعاني الحربية إلى المناظر الطبيعية.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 19.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 360.

كما نشاهد الشاعر دائما يصور الليل والنهار على هيئة متحاربين وكأنه يصور بذلك المعنى الذي عناه في قوله:

إِن سَأَلْتُمْ وَهِيَ لَا تُسَالِمُنَا أَيَّامَنَا حَارَبَتْ لَيَالِيهَا⁽¹⁾

(المنسرح)

النَّسِيم⁽²⁾:

نسم: النسم، والنسمة: نفس الروح. وما بها نسمة أي نفس والنسم والنسيم: نفس الريح إذا كان ضعيفا، وقيل النسيم من الرياح التي يجيء منها نفس ضعيف، والجمع منها أنسام.

أنسامها: روائح عرقها. ويقول لها ريح طيبة، والنسيم: الريح الطيبة.

يقال نسمت الريح نسيما ونسمانا، وتنسم النسيم: تشممه.

النسمة: الربو

ونسيم الريح: أولها حين تقبل قبل أن تشتد.

المنسم: طرق خف البعير والنعامة والفيل والحافر.

نسم: ضرب

يقول:

وَرِيحٌ حَفِيفَةٌ رَوْحِ النَّسِيمِ أَطَّتْ بَلِيلٌ وَهَبَتْ رُخَاءً⁽³⁾

(المتقارب)

ويقول:

تَنَاوَلْتُهَا وَنَسِيمُ الرِّيَاضِ ذَكَرِي النَّسِيمَ عَلِيلُ الْهُبُوبِ⁽⁴⁾

(المتقارب)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 517.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج14، ص 129.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 13.

ويقول مشبها المطر الفواح بالنسيم:

رِيحَانَةٌ فِي لَطِيفِ الرُّوحِ قَدْ غُرِسَتْ لَهَا النِّسِيمُ الَّذِي تُحْيِي بِهِ النَّسْمَا⁽¹⁾

(البسيط)

وقد ورد ذكره في الديوان في أكثر من ثمانية عشر موقعا بذات اللفظ اختلفت بين التعريف والتكثير والإضافة، وقد برع الشاعر في توظيف النسيم في شعره. حيث استطاع أن يحمله دلالات معنوية جميلة، فتارة يذكره على حقيقته ليكون عاملاً مهماً في تلطيف الجو، وتارة يجعله يبشر بالرخاء والاسترخاء والسعادة، وتارة يكون معتلاً يحمل بين طياته ريح الأعداء الذين جعلوا هذا النسيم عليلاً بأنفاسهم المريضة العفنة فكان يصاب بالمرض، وهي إشارة إلى قدم الأعداء على الديار وغزوها وهذا واضح في توظيف الشاعر لمعنى النسيم، يقول:

كَأَنَّهُمْ شَيَاطِينٌ وَلَكِنْ رَمَيْتَهُمْ بِمِحْرَقَةِ النُّجُومِ
عُلُوجٌ قَمَصُ حَرْبِهِمْ حَدِيدٌ يُعْبِرُ عَنْهُمْ سَهْكَ النِّسِيمِ⁽²⁾

(الوافر)

فقد حمل ذكر النسيم هنا دلالة سلبية محزنة للشاعر إلا أن ذكره جاء بصورة جميلة مولدة ومبتكرة، أوصل الشاعر من خلالها إحساسه بالألم من جهة وأن الطبيعة بكل ما فيها تشاركه هذا الحزن والألم. ولعل هذا يواسيه ويعزيه ويخفف عنه قسوة الاغتراب وشدة الحنين إلى الوطن.

ومن الصور الإيجابية أن يجعل الشاعر النسيم وسيلة يعتمد عليها ليفخر بالمدوح. فالنسيم كفيل بنقل كرم المدوح وسخائه والحديث عن عطائه إلى مختلف أرجاء الدنيا وفي ذلك يقول:

عَدَلْتُ بَعْدَ سِيرَةِ الْجُورِ لَمَّا نَرَجَسَ الْمَزْجُ لَوْنَهَا الْجُنَّارِيَّ
وَحَكَى نَشْرَهَا النَّسِيمُ وَلَكِنْ بَعْدَمَا نَامَ فِي حُجُورِ الْبَهَّارِ⁽³⁾

(الخفيف)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 470.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 438.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 228.

الهواء⁽¹⁾:

هوا: الهواء:ممدود: الجو ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية، وأهل الأهواء واحدها هوى، وكل فارغ هواء

والهواء: الجبان لأنه لا قلب له، فكأنه فارغ.

هواء: فارغ، لا يعقل، لا عقل له.

الهواء: كل فرجة بين شيئين، كما بين أسفل البيت إلى أعلاه

يقول:

كَانَتْشَاقِ الْهَوَاءِ لَيْسَ يُمَلُّ⁽²⁾
(الخفيف)

لَا يُمَلُّ الْحَدِيثُ مِنْهَا مُعَادَا

ويقول:

يُطَيِّبُ طَيِّبٌ تَرَاهَا الْهَوَاءَ⁽³⁾
(المتقارب)

وَلَا تَعَجَّبِي فَمَعْنَايَ الْهَوَى

د - التضاريس:

1. أديم⁽⁴⁾:

أديم كل شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها؛ قال الجوهري: ربما سمي وجهة الأرض أديمها.

ورجل مؤدم: أي محبوب، ورجل مؤدم مبشر: حاذق مجرب، قد جمع لنا وشدة مع المعرفة بالأمور، وأصله من أدمة الجلد وبشرته، فالبشرة ظاهرة، وهو منبت الشعر. والأدمة: باطنه

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج15، ص 66.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 353.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(4) بن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 96.

وهو الذي يلي اللحم، فالذي يراد منه أنه قد جمع لين الأدمة وخشونة البشرة وجرب الأمور، أديم النهار: بياضه وقيل أديم النهار عامته، أديم السماء: ما ظهر منها.

فلان برئ الأديم مما يلطخ به، الأدمة: السمرة.

لم يستخدم ابن حمديس هذه اللفظة على اختلاف معانيها وتعددتها سوى مرة واحدة، وقد قصد بالأديم وجه الأرض يقول:

فَتَوْبُ الْجَوِّ مُغْبَرُ الْحَوَاشِي وَوَجْهُ الْأَرْضِ مُحَمَّرٌ الْأَدِيمِ⁽¹⁾

(الوافر)

البيداء⁽²⁾:

البيداء: الفلاة، والبيداء: المفازة المستوية يجري فيها الخيل، وقيل مفازة لا شيء فيها، ابن جني، سميت كذلك تبديد من يحلها، ابن شميل: البيداء المكان المستوي المشرف، قليلة الشجر جرداء، البيداء: الصحراء، لأنها تبديد سالكتها والإبادة الإهلاك والجمع بيد، كسره تكسير صفات لأنه في الأصل صفة، أو لو كسروه تكسير أسماء فقبل بيديات لكان قياساً.

ولم ترد لفظة ببداء سوى بضع مرات في ديوان ابن حمديس، وقد استخدمها على معناها الحقيقي، يقول:

يَحْتُونُ لِلْهَيْجَاءِ جُرْدًا سَلَاهِبًا وَيُنْضُونَ فِي الْبَيْدَاءِ بُرْلاً صَلَاحًا⁽³⁾

(الخفيف)

وقد جاءت الكلمة معرفة في أماكن ذكرها وهذا يدل على أن الشاعر قصد منها معناها الحقيقي.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 438.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 458/1.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 426.

الجَبَل، الجبال⁽¹⁾:

جبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطود والشناحيب، وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان والقور والأكم، والجمع أجبل وأجبال وجبال.

الجبل: المجد والشرف.

جبلَة الجبل وجبلته: تأسيس خلقته التي جهل وخلق عليها.

الجبل: سيد القوم، وابنة الجبل الحية، لأن الجبل مأواها.

ابنة الجبل: الصدى والرجل الإمعة المتابع الذي لا رأي له والداهية.

وابنة الجبل: القوس

جبل: خلف وجبله على الشيء طبعه عليه

والجبل: الضخم

يقول:

مَا قَرَّبِي السَّيْرُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ إِنَّا كَمَا قَرَّ جَارِي الْمَاءِ فِي صَبَبٍ⁽²⁾

(البيسط)

وقصد بالجبل: وتد من أوتاد الأرض

ويقول وقد قصد بالجبل سيد القوم:

تَبَرَّكَتِ الْأَيْدِي بِتَسْوِيَةِ الثَّرَى عَلَى جَبَلٍ رَاسِي الْأَنَاءِ عَلَى هَضْبٍ⁽³⁾

(الطويل)

ويقول مشبها السفن بالجبال:

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج2، ص 169.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 17.

(3) المصدر نفسه: ص 36.

جِبَالٌ طَفَّتْ فَوْقَ الْمِيَاهِ وَغِيضَتْ

بِسْمِ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ عِلْضَى الْإِسْدِ⁽¹⁾

(الطويل)

ويقول:

عَزَاءً جَمِيلٌ فِي الْمَصَابِ فَإِنَّكُمْ

جِبَالٌ حُلُومٌ بَلْ طَوَالِعُ أَنْجُمٍ⁽²⁾

(الطويل)

وقصد بالجبال هنا: المجد والشرف.

السَّهْلُ⁽³⁾:

السَّهْلُ: تراب كالرمل يجيء به الماء، وأرض سهلة: كثيرة السهلة، فإذا قلت سهلة فهي نقيض حزنه

يقال لرمل البحر: السهلة بكسر السين

السَّهْلُ: رمل خشن ليس بالدقاق الناعم.

السَّهْلُ: الخراب.

السَّهْلُ من الأرض: نقيض الحزن، وهو من الأسماء التي أجريت مجرى الظروف، والجمع سهول.

ولم يذكر ابن حمديس هذه اللفظة سوى مرتين.

يقول:

خُلِقِي مَطِيَّةً خُلِقَهَا وَهَمَّا

سَهْلٌ يَدِيرُ عِنَانَهُ وَعَرٌّ⁽⁴⁾

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 153.

(2) المصدر نفسه: ص 485.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 412

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 200.

ويقول:

وَفِي كُلِّ سَيْفٍ سَايَرَتْ مِنْهُمْ الْعَدَى
قَبَائِلُ مِنْهَا أَشْبَعُ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ⁽¹⁾
(الطويل)

الصَّخْرُ⁽²⁾:

صخر: الصخرة: الحجر العظيم الصلب، والجمع صخر، وصخر وصخور وصخورا وصخرة
وصخرة وصخرات.

وقد ذكر ابن حمديس هذه اللفظة بضع مرات.

يقول:

يُذِيبُ صَمَّ الصَّخْرِ حَرًّا لَادَعٌ
يَقْبِضُ فِيهِ رُوحَ كُلِّ زَعَزَعٍ⁽³⁾
(الرجز)

ويقول:

لِي قَلْبٌ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ أَقْسَى
وَهُوَ مِنْ رِقَّةِ النَّسِيمِ أَرْقُ⁽⁴⁾
(الخفيف)

الفَلَاةُ⁽⁵⁾:

فلاة: فلا، فلا الرجل: إذا سافر، وفلا إذا عقل بعد جهل. وفلا إذا قطع.

فليت الشعر: إذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه، وفلوت القوم: تخللتهم.

يقال: فليت الرجل فلينا في عقله وأفليه إذا نظرت ما عقله.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 257.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج7، ص 295.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 301.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 321.

(5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج10، ص 330.

والفلاة: المفازة، والفلاة القفر من الارض، لأنها فليت من كل خير أي فطمت وعزلت، وقيل: هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات وفلي وفلى.

والفلاة: التي لا ماء فيها ولا أنيس.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة عشر موقعا، منها ما جاء على صيغة الجمع، ومنها ما جاء على صيغة المفرد.

يقول:

أَبْنَتْ الْجَدِيلَ الْقَاطِعِ الْبِيدِ جَدًّا لِي سَبَّاسِبَ مِنْ غَوْلِ الْفَلَا وَظَرَابَا⁽¹⁾
(الطويل)

ويقول:

مِنْ كُلِّ مُخْتَصِرِ الْفَلَاةِ بِمُعْجَلٍ فَكَأَنَّهَا إِجَازُ لَفْظِ أَدِيبٍ⁽²⁾
(الكامل)

ويقول:

وَلَقَدْ سَرَيْتُ بِفَتِيَةٍ قَطَعُوا الْفَلَا بَعَزَائِمٍ مِثْلِ الصَّوَارِمِ سُلَّتْ⁽³⁾
(الكامل)

ويقول:

كَمْ مِنْ فَلَاةٍ جُبَّتْهَا بِنَجِيْبَةٍ عَنْ مَنْسَمٍ دَامٍ وَخَطْمٍ مَزِيدٍ⁽⁴⁾
(الكامل)

القَفْرُ⁽⁵⁾:

القفر والقفرة: الخلاء من الأرض، وجمعه قفار وقفور.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 55.

(2) المصدر نفسه: ص 60.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 70.

(4) المصدر نفسه: ص 168.

(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج11، ص 253.

يقال: أرض قفر، وأرضون قفر، ومفازة قفر وقفرة.

والقفر: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. وقالوا: أرض مقفاز. وأقفر الرجل صار إلى القفر، وأقفرنا كذلك، وذئب قفر: منسوب إلى القفر، كرجل نهر، وقد أقفر المكان وأقفر الرجل من أهله: خلا وأقفر ذهب إلى طعامه وجاع، قفر ماله: قلّ القفار: الخبر بلا أدم، والقفار: الطعام بلا أدم.

القفرة من النساء: قليلة اللحم.

يقول:

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي اضْطَرَبْتُ إِلَيْهِ بِقُصْدِهِ الْخُضَارْمُ وَالْقَفَارُ⁽¹⁾

(الوافر)

ويقول:

وَمِنْ سُنَنِ الْقَفْرِ سَبَّاحَةٌ مِنْ الْآلِ بَحْرًا إِذَا مَا اعْتَرَضَ⁽²⁾

(المتقارب)

ويقول:

وَكُنْتُ كَصَادِ خَالِ رِيًّا بِقَفْرَةٍ وَقَدْ غِيضَ فِيهَا الْمَاءُ وَاطْرَدَ الْآلُ⁽³⁾

(الطويل)

ويقول:

تَرَكَتُ تَعَابِينُ الْقَفَارِ شِعَابِهَا وَأَسْوَدَهَا الْآجَامُ وَالْإِغْيَالُ⁽⁴⁾

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 237.

(2) المصدر نفسه: ص 292.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 354.

(4) المصدر نفسه: ص 390.

هَضَابٌ⁽¹⁾:

هَضَبٌ: الهَضْبَةُ: كل جبل خلق من صخرة واحدة، وقيل: كل صخرة راسية صُلْبَةٌ، ضَخْمَةٌ: هَضْبَةٌ، وقيل الهَضْبَةُ والهَضْبُ الجبل المنبسط ينبسط على الأرض وفي التهذيب الهَضْبَةُ، وقيل: هو الجبل الطويل الممتنع، المنفرد، ولا تكون في حُمْر الجبال والجمع هَضَابٌ، والجمع هَضْبٌ، وهَضْبٌ، وهَضَابٌ.

الهَضْبَةُ: المطرة الدائمة، العظيمة القطر. وقيل: الدَّفْعَةُ منه والجمع هَضْبٌ. الهَضْبُ: الرجل كثير الكلام. الهَضْبُ: الضخم من الضباب.

يقول:

تَبَرَّكَتِ الأَيْدِي بِتَسْوِيَةِ الثَّرَى عَلَى جَبَلٍ رَاسِيِ الأَثَاةِ عَلَى هَضْبٍ⁽²⁾

(الطويل)

ويقول:

عَطَارِفَةٌ مِثْلَ الجِبَالِ حُلُومِهِمْ تَكُونُ لَهُمْ شِمَّ الجِبَالِ هَضَابًا⁽³⁾

(الطويل)

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج15، ص 97.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 36.

(3) المصدر نفسه ص 55.

الفصل الثالث

ألفاظ الطبيعة الحية

الفاظ الطبيعة الحية في شعر ابن حمديس

الأسد⁽¹⁾:

من السباع معروف، والجمع آساد وآسد، مثل أجيال وأجيل، وأسود وأسد، مقصور متقل،
وأسد، محفف، وأسدان، والأنثى أسده وأسد أسد على المبالغة، كما قالوا عراد، عن ابن
الأعرابي وأسد بين الأسد نادر كقولهم حقه بين الحقة. وأرض مأسدة كثيرة الأسود، والمأسدة له
موضعان: يقال الأسد مأسدة ويقال لجمع الأيد مأسدة أيضاً، كما يقال مشيخة لجمع الشيخ ومسيقة
للسيوف ومجنة للجن ومضبة للضباب.

وأسد الرجل: استأسد صار كالأسد في جراته وأخلاقه، وقيل لامرأة من العرب أي
الرجال زوجك؟ قالت: الذي إن خرج أسد وإن دخل فهد، ولا يسأل عما عهد.

يقول ابن حمديس واصفاً تميم ابن يحيى بالأسد الذي يضع فوق رأسه تاج:
وَيَمِينُ ابْنِ تَمِيمٍ عَلَّمَتْ
صَنَعَةَ الْمَعْرُوفِ أَيْمَانَ الشَّحَاحِ
مَلِكٌ فِي الْبَهْوِ مِنْهُ أَسَدٌ
يَضَعُ التَّاجَ عَلَى الْبَدْرِ اللَّيَّاحِ⁽²⁾

(الرمل)

الشبل، أشبال⁽³⁾:

شبل: الشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد، والجمع أشبال وأشبيل وشبول وشبال.

ولبوءة مشبل: معها أولاد.

وقد استخدم ابن حمديس هذا اللفظ بضع مرات.

يقول:

ورث العز من أبيه كشبيل
أخذ الفتك عن أبيه الأبى⁽⁴⁾

(الخفيف)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 139.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 96.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج7، ص 22.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 527.

ويقول:

لَهُمْ كُلُّ مَوْلُودٍ عَلَى فِطْرَةِ الْوَعَى تَرَاغُ بِهِ شَبِيلًا أُسُودُ الْمَلَاحِمِ⁽¹⁾
(الطويل)

ويقول:

الشَّبِيلُ فِيهِ طِبَاعُ اللَّيْثِ كَامِنَةٌ وَإِنَّمَا يَنْتَضِيهَا النَّابُ وَالظَّفَرُ⁽²⁾
(البيسط)

وقد استخدم لفظة الشبل على التشبيه، حيث كان يشبهه بمدوحه بالشبل.

ضِرْغَامُ:

ضِرْغَامُ: الضَّرْغَمُ: والضَّرْغَامُ، والضَّرْغَامَةُ، الأسد. ورجل ضِرْغَامَةٌ: شجاع، فإما أن يكون شُبه الأسد، وإما أن يكون ذلك أصلاً فيه وأنشد سيبويه.

فتى الناس لا يخفى عليهم مكانه وضِرْغَامَةٌ إِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ أَوْقَعَا
قال: والأسبق أنه على التشبيه. وفحلُّ ضِرْغَامِهِ، على التشبيه بالأسد. قيل لابنه الخُسُّ: أيّ الفحول أحمد؟ فقالت: أحرُّ ضِرْغَامِهِ شَدِيدُ الزَّيْرِ قَلِيلُ الْهَدِيرِ⁽³⁾.

والضَّرْغَمَةُ والتَّضَرَّغُمُ: انتخاب الأبطال في الحرب، وضَرَّغَمَ الأبطال بعضها بعضاً في الحرب. الليث: فضرَّغمت الأبطال في ضرَّغمتها بحيث تأتخذ في المعركة. وفي حديث قُوسٍ: والأسد والضِرْغَامُ، هو الضاري الشديدُ المقدم من الأسود⁽⁴⁾.

يقول ابن حمديس يمدح الأمير علي بن يحيى، ويشبه جنوده بالضرغام لشدة قوتهم وصلابتهم:

وَرَمَى الْعِدَى بِضِرَاغِمٍ أَظْفَارُهَا ونيوبُهَا الْأَسْيَافُ وَالْأَرْمَاحُ⁽⁵⁾
(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 447.

(2) المصدر نفسه: ص 250.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب: ص 55.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 55..

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 104.

ويقول في قصيدة يواسي بها المعتمد مشبها إياه بالضرغام:

لَئِنْ كُنْتَ مَقْصُورًا بَدَارِ عَمَرَتِهَا فَقَدْ يُقْصِرُ الضَّرْغَامَ وَهُوَ هَـصُورٌ⁽¹⁾

(الطويل)

غَضَنُفَر:

الغضنفر: الغليظ المتغضن وأنشد: درّحاية كوأل غَضَنُفَر.

وأذن غضنفره: غليظة كثيرة الشعر، وقال أبو عبيدة: أذن غَضَنُفَرَة: غليظة وهي التي غلّظت وكثر لحمها، وأسد غضنفر: غليظ الخلق متغضنة الليث: الغَضَنُفَر الأسد⁽²⁾.

يقول ابن حمديس يصف فرساً يمتطي صهوته فارس شجاع ويصف شجاعته الأسد المتجهم عند الإنقضاض على فريسته.

يُقَدِّمُهُ لِلْوَعْيِ مِحْرَبٌ كَأَنَّ الْغَضَنُفَرَ فِي نَتْنَتِهِ⁽³⁾

(المتقارب)

الْقَسُورَة:

قَسَرَ: القاف والسين والراء يدل على قَهْرٍ وغَلْبَةٍ وشدة من ذلك القَسْر: الغلبَة والقَهْر، يقال: قسرتَه قسراً واقتسرتَه اقتساراً، وتعبير قيسري: صُلب، والقَسُورَة الأسد، لقوته وغلبته⁽⁴⁾.

ويذكر ابن حمديس قسور بمعية الثعبان ويرى الأسد غاضباً متغضناً.

أَوْ كُلُّ ثَعْبَانٍ يُنَاطُ بِقَسُورٍ بَيْنَ الْبَنُودِ كَمَحْنَقٍ وَغَضُوبٍ⁽⁵⁾

(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 268.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب 10، ص 84.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 71.

(4) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد المتعم، القاهرة، مطبة البابي. 1969. ص 401.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 60.

الليث:

ليث: الليث: الشدة والقوة، ورجلٌ مَلِيثٌ: شديد العارضة، وقيل: شديد قوي، والليثُ: الأسد، والجمع: ليوث وإنه لبيِّن الليائة، والليثُ: الشجاع بيِّن الليوثة، قال ابن سيدة: وأراه على التشبيه، وكذلك الأليثُ(1).

يذكر ابن حمديس الليث في قصيدة يمدح فيها الأمير ابا الحسن علي بن يحيى ويشبّهه بالليث الذي يصطاد أعداءه في المعركة كما يصطاد الأسد فريسته يقول:

مُقَدِّمِ يَصْطَادُ أَبْطَالَ الوغي إِنَّ شَبَلَ اللَّيْثِ للوحشِ صَيُودُ(2)

(الرملة)

هزبر:

الهزبر: من أسماء الأسد، والهزبرُ والهزبران: الحديد السبيء الخلق. وقال ابن السكيت: رجال هزبرٌ وهزبران أي حديد وتاب، ابن الأعرابي: ناقة هزبرة: صلّبه.

وقد يقصد بالهزبر الأسد الصلب القوي البنية(3)

يقول في قصيدة ينبذ فيها الهجاء ويتعد عنه وشبه نفسه بالأسد الذي يعوي عليه ذئب فلا يراه كفوًا له.

وَعَوَعَ سَيْدٌ عَلَى هَزْبَرٍ فَمَا رَأَهُ الهَزْبَرُ كُفُوًا
وَلَوْ سَطَا قَادِرًا عَلَيْهِ لَمْ يُبْقِ لِلطَّيْرِ فِيهِ شَلُوًا(4)

(البيسط)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج 12، ص 373.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 156.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج 15، ص 85.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 520.

الهَـصُور⁽¹⁾:

هصر: الهصر: الكسر. هصر الشيء هصره هصرًا: حبذه وأماله واهتصره. والهصر: عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه وكسره من غير بينونة.

الهصر: أن تأخذ برأس عود فتثنيه إليك وتعطفه. والهيصر: الأسد، والهصار الأسد وأسد هصور وهصار وهيصر، وهيصار ومهصار: يكسر ويميل.

الرئبال الهصور: أي الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر ويجمع على هواصر.

لم يتجاوز استخدام هذه اللفظة أكثر من مرتين في ابن حمديس.

يقول:

و هَـصُورٌ يَفْرَسُ الْقِرْنَ إِذَا جَرَدَ الْمَرْهَفَ فَوْقَ الْأَجْرَدِ⁽²⁾
(الرمل)

ويقول:

بِمِثْلِ زَارِ الْهَـصُورِ جَزَلًا أَوْ كَبَغَامِ الْغَزَالِ حُلُوا⁽³⁾
(البسيط)

الفاظ الخيل:

لعلها أكثر الحيوانات ذكراً ووصفا في شعر ابن حمديس، فقد جاء ذكرها ممتزجا بأغراضه الشعرية الأخرى، كما أفرد لها مقطوعات قصائد مغدقاً عليها من الجمال أروعها ومن الخيال أجمله ومن الإحساس أصدقها وأقربه إلى الواقع وأكثر ما كان يرد وصف الخيل مفرداً نكرة، وكأنني بالشاعر لا يعرف إلا حصاناً أو فرساً واحداً لم تتجب الطبيعة مثيلاً له ولا في أية صفة من صفاته، لما له من قيمة جمالية من جهة وقيمة مادية ومعنوية من جهة أخرى،

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج15، ص 82.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان. تحقيق الدكتور محمد عباس، ص 140.

(3) ابن حمديس، عبد الجبارن الديوان: ص 520.

وسنعرض الآن لنماذج مختلفة لوصف الخيل في شعر ابن حمديس وما له من أثر في شعره ونفسه يقول:

وَمَنْقَطِعِ بِالسَّبْقِ مِنْ كُلِّ حَلْبَةٍ فَتَحْسِبُهُ يَجْرِي إِلَى الرَّهْنِ مُفْرَدًا
كَأَنَّ لَهُ فِي أُذُنِهِ مَقْلَةً يَرَى بِهَا الْيَوْمَ أَشْخَاصًا تَمْرُ بِهِ غَدًا
تُقَيِّدُ بِالسَّبْقِ الْأَوَابِدُ فَوْقَهُ وَلَوْ مَرَّ فِي آثَارِهِنَّ مُقَيِّدًا⁽¹⁾

(الطويل)

صورة رائعة وجميلة فيها الابتكار والتجديد ممزوجاً بطيب التراث. فالشاعر يرسم لفرسه صورة متممة بطابع الجدة والصور القائمة على القوة والشدة. فالفرس سريع الخطا فكأنه السيل الجارف، يسابق الريح وكأنه يجري مفرداً، إضافة إلى ذلك فهو ذو سمع قوي حتى بدا وكأن في أذنه مقلة يرى فيها الأشياء مستقبلاً ويرنو إليها من بعيد، وكأنه يشير إلى قوة إحساسه بما حوله. كما أنه يتمتع ببصر حاد وثاقب.

فالشاعر في هذه الصورة ينزع إلى ابتكار المعاني الجديدة حيث جعل قوة السمع وشدته بمثابة الأبصار، بالإضافة إلى البصر الحقيقي، حيث أقام فكرته على المزج بين وظائف الأعضاء والحواس منها بصورة خاصة، وهذا ما يسمى في علم البلاغة ترأسل الحواس.

وفي صورة أخرى نجد الشاعر يؤكد معاني القوة والسرعة عن طريق تشبيهه جواده بالطائر القوي السريع تارة بالريح التي يكون نفعها - نتيجة سرعتها - سحباً كثيفة ترشح قطرا لا غبارا يبدو لحظها الفتان من خلال البرق الذي يلمع جراء ذلك، ويضمّن هذا صوراً جزئية ذات علاقة بهذين المعنيين الرئيسيين ويجعلها نتائج لهما ودلالة على المشبه الموصوف وهو جواد حيث يؤكد أن الطيران السريع والريح القوية التي تمثلت بهذا الجواد، وبالتالي أدت إلى تقريب المسافات، كما دللت الصعوبات والعقبات كل ذلك وفوقه جمال المنظر وحسن المخبر، وقد تمثلت هذه الصورة بجزئياتها⁽²⁾ في هذه الأبيات يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 144.

(2) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد 1987. ص:

وَطَائِرَةٌ بُذَّ الْخَيْوَلُ بِسَبْقِهَا
إِذَا شِنْتُ أُلْقَتْ بِي عَلَى الْعَرْبِ رَجُلُهَا
لَحُوقٌ كَأَنِّي جَاعِلٌ مِنْ عَدَائِهَا
كَرِيحٍ تَرَى مِنْ نَقْعِهَا سُحْبًا لَهَا

وَقَدْ لَبَسَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَرَسٍ خَلْقًا
وَنَالَتْ يَدٌ مِنْهَا بُوْتُبَتِهَا الشَّرْقَا
لِرُسُغِ الْفَرَا عَقْلًا وَحِيدَ الْمَهَا رِبْقًا
وَمِنْ رَشْحِهَا قَطْرًا وَمِنْ لِحْظِهَا بَرَقًا⁽¹⁾

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات لا يقتصر في وصفه للفرس على تصوير سرعتها وقوتها وشدة انطلاقها على الصفات المعروفة عند غيره من الشعراء، وإنما يجعلها طائرة في جسم فرس لا تكاد العين تلمح شيئاً منها لحظة انطلاقها فهي تستجيب لأمر الفارس في سرعة مذهلة.

ليس هذا فحسب بل إن وثبة واحدة من هذا الفرس تنقله من الشرق إلى الغرب، ثم وثبة أخرى تحمله من الغرب إلى الشرق هكذا، وهذا إغراق مبالغ في وصف الخيل، لا نظن موجود عند غيره من الشعراء، ومن هنا نجد أن الخيل أكثر حيوان ظفر بعناية الشعراء ووصفهم، وهذا نابع من كثرة وصفها وافتتانهم بها⁽²⁾.

وقد تجاوز ابن حمديس في وصفه للخيل الصفات الفردية إلى الصفات العامة المشتركة يضيفها على الخيل بصورة عامة دون الاقتصار على فرس أو جواد بعينه، ولعله بذلك يريد أن يتخطى الصورة التي تربط الفرس بالفارس أو الجواد، ويأتي بالصورة الشعرية التي تتحدث عن عدد من الجياد المتصفة بالصفات الكثيرة التي تمثل كل صفة فيها صفة بارزة أو مجموعة من الصفات، يقول ابن حمديس في إحدى قصائده التي يصف فيها خيلاً، جاء وصفها ممزوجاً بمدح صاحب ميورقة:

وَكَأَنَّمَا افْتَسَمَتْ عِيُونَ أَجَادِلِ
قُدَّهَا تَخْبُ بِكُلِّ ذِمْرٍ أَيْلِهِ
وَإِذَا أَثْرَنَ بِنَقْعِهِنَّ سَحَابِيًّا
أَصْبَحَتْ فِي السَّادَاتِ نَاصِرَ دَوْلَةٍ
بَطَلًا يَطُولُ بِذِكْرِهِ فِي سِلْمِهِ

وَشَدُوقَ غَرْبَانَ وَسُوقَ نَقَاتِقِ
بَخْدَاعِ أَبْطَالِ الْوَقَائِعِ حَادِقِ
صَبَّتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ صَوْبَ صَوَاعِقِ
تَصِفُ الْعُلَى عَدْلَ مَنَاطِقِ
كَصِيَالِهِ بِحَسَامِهِ فِي الْمَازِقِ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 329.

(2) انظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، القاهرة، 1978، ص 151.

مُتْرَحَلًا نَحْوَ المعالي ساكناً

بِالجَيْشِ فِي ظِلِّ اللّوَاءِ الخَافِقِ⁽¹⁾ (الكامل)

تلك أبيات من قصيدة يمدح فيها ناصر الدولة مبشر بن سليمان، ويصف خيلاً أهديت للأمير. فالشاعر في هذه الأبيات يمزج بين صفات الممدوح وصفات خيله باعتبارها الوسيلة المهمة للحرب، والركن المعتمد عليه في تحقيق النصر على الأعداء، فالشاعر يؤكد على شجاعة الممدوح وقوته وحسن تصرفه وإدارته للمعارك حتى يتحقق له النصر ويغدو سيداً بارزاً وعلماً واضحاً بين أقرانه وأنداده من الأمراء والفرسان ذوي الشجاعة وقوة البأس وشدة البطش ومضاء العزيمة.

الحيوانات الأليفة، الخيل

أَبْلَقُ:

بَلَقُ: البَلَقُ: بَلَقُ الدابة. والبَلَقُ: سواد وبياض، وكذلك البُلُقَةُ بالضم. ابن سيده: البَلَقُ والبُلُقُ مصدر الأَبْلَقِ ارتفاع التحجيل إلى الفخذين⁽²⁾

أَدْهَمَ:

دهم: الدُّهْمَةُ: السواد. والأدْهَمُ: الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما، فرس أدْهَمَ ويعبر أدْهَمَ، والعرب تقول ملوك الخيل دُهمُها، وقد إدْهَمَ، وبه دَهْمَةٌ شديدة، الجواهري: أدْهَمَ الفرس أدْهَمَماً أي صار أدْهَمَ وأدْهَمَ الشيء أدْهَمَماً أي اسواد، وادْهَمَ الزرع: علاه السواد رِيًا. وحديقة دَهْمَاءُ مدهامة: خضراء تضرب إلى السواد من نعمتها وريّها. وفي التنزيل العزيز: "مُدْهَمَّتَانِ". أي سوداوان من شدة الخضرة من الري⁽³⁾.

يقول ابن حمديس يصف فرساً أدْهَمَ فيه شعرات بيض.

أَدْهَمٌ كَالظَّلَامِ تُشْرِقُ فِيهِ
شَعْرَاتٌ مُنِيرَةٌ لِلْعُيُونِ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: 1960. ص 331.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج 1، ص 487.

(3) المصدر نفسه: ج 4، ص 430.

كالَّذِي يَخْضِبُ الْمَشِيبَ وَيَبْقَى

شَاهِدَاتٍ بَهَنَ نَفِي الظُّنُونِ (1)

(الخفيف)

جرد (2)

جرد الشيء يجرده جرذا وجرده: قشره، ويروى جردوه، بالحاء المهملة وسيأتي ذكره،
واسم ما جرد منه: الجرادة، وجرد الجلد يجرده جرذا: نزع عنه الشعر، وكذلك جرده.

ارض جرداء: فضاء واسعة مع قلة النبات. ورجل اجرد: لا شعر له على جسده.

فرس اجرد: قصير الشعر، وقد جرد وأنجرد، وكذلك غيره من الدواب من علامات العيق
والكرم، وقولهم: اجرد القوائم إنما يريدون اجرد شعر القوائم، وقيل الأجرد الذي رق شعره
وقصر وهو مدح. ولم ترد هذه اللفظة في شعر ابن حمديس كثيرا.

يقول:

ترى الجُردَ فيها بالكِماة تَكَدَّسُ (3)

وَخَفَافَةَ الرِّايَاتِ فِي جَوْفِ نَقْعِهَا

(الطويل)

فِيبِنِي سَمَاءً فَوْقَهُ سَمَكُهَا النَّقْعِ (4)

وَ مُنْجَرِدٍ كَالسَّيْدِ يُعْمَلُ أَرْضَهُ

(الطويل)

جواد، جِياد (5).

جود: الجيد نقيض الرديء، على فيعل، واصله جِيوَدَ.

جاد الشيء جودة وجوده أي صار جيدا، وأجدت الشيء فجاد، ورجل جواد: سخي وكذلك الأنثى
بغير ماء، والجمع أجواد. وجاد الفرس أي صار جوادا، فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جِياد

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 497.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج2، ص 235.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 279.

(4) المصدر نفسه: ص 310.

(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج2، ص 411.

وأجباد وأجاويد، وأجباد: جبل في مكة. أجاويد الخيل هي جمع أجواد، وأجواد جمع جواد، والجمع جباد، وقياسه جواد.

وقد كان استخدم هذه اللفظة قليلاً أو نادراً نسبة إلى استخدام كلمة خيل، يقول:

متى يمنع الجرّي الجباد من الونى
ففي يده بذل من الجرّي لا منع⁽¹⁾
(الطويل)

ويقول:

نمرُ حربٍ، له اقتحامُ هزبرٍ
وجوادٌ، له يمينُ غمام⁽²⁾
(الخفيف)

الخيّل:

والخيل: الفرسان، وفي المحكم: جماعة، الأفراس لا واحد له من لفظة قال أبو عبيدة:
واحدها خائل لأنه يختال في مشيته، قال ابن سيده:

وليس هذا بمعروف. وفي التنزيل العزيز: "وأجلب عليهم بخلك ورجلك".

أي بفرسانك ورجالتك. والخيّل: الخيول. وفي التنزيل العزيز: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها" وفي الحديث: يا خيل الله اركبي، قال ابن الأثير: هذا على حذف المضاف، أراد يا فرسان خيل الله اركبي، وهذا من أحسن المجازات وألطفها، والجمع أخيال وخيول، الأول عن ابن الأعرابي، والأخير أشهر وأعرف. والخيالة: أصحاب الخيول⁽³⁾.

يقول ابن حمديس في قصيدة يمدح فيها المعتمد بعد رجوعه عن لبيط وهو حصن غرب المرية، ويصف حيله التي كانت عماد الجيش:

خذُ في عزائمك التي تركتهم
خبراً مع الأيام لا يتغيرُ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 310.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 468.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج4، ص 266.

بِالْخَيْلِ تَحْتَ اللَّيْلِ يُسْرَجُ حَوْلَهَا

فِي كُلِّ ذَابِلَةٍ سِنَانٌ أَزْهَرُ (1)

(الكامل)

وفي صورة جميلة يشبه فيها الكؤوس بالخيال التي تغير في الحرب:

كَأَنَّ الْكُؤُوسَ بِأَيْدِي السَّقَاةِ

خُيُولٌ عَلَى الْهَمِّ مَنَا مَغِيرَةٌ (2)

(المتقارب)

السَّلَاهِبُ:

سَلْهَبٌ: السَّلْهَبُ: الطويل، عامة، وقيل: وهو الطويل من الرجال، وقيل، هو الطويل من الخيل والناس، الجوهري: السَّلْهَبُ من الخيل الطويل على وجه الأرض وربما جاء بالصاد، والجمع السلاهبه (3).

يقول ابن حمديس:

تَرَى السَّلَاهِبُ مِنْ حَوْلَيْهِ سَاحِبَةٌ

ذَيْلَ الْعَجَاجِ عَلَى الْأَجْسَادِ وَالْقَلَلِ (4)

(البيسط)

فهو يصور الخيل تدوس الجثث والقتلى وتكر على العدو.

وفي صورة أخرى يقول مستخدماً ذات اللفظة:

إِذَا مَا غَزَوْا فِي الرُّومِ كَانَ دُخُولُهُمْ

بَطُونِ الْخَلَايَا فِي مُتُونِ السَّلَاهِبِ (5)

(الطويل)

الصَّوَاهِلُ:

صَهْلٌ: الصَّهْلُ: حدة الصوت مع بَحْح كَالصَّحْلِ. يقال: فِي صَوْتِهِ صَهْلٌ وَصَحْلٌ، وهو بحةٌ فِي الصَّوْتِ، والصَّهْلُ لِلْخَيْلِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الصَّهْلُ وَالصُّهَالُ صَوْتُ الْفَرَسِ مِثْلُ النَّهْيِيقِ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 196.

(2) المصدر نفسه: ص 184.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج 6، ص 351.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 393.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 32.

والنَّهَاقُ، ابن سيده: الصَّهِيلُ من أصوات الخيل، سهل الفرس يَصْهَلُ، ويصْهَلُ صهيلاً. وفرس صهَّال كثير الصهيل، وفي حديث أم معبد: في صوته صَهْلٌ، حدة وصلابة من صهيل الخيل وهو صوتها. والصواهل جمع صاهلة، مصدر على فاعلة بمعنى الصَّهِيل وهو الصوت كقولك سَمِعْتَ رَوَاعِيَ الْإِبِلِ⁽¹⁾.

يقول ابن حمديس ذاك الصواهل، ليدلل على صوت الخيول المحمسة للقتال:

وصَوَاهِلٍ مِثْلَ الْعَوَاسِلِ عَدُوِّهَا أبدأً لِحَرْبِ عَدُوِّكَ الْمَحْرُوبِ⁽²⁾

(الكامل)

فَرَسٌ

الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء، ولا يقال للأنثى فيه فرسه، ابن سيده: أصله التأنيث، ونقول ثلاثة أفراس إذا أردت المذكر، والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فرسان وفوارس.

فرس فلان بالضم، يفرس فروسه وفراسة إذا حذق أمر الخيل والفارس: العالم بالأمر يصير به.

وقد كان استخدام هذا اللفظ قليل جداً بل نادراً في شعر ابن حمديس

يقول:

وَكُنْتُ أَعَادِيهَا عَلَى فَرَسِ الصَّبَا مُغَيَّرًا فَتَغَدَّوْ غَرَّهَا مِنْ غَنَائِمِي⁽³⁾

(الطويل)

ويقول:

وَطَائِرَةٌ بُذَّ الْخِيُولُ بِسَبْقِهَا وَقَدْ لَبَسَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَرَسٍ خُلُقًا⁽⁴⁾

(الطويل)

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج7، ص 431.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج10، ص 220.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 444.

(4) المصدر نفسه: ص 329.

تَقُومُ عَلَى سَاقٍ بِهِ الْحَرْبُ فِي الْعَدَى وَمَجْلِسُهُ فِي صَهْوَةِ الْفَرَسِ النَّهْدِ⁽¹⁾

(الطويل)

الإبل:

إن المستعرض للنصوص الشعرية الأندلسية التي ذكرت الناقة ووصفت جوانبها المختلفة. يجد أن ابن حمديس على رأس من اعتنى عناية كبيرة بهذا الوصف في نماذج شعرية مختلفة، وصف فيها الناقة بأوصاف دقيقة معبرة سواء كان ذلك بصورة مستقلة أو ذكر الناقة ممزوجاً بأغراضه الأخرى.

ففي صورة يصف فيها ابن حمديس الناقة يتحدث عن ناقة سريعة خفيفة، تشق عباب الصحراء كما تشق السفينة عباب الماء، لا يلحق بها غيرها من الإبل، فهي تنطلق سريعة كالسهم الخارج من كنانته فينفذ إلى هدفه، وكالبرق الخاطف لا تعجزها الفيافي الممتدة والقفار الموحشة، ولا يوهن من عزمها طول المسافات وترامي الأقطار. فهي ذات شأن كبير ومكانه هامة- في نفس صاحبها، بل إنها صارت عزيزة عليه محببة إلى قلبه لا يرضى بها بديلاً، ولا يستطيع التخلي عنها في أغلب أحواله، وكأنها فتاة جميلة تشاركه حياته وهمومه وترحاله وتعينه على التنقل والسفر يقول:

مَنْ سَفُنَ الْقَفْرَ سَبَّاحَةً	مَنْ الْآلَ بَحْرًا إِذَا مَا اعْتَرَضَ
لَهَا شِرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا	أَطَالَ بِهَا سَبَسَبٌ أَمْ عَرَضَ
إِذَا خَفِقَ الْبَرْدُ بِي خَلْتَنِي	عَلَى كَوْرِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ
وَإِنْ يَعْزِضُ الْبَعْضُ مِنْ سَيْرِهَا	تَرَ الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ
فَلَوْ عُوِضَ الْمَرْءُ مِنْهَا الصَّبَا	لَمَا رَضِيَتْ نَفْسُهُ بِالْعَوْضِ
هِيَ الْقَوْسُ أَنِّي لَسَاهُمْ لَهَا	أُصِيبُ بِكُلِّ فَلَائِ عَرَضِ
إِذَا انْبَسَطَتْ لِلْسُرَى أَيَّاسَتْ	سَنَا الْبَرْقَ مَنِيَّ أَوْ تَنْقَبِضُ
وَعَذِبُ الدَّمُوعِ دَلِيلٌ عَلَيَّ	بُكَاءِ تَبَسَمِ بَرْقٍ وَمَضُ
كَأَنِّي مِنَ الْبُعْدِ إِذْ شِمْتُهُ	جَسَسْتُ بِعِرْقِي عِرْقًا نَبْضُ
تَرْفَعُ نَحْوَ رُبُوعِ الْحَمَى	وَحَلَّ عَزَالِيَهُ وَأَنْخَفِضُ
وَجَادَ عَلَى التَّرْبِ مِنْ صَوْبِهِ	بِرِيَّ الصَّدَى وَشَفَاءِ الْمَرَضِ ⁽²⁾ (المتقارب)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 151.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 292.

هذه قصيدة وصف بها الشاعر الناقاة، إن المتأمل لهذه الأبيات يجدها قد تضمنت بالإضافة إلى الوصف والتفصيل البارز فيها، أن تصور إحساس الشاعر وحالته النفسية عن طريق المزج بين هذه المشاعر والأحاسيس وبين أوصاف الناقاة، تلك التي نقلها الشاعر إلى البرق والسنا، كما أكد معانيها وعبر عنها ببراعة، وفنية فيها الابتكار والتجديد والتوليد عن صلة ذلك كله بشخصه الذي بلغ كل ما يريد، فوصل إلى مأمته بتلك الناقاة السريعة القوية فروى ضمأه وشفى غليله، كما أبّل مما كان يجد من علة.

إن المعن النظر في الأبيات يجد أنها خاصة بالشاعر وأحواله ولا تكاد تبعد عن الموضوع الأساسي الذي نظمت القصيدة من أجله، بل أنها لتبدو كالنتيجة المترتبة على أمور أخرى سبق أن مهد لها الشاعر. وفصل القول في سمات ناقته وصفاتها المحمودة المرغوبة لدى كل إنسان معني بالسفر والتنقل. وهي بالتالي صلة قوية بالبيئة العربية وتأثر عميق بمعطياتها وأسسها على الرغم من بعد الديار وتناى البلدان.

الفاظ الإبل⁽¹⁾:

القرم، الكوم، مطية، الشول، عيس، فحل النجيب.

إبل:

لم يستخدم ابن حمد يس هذا اللفظ سوى مرة واحدة تقريبا واستعاض عنها بذكر صفاتها وأسمائها الأخرى.

يقول:

مُسْتَهْدَفُ الرَّبْعِ بِالْقَصَادِ تَقْصِدُهُ فِي الْبَحْرِ بِالْفُلْكِ أَوْ فِي الْبَرِّ بِالْإِبْلِ⁽²⁾

(البسيط)

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج1 دار صادر، بيروت، ص 20.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 393.

الشَّوْلُ (1):

شول: لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية.

وأشول جمع شول: والشول من النوق: التي خف لبنها وشولت الإبل: لحقت بطونها بظهورها.

وقد كان استخدامها هذه اللفظة قليلا في شعر ابن حمد يس فلم يتجاوز مرة واحدة.

يقول:

أرَّقَ الأَجْفَانَ رَعْدُ صَوْتُهُ كَهْدِيرِ القَرَمِ فِي الشَّوْلِ حَفْدِ (2)

(الرمل)

الظِّلِيم:

الظليم: الذكر من النعام، والجمع أظلمة وظلمان وظلمان، قيل سمي به لأنه ذكر الأرض، فيُدْحِي في غير موضع تدحية، حكاه ابن دريد، قال وهذا ما لا يؤخذ. وفي حديث قس: وَمَهْمَهُ فِيهِ ظُلْمَانٌ، هو جمع ظليم. والظليمان: نجمان

لقد جاء ذكر الظليم في ديوان ابن حمديس قليل الورود، والظليم ذكر النعام ويذكره ابن حمديس مشبها الغر به وخاصة عندما يتحرك يقول:

ومزَعْفِرُ لَوْنِ القَمِيصِ بِشُقْرَةٍ كالرَّيْحِ تَعَصِفُ فِي التَّهَابِ البَارِقِ
وتَرَاهُ يَدْبِرُ كَالظِّلِيمِ بِرَدْفِهِ عُجْبًا، وَيُقْبَلُ كَانْتِصَابِ البَاشِقِ (3)

(الكامل)

العَرَامِسُ: (عرمس) العرمس الصخرة، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة، شبهت بالصخرة وقيل العرمس من الإبل الأدبية الطيعة (4).

يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 118.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج8، ص 268.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 331.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج6، ص 215.

لَأْمُرِ طَوِيلِ الْهَمِّ نَزْجِي الْعَرَامِسَا وَتَطْوِي بِنَا اخْفَافُهُنَّ الْبَسَابِسَا⁽¹⁾

(الطويل)

العيس:

العيسُ والعيسة: بياض يخالطه شيء من شُقرةٍ وقيل: هو لون أبيض مُشرب صفاء في ظلمة خفيفة، وهي فُعلة، على قياس الصُّهبة، والكمّنة لأنه ليس في الألوان فُعله. وإنما كُسرت لتصح الياء كبيض، وجَمَلُ أعيس وناقاة عيساء وظبيُّ أعيس فيه أدمة، وكذلك الثور، وقيل العيس الإبل تضرب إلى الصفرة، رواه ابن الأعرابي وحده، وفي حديث طهفة: ترتمي بناء العيس، هي الإبل البيض مع شُقرة يسيرة، وأحدها أعيس وعيساء⁽²⁾.

يقول ابن حمديس ويذكر العيس وكيف يجوب بها الصحراء:

كَمْ مِنْ فَلَاةٍ جُبَّتْهَا بِنَجِيَّةٍ
أَبْقَى الْجَزِيلُ لَهَا جَمِيلٌ تَنَائِهِ
عَنْ مَنَسَمٍ دَامٍ وَخَطْمٍ مَزْبَدٍ
فِي الْعَيْسِ مَوْصُولًا بِقَطْعِ الْفَدْفَدِ⁽³⁾ (البيسيط)

ويقول:

حطت إليه حُداة العيس أرحلنا
فالعزم صفر بمثواه من السفر⁽⁴⁾
الفحل: فَحْلٌ⁽⁵⁾:

الفحل معروف: الذكر من كل حيوان وجمعه أفحل، وفحول، وفحولة، وفحال، وفحالة، مثل الجمالة.

رجل فحيل: فحل وانه ليبيين الفحولة والفحالة والفحلة، وفحل إبله فحلا كريما: اختار لها، وافتحل لدوابه فحلا كذلك.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 274.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج9، ص 497.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 168.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 206.

(5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج10، ص 195.

والفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما منجبا، وافحل: اتخذ فحلا.

ولم يستخدم ابن حمديس هذه اللفظة سوى مرة واحدة في ديوانه كله.

يقول:

تَنْجُو أَمَامَ الْقَدْحِ وَخَدَّ نَجِيْبَةٍ فَكَأَنَّهُ فَحْلٌ عَلَيْهَا جَرَجْرًا⁽¹⁾

(الكامل)

القرم⁽²⁾:

قرم: المقرم بالتحريك: شدة الشهوة إلى اللحم.

والقرم: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة والجمع قروم.

والقرم: هو الذي لم يمسه الحبل، والاقرم كالقرم واقرمه جعله قرما وأكرمه عن المهنة.

القرم من الرجال: السيد المعظم.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع.

يقول:

أَرَقَّ الْأَجْفَانَ رَعْدُ صَوْتُهُ كَهْدِيرِ الْقَرَمِ فِي الشَّوْلِ حَقْدًا⁽³⁾

(الرمل)

المطايا، المطية⁽⁴⁾:

المطية: الناقة التي يركب مطاها. والمطية البعير المحمل ظهره وجمعه مطايا، يقع على الذكر والأنثى.

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج11، ص 131.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 182.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج13، ص 134.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 526.

والمطية واحدة المطي والمطايا، والمطي واحد، يذكر ويؤنث ولمطايا فعالى، وأصله فعائل.

والمطا: الظهر لامتداده.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة جمعا ومفردا في بضعة مواقع

يقول:

كَيْفَ تَنْجُو عَلَى مَطِيَّةِ دُنْيَا وَهِيَ تَشْحُوا بِالْجَانِبِ الْوَحْشِيِّ (1)
(الخفيف)

ويقول:

وَمُودِعٌ فِي الْمَطَايَا لَسَعَةً حَمَةً فَيُرْعَجُ الرُّوحُ تَعْدِيًّا مِنَ الْجَسَدِ (2)
(البسيط)

ويتحدث عن الذباب الملتصق بالإبل

ويقول:

ظَلَمْنَا الْمَطَايَا ظَلَمَ أَيَامَنَا لَنَا لِكُلِّ عَلَى السَّارِي بِهِ صَدْرٌ حَاقِدٌ (3)
(الطويل)

النجائب، النجبية⁽⁴⁾: (نجب) والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر في الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفردا وجمعا، وهو القوي منها، الخفيف السريع، وناقاة نجيب ونجبية.

يقول:

كَمْ مِنْ فَلَاةٍ جُبَّتْهَا بِنَجِيْبِيَّةٍ عَن مَنَسَمٍ دَامٍ وَخَطْمٍ مَزِيدٍ
(الكامل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 134.

(2) المصدر نفسه: ص 135.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج8، ص 453.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 168.

الفاظ الغزال:

الغزال، الرئم، الظبي، المها

الرئم⁽¹⁾: (رَأَمَ) رئة الناقة ولدها ترأمه رأماً ورأماناً: عطفت عليه ولزمته، وفي التهذيب رئماناً أحبته. والرئم الخالص من الظباء، وقيل هو من ولد الظبي والجمع أرآم وقلبوا فقالوا آرام والأنثى رئة.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة عشر موقعا.

يقول:

وكم عادة لا يعرف الرئم مثلها
رمتني بسهمي مقلتيها على عمد⁽²⁾
(الطويل)

وقصد بالرئم الغزال.

ويقول:

فبغام الرئم حلاوته
وجزالتة زار الأسد⁽³⁾
(المنسرح)

الرئم: الغزال

ويقول:

كم تعجب الناس من صيد ولا شرك
يصيد رئم به قلبي سوى نظري⁽⁴⁾
(البيسط)

قصد بالرئم: المرأة الجميلة.

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج10، ص 315.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150،

(3) المصدر نفسه: ص 162.

(4) المصدر نفسه: ص 176.

ويقول:

إِنِّي لِأَعْجَبُ وَالْأَرَامُ مُجَبَّنَةٌ

مِنْ رِئْمٍ خَدْرٍ لِلْيَيْثِ الْغَيْلِ مُفْتَرَسٍ⁽¹⁾

(البسيط)

الطَّبِّي

الغزال، والجمع أظب وظباء وظببي. قال الجوهرى: أظب أفعل، فأبدلوا ضمة العين كسرة لتسلم الياء. وظببي على فُعل مثل تشدّي وتشدّي، والأنثى ظبية، والجمع ظبيات، وظباء وأرض مظباة كثيرة الأطباء، وأظبت الأرض: كثر ظباؤها⁽²⁾.

يقول ابن حمديس متغزلاً:

زَارَتْ عَلَى الْخَوْفِ مِنْ رَقِيبٍ

كَظَبِيَّةٍ رُوِّعَتْ بِذَيْبٍ⁽³⁾

(السريع)

ويقول:

مَا الَّذِي يُبْكِي بِحَزْنِ ظَبِيَّةٍ
وَالطَّبَّاءُ الْحَوْرُ إِمَّا قَتَلْتُ

فَتَكَتْ مَقَلَّتْهَا بِالْأَسَدِ
لِحِظَاتِ الْعَيْنِ مِنْهَا، لَا تَدِي⁽⁴⁾

(الرملي)

فالشاعر يذكر ظبية على المفرد تارة ويشبه الفتاة الحسناء بها، ويذكر الجمع مرة أخرى فيذكر الأطباء.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 284.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج 8، ص 248.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 6.

(4) المصدر نفسه: ص 138.

الغَزَالُ⁽¹⁾:

الغزال من الظباء: الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي، وتشبه الجارية به بالتشبيب، وقيل هو من بعد الطلاء، وقيل هو غزال من حين تلده أمه إلى أن يبلغ أشد الإحضرار، وذلك حين يقرن قوائمه فيضعها معاً، والجمع غزله وغزلان، والأنثى بالهاء.

وقد أغزلت الظبية، وظبية مغزل: ذات غزال.

والغزالة: الشمس، وقيل هي الشمس عند طلوعها، ويقال طلعت الغزالة، ولا يقال غابت الغزالة. والغزالة عشب من السطاح ينفرش على الأرض.

والغزالة: المرأة الحرورية معروفه، سميت بأحد هذه الأشياء.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة عشرات المرات مذكراً ومؤنثاً على تعدد معانيها، نكرة ومعرفة.

يقول:

فَهَلْ عَلِمُوا ذَاكَ الْغَزَالَ مِنَ السَّرْبِ⁽²⁾
(الطويل)

الْأَبَايَ مِنْ جُمَّةِ الْغَيْدِ وَاحِدًا

وقد قصد بالغزال هنا المرأة الجميلة.

ويقول:

قَيِّدَاهُ خَلْخَالٌ لَهَا وَسَوَارٌ⁽³⁾
(الكامل)

فُكُّوا الْغَضَنْفَرَ مِنْ إِسَارِ غَزَالَةٍ

ويقول:

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج10، ص 66.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 22.

(3) المصدر نفسه: ص 258.

ككناسٍ بَغَمَتْ غَزْلَانُهُ

من زئيرٍ راعها من أُسدٍ غاب⁽¹⁾

(الرمل)

وقصد بالغزلان المعنى الحقيقي.

ويقول:

قُلْ لِمَنْ ضَاهَتْ غَزَالَةُ نَوْرًا

وَهِيَ مِنْ طَيْبِهَا غَزَالَةُ مِسْكَ⁽²⁾

(الخفيف)

وقصد بالغزالة: الشمس ونورها، أما غزالة فقصد بها المرأة الجميلة.

المَهَاءُ:

المهارة: مهتت: لنتت. ومه الإبل: رقق بها. وسير مهة ومهارة رقيق، وكل شيء مهة ومهارة ومهامة ما النساء وذكرهن أي كل شيء يسير حسن إلا النساء أي إلا ذكر النساء، فنصب على هذا، والهاء من مهة ومهارة، أصلية ثابتة كالهاء من مياه وشفاه، وقال اللحياني: معناه كل شيء قصد إلا النساء، قال: كل شيء إلا النساء وقال أبو عبيد في الأجناس: ما النساء وذكرهن أي دع النساء وذكرهن والمهارة: الطراوة والحسن:

والمهارة: بضم الميم: ماء الفحل في رحم الناقة، مقلوب أيضاً والجمع مهية، حكاه سيبويه في باب ما لا يفارق واحدة إلا بالهاء وليس عنده بتكسير، قال ابن سيده: وإنما حملة على ذلك أنه سمع العرب تقول في حجه هو المهارة، فلو كان مكسراً لم يسغ فيه التذكير ولا نظير له إلا حكاة وحكى وطلاة وطلية⁽³⁾.

والمهارة: بقرة الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدرّة، فإذا شبهت المرأة بالمهارة في البياض فإنما يعني بها البلورة والدرّة، فإذا شبهت بها العينين فإنما يعني بها البقرة، والجمع مهارة، ومهارة، وقد مهت تمهؤ مهارة في بياضها.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 65.

(2) المصدر نفسه: ص 344.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج13، ص 212.

يقول ابن حمديس مشبهاً عيون الحسان بعيون المها:

حسانٌ تديرُ بسحرِ الهوى
عيونَ المها في وجوهِ البُدورِ⁽¹⁾
(المتقارب)

وفي صورة أخرى يقول:

بعينٍ إذا سحرتُ بالفتورِ
بدا للمها بعضُ أحداقِها⁽²⁾
(المتقارب)

الزرافة:

أحدى الحيوانات المعروفة في الأندلس، وصفها الشاعر بمهارة ودقة، فلم يترك منها شيئاً إلا تحدث عنه بالتفصيل. فقد ذكر الشاعر السمات والأوصاف الدقيقة المفصلة، تلك التي تتعلق بمظهر هذا الحيوان ولونه وصفاته وخصائصه، مستنداً إلى مشاهدات الشاعر وذوقه والمزج بين أوصاف هذا الحيوان والطبيعة:

ونوبية في الخلق منها خلائق
إذا ما اسمها ألقاه في السمع ذاكراً
لها فخذاً قرم وأظلاف قرهب
مبطنّة الأخلاق كبراً وعزة
وكم حولها من سائس حافظ لها
ترى ظلف رجل يلتقي إن تنقلت
كان الخطوط البيض والصفير أشبهت
ودائمة الإقعاء في أصل خلقها
تلقت أحياناً بعين كحيلّة
وعرف دقيق الشعير تحسب نبتة
تنفس كبراً من يراع مثقّب
وتنفض رأساً في الزمام كأنما
إذا طلع النطح استجادت نطاحه

متى ما ترق العين فيها تسهل
رأى الطرف منه ما عناه بمقول
وناظرتا ريم وهامة أيل
فمهما تجد بالمشي في المشي تبخل
يكرمها عن خطة المتبذل
بظلف يد منها عزيز التنقل
على جسمها ترصيع عاج بصندل
إذا قابلت أديارها عين مقبل
وجيد على طول اللواء مظلل
إذا الريح هزته نواب سنبل
فتعطى جنوباً منه عن أخذ شمال
تريك له في الجو نفضة أجدل
برأس له هاد على السحب معئل

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 264.

(2) المصدر نفسه: ص 322.

وقرنين أوفت منهما كل عقدة
إذا قَمَعَا بالتبر زادت تعزراً
وتَحَسَّبُهَا مِنْ نَفْسِهَا إِنْ تَبَخَّرَتْ
وَكَمْ مُنْشِدٍ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ حَوْلَهَا
كِرْمَاتِي بَابِ الْخَبَاءِ الْمُقْفَلِ
عَلَى كُلِّ خَوْذٍ ذَاتِ تَاجٍ مُكَلَّلِ
تُرْفُ إِلَى بَعْلِ عَرُوسًا وَتَنْجَلِي
أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ⁽¹⁾

(الطويل)

وقد أوردنا أبيات القصيدة كلها لأنها كلها تحمل في مضامينها وألفاظها أوصاف تلك الناقة التي بهرت الشاعر وملاّت عليه إحساسه ومشاعره حتى أطال في هذا الوصف فشكلت هذه الأبيات مجتمعة.

لوحة فنية غاية في الروعة والدقة حملة صورة الزرافة وشاحاً جميلاً لها. فقد كان الوصف دقيقاً عبر فيه الشاعر عن هذا الحيوان الجميل، وقد اعتمد أسلوب التفصيل والاستقصاء مع عنصر القص في عرض الصفات وتناولها على الترتيب، فيها يعبر أصدق التعبير عن هذا الحيوان الغريب على الشاعر ومجتمعة فيما يبدو، فقد أشار بعض الباحثين إلى أن الأسد والزرافة ليسا من حيوانات الأندلس إنما سار الشعراء في وصفها على نمط شعر المشرق⁽²⁾.

وتدل تلك اللوحة الفنية بما احتوته من صور فنية ووصفة جميلة وجزئية لأعضاء هذا الحيوان ولونه ومشيته ونظرته وحركته، وكل ما يتعلق به حتى في حال عناية الإنسان به، كل ذلك إنما يدل على دقة الملاحظة لدى الشاعر ومدى إحساسه بما يصف إضافة إلى طول مراقبة ومتابعة لهذا الحيوان الذي استنطق صحته.

وربما دلت تلك الصورة على وجود ما يسمى - حديقة الحيوان - في الأندلس أو ما يقرب منها، وذلك بما تفهمه من وصف الشاعر للقائمين على العناية بالزرافة وبذلهم الجهود لخدمتها وتوفير أسباب العيش والراحة لها.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 380 - 381.

(2) حميد، بدير متولي: قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص 193.

الصفور والكلاب

لقد اهتم الأندلسيون بالصفور والكلاب عناية كبيرة فوقفوا على تصوير الحركات والتصرفات المختلفة لهذه الحيوانات، إضافة إلى تغنيهم بجمالها وقوتها وسرعتها وشدة تأثيرها. كما وصفوا شدتها وقوتها عند الانقضاض على الفريسة في نصوص شعرية جاء بعضها مستقلاً منفرداً بوصف هذه الحيوانات، وبعضها الآخر ممزوجاً بأغراض الشعر الأخرى.

أن الممعن فيما جاء من وصف للصفور والكلاب يرى أن وصفها جاء ممتزجاً مع بعضه. فالشاعر الأندلسي غالباً ما يقرن الصقر بالكلب ويجمعهما في لوحة واحدة تتقارب فيها الصفات، وتتمازج الألوان وكلها تصب في بوتقة واحدة هي الصيد والطرود وتوفير أدواته ووسائله لصفات حسنة وسمات عالية، قل أن توجد في جوارحها الطير أو فواتك الوحوش والصفور⁽¹⁾، وذلك على نحو ما مرّ في أبيات شاعرنا حيث يقول:

وسامية الأَحَاطِ لِلصَّيْدِ قُرِبَتْ	وَقَدْ نَامَ عَنَّا اللَّيْلُ وَانْتَبَهَ الْفَجْرُ
بكرنا على أكتادها نَدْرِي بِهَا	طَرَأَدَ مَعْمُوراً بِهَا الْبَلْدُ الْفَقْرُ
تَسَائِلُ عَنْهَا السَّحْبَ وَالتَّرْبَ جَرَاةً	جَوَارِحُ فَوْقَ الرَّاحِ أَعْيُنُهَا خُزْرُ
فَوَارِسُ أُفْدُ أَقْبَلَتْ فِي جَوَاشِنِ	مِنَ الرَّقْمِ لَمْ تُخَلِّقْ لَهَا الْبَيْضَ وَالسَّمْرُ
وَعُضْفٌ تَرَى آذَانَهُنَّ لَوَاحِظًا	بِهِنَّ صُرُورٌ وَهِيَ مِنْ هَبْوَةٍ غُبْرُ
وَمَرَوْ عَلا عِنْدَ النَّتَاجِ حَديدَةً	تَنَائِجُهَا مِنْهُ إِذَا وَضَعَتْ شَقْرُ
هَفَا بَيْنَنَا مِنْهَا جَنَاحَ بُوَيْزَةٍ	كَقَادِمَةِ الْعُصْفُورِ طَارَ بِهَا الذَّعْرُ ⁽²⁾

(الطويل)

فمن يقرأ هذه الأبيات يرى أن الشاعر قد بدأ بوصف الصقر ثم وصف الكلب، وكأن لسان حاله يقول أن توفرها واجب لإنجاح عملية الصيد واكتمالها واستحضار جميع أدواتها لإخراج الصورة التي يريد الشاعر عرضها أمامنا.

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 94-95.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 177.

وقد حاول الشاعر المزج في الوصف لإخراج الصورة للحيوانين في صورة واحدة في عملية الصيد. وقد عرض اختلاط الصفات بينهما وتشابهها، ثم يستخلص النتيجة التي تحصل بحركتهما معاً وتعاونهما في إدراك الفردية والقبض عليها(1).

الطُّيور:

الطيور من حيوانات الطبيعة الحية التي منحها شاعرنا الكثير من رعايته واهتمامه، وحبها بعطفه لأنها كانت عنده من مكملات الجمال في الطبيعة، فهي بأصواتها الشجية وصورها الفاتنة وبحركاتها الرشيقة ونسمة الحياة منها تختفي لمسة جميلة ورائحة إلى جمال الكون الذي أسر شاعرنا وملك عليه قلبه ونفسه.

وقد ذكر الشاعر واصفاً الطيور الأليفة المغردة والطيور الجارحة، فمنها ما يبقى في الأقفاص والبيوت لحلاوة صوته وعذوبته، ومنها ما يرفع في الأيك والخمائل فيشجي بصوته الجميل. فقد افتتن شاعرنا بهذه الكائنات الرائعة الحلوة، التي تملأ الجو بهجة بمرآها حين تحضر وبشدوها حين تهزج، فهي تبدو لناظريه أجمل وأبهى في ساعات صفوة حينما يتربع مصطهجاً بين الأزهار والأنهار.

البُّبُل(2):

بلبل: وبلابل: حفيف في السفر معوان، ورجل بلابل: خفيف اليدين وهو لا يخفى عليه شيء، والبلبل من الرجال الخفيف.

والبلبل: العندليب، البلبل: طائر حسن الصوت يألف الحرم ويدعوه أهل الحجاز النغر، والبلبل: قناة الكوز الذي فيه بلبل إلى جنب رأسه.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع.

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 94-95.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج1، ص 492.

يقول:

وَمَعْبُدُ الطَّيْرِ وَهُوَ بَلْبُلُهَا
مُرْجَعٌ فِي غَصِينِهِ نَعْمَةٌ⁽¹⁾
(الرممل)

ويقول:

وَمَا أَرَقَّ الْأَجْفَانَ إِلَّا بَلَابِلٌ
تُسَامِرُهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ بَلَابِلِي⁽²⁾
(الطويل)

ويقول:

فَصَفِيرُ البَلْبُلِ مُطْرَحٌ
فِي الْأَيْكِ لَهُ صَوْتُ الصَّرْدِ⁽³⁾
(المنسرح)

الحَمَامُ، حَمَامَةٌ⁽⁴⁾:

الحمامة: طائر، تقول العرب: حمامة ذكر وحمامة أنثى، والجمع حمام.

ابن سيده: الحمام من الطير البري الذي لا يألف البيوت، وهذه التي تكون في البيوت هي اليمام.

قال الأصمعي: اليمام ضرب من الحمام البري وأما الحمام فكل ما كان ذا طوق مثل القمري والفاخته وأشباهها. واحدته حمامة، وهي تقع على الذكر والمؤنث كالحية، والنعامة، ونحوها، والجمع حمام، ولا يقال للذكر حمام.

والحمامة: وسط الصدر.

والحمامة: المرأة.

والحمامة: خيار المال.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 420.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 395.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 162.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج3، ص 344.

والحمامة: سعدانه البعير، والحمامة: ساحة القصر النقية، والحمامة بكرة الدلو، والحمامة: المرأة الجميلة، والحمامة: حلقة الباب، والحمامة من الفرس: القص، والحمام: كرائم الإبل، واحدتها حميمة.

وقد ورد لفظ الحمام مفردا وجمعا في ديوان ابن حمديس في بضعة وعشرين موقعا.

كَذَاكَ حَمَامُ الْبُرْجِ يُذْبِحُ فَرْخَهُ فَيَسْلُو وَيَأْسَى عِنْدَ قَصِّ جَنَاحِهِ⁽¹⁾
(الطويل)

ويقول مشبها الراقصات بالحمام:

كَمَا جَرَّرَتْ أَدْيَالَهَا فِي هَدْيِهَا حَمَائِمُ أَيِّكَ أَوْ طَوَاوَيْسُ تَبْدِخُ⁽²⁾
(الطويل)

ويقول:

وَيُصْبِحُ سَرِبَ الْحَمَامِ الْحَمَامُ وَيَجْنَحُ مِثْلَ الْجَنَاحِ الْخَفُوقِ⁽³⁾
(المتقارب)

الحمام من الطيور التي استهوت الشاعر واستحوذت على قوة عباراته وجزالة ألفاظه وروعة تشبيهاتها ودقة أوصافها ورقة معانيها وصف شاعرنا للحمام. ذلك الطير الذي اعتنى به شعراء الأندلس عموماً، وشاعرنا على وجه الخصوص. فهذا الطير يحرك الشعراء بأشجانته، وفيه ضربوا المثل بالوفاء، وحبه لأولاده وفراخه، فيذكره شاعرنا صادحاً على الأفنان في شجو وحنين يقول ابن حمديس:

وَنَاطِقَةٌ بِالرَّاءِ سَاجِعًا مُرَدِّدًا كَحُسْنِ خَرِيرٍ مِنْ تَكْسَرِ جَدُولِ
مُغْرَدَةٌ فِي الْقُضْبِ تَحْسَبُ جِيدَهَا مَقْلَدَ طَوْقِ الْجِمَانِ الْمُفْصَلِ
إِذَا مَا امْحَى كُحْلُ الدُّجَى مِنْ جَفُونِهَا دَعَتْكَ عَلَى كَأْسِ الْغَزَالِ الْمَكْحَلِ
مَلَأَتْ لَهَا كَفَّ الصَّبُوحِ زَجَاجَةً مُذَهَّبَةً بِالرَّاحِ فِضَّةً أَنْمَلِ⁽¹⁾
(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 111.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 112.

(3) المصدر نفسه: ص 327.

صورة جميلة يفردها شاعرنا لوصف الحمام نلمح من خلالها دلالة واضحة على تصور الشاعر للحمامة فهي مخلوق مرح مغرد يشيع الحيوية والبهجة ويسري عن النفوس حزينها وأسأها، ويضعها أمام الجوانب المشرقة في الحياة، تلك التي يمثلها عند الشاعر خريز الماء وانسيابه عبر الجداول وتغريد الطيور وإنشادها على الأغصان راقصة، حيث الرياح العابثة بالأغصان وكأنها تراقصها، إضافة إلى حسن خلقها ومظهر جسمها بما يضيفان الراحة والهدوء والرضا المعتمد على استعمال الألوان الزاهية والأعضاء المتناسقة وعناصر الجمال التي يكمل بعضها بعضها الآخر⁽²⁾.

إن الشاعر في هذه الصورة يعمد إلى إبراز نواحي الجمال في حمامته شكلاً وصوتاً وإنشاداً، حتى مظهرها العام، وإذا ما أمعنا النظر في البيت الرابع من الأبيات المذكورة نجد أن الشاعر جعل وصف الحمامة تمهيداً للحديث عن الشراب ووصف بعض مظاهر الجمال الطبيعي من حوله ويسير على هذا النسق مستلهماً الطبيعة فيما يذكر من صفات ويرسم من صور.

وهذا يؤكد أثر الحمامة وذكرها في نفس الشاعر. فقد أظهرت الفرح والسرور في الشاعر حيث غمر الفرح نفسه وأضاء الفجر قلبه وطريقة وكل ذلك بفعل هديل الحمامة الشجي والفجر بإشراقه الندي، كما أثار حبا للطبيعة والحياة، فلا شيء وهو في حالة الغبطة والبهجة هذه يتم عليه صفاءه ونشوته غير الشرب⁽³⁾.

ونقف عند بيتين آخرين لشاعرنا، لكن صورتها مختلفة عن الصورة السابقة كلياً، ففي الصورة السابقة كان الحمام مدعاة للفرح والسرور والبهجة على عكس البيتين التاليين:

سَلَا أَيَّ سَلَوَانِي أَرَى مَصْرَعِ ابْنِهِ
وَطَالَ لِفَقْدِ الْمَالِ طُولُ نِيَّاحِهِ
كَذَاكَ حَمَامُ الْبُرْجِ يُدْبِحُ فَرْحُهُ
فَيْسَلُو وَيَأْسَى عِنْدَ قَصِّ جَنَاحِهِ⁽⁴⁾

(الطويل)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 361.

(2) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 103.

(3) انظر: السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباد. ط1، ص 125..

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 111.

فهنا الحمام يشارك الشاعر أحزانه والآمه، فالشاعر يفقد وطناً سلبياً بعيداً عنه فيحن إليه ويشتاق ويبيكي حزناً وألماً وكذلك الحمام الذي فقد فرخه المذبوح فحزن عليه وبكى.

الطاووس

لقد كان الطاووس عند العرب قديماً ومازال رمزاً للجمال والروعة والبهاء. ومثالاً للخيل والأناقة والرفعة، فهو طائر جميل الريش، وألوانه متعددة، حسن المظهر، معجب بنفسه مزهو بها، وتتطوي مشيته على الزهو والخيلاء، وقد وصفه أحد الباحثين من خلال وصف الشعراء له قائلاً " فأصبح ملكاً للطيور وقال إنه يلبس حلة من الخيلاء وليست في نظره إلا روضة غناء"⁽¹⁾.

وقد يكون ابن حمديس ذكر هذه الصفات لهذا الطائر ليضفي بها على صقلية، وقد ذكر الحمام مع الطاووس في قوله:

بَدَأَ أَعَارَتُهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حَلَّةَ رِيْشَةِ الطَّائِوسِ⁽²⁾
وَكَانَ هَاتِيكَ الشَّقَائِقَ قَهْوَةً وَكَانَ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسُ⁽³⁾

فقد جعل الشاعر صورته قائمة على الحمامة والطاووس وليس على الطاووس فقط، فقد أخذ من الحمامة طوقها الجميل ولونها الزاهي في خضم لونها الرمادي الجميل، وأخذ من الطاووس ألوان الريش بتعددتها وما تتطوي عليه من الجمال والبهاء⁽³⁾.

الطُّيُورُ، طَائِرٌ⁽⁴⁾:

الطير: معروف اسم الجماعة الطير أو ما يطير، مؤنث، والواحد طائر والأنثى طائرة، وهي قليلة، وأرض مطارها، كثير الطير.

والطير: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله كما يقال لا أمر إلا أمر الله.

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي: ص 156.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 553.

(3) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي: ص 157.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج8، ص 237.

وجمع الطائر: أطيّار وهو أحد ما كسر على ما يكسر عليه مثله، الطير يقع للواحد، والطيور جمع طائر.

وقد وردت لفظة طير بين المفرد والجمع في ديوان ابن حمديس بضعا وأربعين مرة.

يقول:

وَتَلْقَى الْمَنَايَا وَهِيَ فِي عَرَضِ الْمَنَى وَكَمْ أَجَلٌ لِلطَّيْرِ فِي مَلْقَطِ الْحَبِّ⁽¹⁾
(الطويل)

ويقول:

مَبَاكِرَةَ صَيْدِ الطُّيُورِ فَمَا تَرَى طَرِيدَتِهَا إِلَّا مُخْضَخَصَةَ الْقَعْبِ⁽²⁾
(الطويل)

ويقول مشبها الأعداء بالطيور التي قصت أجنحتها.

وَكَمْ طَائِرٍ مِنْهُمْ قَصَصَتْ جَنَاحَهُ فَأَصْبَحَ مَسْجُونًا عَنِ النَّهْضِ فِي الْوَكْرِ⁽³⁾
(الطويل)

العصافير، عصفور⁽⁴⁾:

العصفور: السيد، والعصفور: طائر ذكي، والأنثى بالهاء

العصفور: الذكر من الجراد، والعصفور: خشبة في الهودج تجمع أطراق خشبات فيها،
والعصفور: الخشب الذي تشد به رؤوس الأحناء، والعصفور: عظم ناتئ في جبين الفرس
وعصفور الناصية أصل منبتها، والعصفور: قطعة من الدماغ تحت فرح الدماغ كأنه بائن،
والعصفور: الشمراخ السائل من غرة الفرس لا يبلغ الخطم، والعصفور: ما على السناسن من
العصب، والعصفور: الولد، يمانية.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 34.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 35،

(3) المصدر نفسه: ص 226.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج9، ص 242.

يقول:

وَجَدْتُ جَنَاحَ عَصْفُورٍ جَنَاحِي فَأَصْبَحَ لِلْعُقَابِ بِهِ احْتِقَارُ⁽¹⁾
(الوافر)

ويقول:

وَرَوْضَةَ حُسْنٍ غَرَدَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا عَصَافِيرُ حَلِي تَلْقُطُ الدَّرَّ لَا الْحَبَّ⁽²⁾
(الطويل)

وقد قصد ابن حمديس المعنى الحقيقي لهذه اللفظة.

الغُرَاب⁽³⁾: الطائر الأسود، والجمع أغربة، وأغرب، وغريان، وغرب، وغرابين جمع الجمع
يقول:

سَوَادُ غُرَابٍ فِي بِيَاضِ حَمَامَةٍ تَطِيرُ بِهِ سَبْحًا عَلَى الْمَاءِ أَوْ تَجْرِي⁽⁴⁾
(الطويل)

ويقول:

ظَلُولٌ عَفَتْ آيَاتُهَا فَكَأَنَّمَا غَرَابِيْبُهَا جِرْعٌ وَإِدْمَانُهَا وَدَعُ⁽⁵⁾
(الطويل)

استخدم الغرابيب ليدل على رحيل أهل الديار عنها. لأن الغراب ينذر بالشؤم والحزن والفراق عند العرب.

ويقول:

أَشَارَتْ وَسُحِبُ الدَّمْعِ دَائِمَةُ السَّقْفِ بَأَنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَنْعَبُ فِي الصَّبْحِ⁽⁶⁾
(الطويل)

الْقَطَا:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 240.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 50.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج.6. ص 292.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 226.

(5) المصدر نفسه: ص 307.

(6) المصدر نفسه: ص 93.

قطا: قَطَا يَقْطُو: ثَقُلَ مَشِيهِ. والقَطَا طَائِرٌ مَعْرُوفٌ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِثِقَلِ مَشِيَّتِهِ، وَاحْدَتُهُ قَطَاةٌ، وَالْجَمْعُ قَطَوَاتٌ، وَقَطِيَّاتٌ وَمَشِيهَا الْأَقْطِيَّاءُ. تقول: أَقْطَوْتُ القَطَاةَ نَقْطُوطِي، وَأَمَّا قَطَّتْ نَقَطُوا فبَعْضٌ يَقُولُ مِنْ مَشِيهَا، وَبَعْضٌ يَقُولُ مِنْ صَوْتِهَا، وَبَعْضٌ يَقُولُ القَطْقَطَةَ وَالْقَطُو: تَقَارَبَ الخَطُو مِنْ النِّشَاطِ، وَالرَّجُلُ، يَقْطُوطِي فِي مَشِيهِ إِذَا اسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ (1)

يقول ابن حمديس ذاكراً القطة التي تدخر خير تعده لأرقاق النفوس:

وَمَا كَانَ إِلَّا خَيْرٌ نُخِرَ تَعَدُّهُ قَطَاةٌ، لِأَرْمَاقِ النُّفُوسِ، وَذَيْبِ (2)

(الطويل)

الطيور الجارحة:

الصقْر (3):

صقر: الصقر: الطائر الذي يصاد به، من الجوارح، والصقر: كل شيء يصيد من البزاة والشواهين، والجمع أصقر وصقور وصقوره وصقار وصقارة. والصقر: جمع الصقور الذي هو جمع صقر.

وقد ورد هذا اللفظ في ديوان ابن حمديس في بضعة مواقع بلفظه أو صفاته.

يقول:

بِأَكْبَرَ يَسْتَخْذِي لَهُ كُلَّ أَكْبَرٍ فَيُطْرِقُ إِطْرَاقَ البُعَاثَةِ لِلصَّقْرِ (4)

(الطويل)

ويقول:

إِذَا طَارَ مِنْهُمْ بِالْوَصِيَّةِ سَوْدَقٌ فَذَلِكَ فِي إِفْصَاحِ مَنْطِقِي القَمَرِيِّ (5)

(الطويل)

السودق: الصقر

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج11، ص 233.

(2) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 39.

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج7، ص 373.

(4) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 227.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 271.

ويقول:

وَتَنْفِضُ رَأْسًا فِي الزَّمَامِ كَأَنَّمَا تَرِيكَ لَهُ فِي الْجَوِّ نَفْضَةَ أَجْدَلٍ⁽¹⁾

(الطويل)

الأجدل: الصقر

العُقاب:

جمع العُقاب أَعْقَابٌ، لأنها مؤنثة. وأفعل بناء يختص به جمع الإناث، مثل عناقٍ وأعناق، وذراع، وعُقاب عقنبة، ذكره ابن سيده في الرباعي، وقال ابن الأعرابي: عتاقُ الطير العقبان، وسباع الطير التي تصيد، والذي لم يصدَّ الخشاش وقال أبو حنيفة: من العقبان عِقْبَانٌ تسمى عِقْبَانُ الجردان، ليست بسود، ولكنها كُهبٌ ولا ينتقع بريشها: إلا أن يرتاش به الصبيان الجماميح⁽²⁾.

يذكر ابن حمديس العُقاب في مواقع كثيرة في ديوانه، ومن ذلك يصور نفسه قد ركب عُقاباً إذ دُعر من الغراب ليلاء.

ذعرتُ غرابَ الليلِ بي فَكَأَنَّنِي لِأَصِيدَهُ مِنْهَا رَكِبْتُ عُقَاباً⁽³⁾

(الكامل)

قَشَعَمٌ، قَشَاعِمٌ⁽⁴⁾: (قشعم) القشعوم: الصغير الجسم وبه سمي القراد وهو القرشوم والقرشام. والقشعم والقشعام: المسن من الرجال والنسور لطول عمره وهو صفة والأنثى قشعم. قال ابن سيده القشعم مثل القشعوم. وقشعم من أسماء الأسد، وكان ربيعة بن نزار يسمي القشعم.

يقول:

كَأَنَّ عَلِيَّهَا لِلْعَجَاجِ مَلَاءَةً مُطَيَّرَةً فِي الْجَوِّ مِنْ كُلِّ قَشَعَمٍ⁽⁵⁾

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج9، ص 360.

(3) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج7، ص 373.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 483.

(الطويل)

ويقول:

وتنسجُ يومَ الرَّوعِ من نسجِ جردنا علينا ملاءً بالقشاعِمِ ترقم⁽¹⁾

(الطويل)

ويقول في قصيدة استخدم فيها هذه اللفظة مفردا وجمعا.

ويُبئلي غيرَ مُستَبقِ حَيَاةٍ لِقَشَعِمِ سَاهِقِ مَيْتِ النَّهُوضِ

(الوافر)

ويقول في ذات القصيدة:

عجبتُ لجمعهِ فيهنَّ صَيِّداً بهَا بَيْنَ القَشَاعِمِ والبَعُوضِ⁽²⁾

(الوافر)

ويقول:

تريك قشاعما في الجو⁽³⁾

النُّسور، النَّسْرُ، أبو ملحَم⁽⁴⁾:

نسر: نسر الشيء: كشطه، والنسر: طائر معروف وجمعه أنسر في العدد القليل، ونسور في الكثير، من أسماء العقاب النسارية شبهت بالنسر، الجوهرى: النسر لا مخلب له، وإنما له الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة. وفي النجوم: النسر الطائر والنسر الواقع، والنسران كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنسر الطائر.

وقد استخدم ابن حمديس هذا اللفظ في بضعة مواقع بين المفرد والجمع.

يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 414.

(2) المصدر نفسه: ص 294.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 484.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج14، ص 121.

نَسُورٌ وَعَقْبَانٌ إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ

مَحَلَّةٌ سَدَّتْ مِنَ الْجَوِّ نَفْنَفاً⁽¹⁾

(الطويل)

وقد استخدم اللفظ جمعاً:

ويقول:

وَمَرُّوْ صَدَى الرَّوْضَاتِ يَسْحَبُ دَائِباً

عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ جُمَّةٌ تَتَبَعُصُ⁽²⁾

(الطويل)

ويقول:

كَأَنِّي إِذْ كَبُرْتُ نَسْرٌ

يُطْعِمُهُ فَرَخُهُ بَعْشٌ⁽³⁾

(البسيط)

ويقول:

وَقَدْ صَوَّبَ النَّسْرُ الْمَحَلَّقُ تَالِيَاً

أَخَاهُ وَمَاتَ اللَّيْلِ إِذْ وُلِدَ الْفَجْرُ⁽⁴⁾

(الطويل)

الحشرات:

لقد وصف ابن حمديس في ديوانه أنواعاً مختلفة من الحشرات منها الزواحف ومنها الطائرة ضارة وغير ضارة، وقد كان الضار منها بصورة خاصة ذا صورة واضحة في الشعر العربي بعمامة وشعر الأندلسيين في عصر الطوائف والمرابطين بخاصة. وينبع هذا الوصف من صلة بين الإنسان وبين هذا الحيوانات لما لها من تأثير على راحته وأمنه، وتعريض جسمه للأمراض والالام المرحة المقلقة، إضافة إلى ما تحدثه من خوف وهلع في نفسه الأمر الذي يحدث لديه الاضطراب النفسي وأرق يقض مضجعه ويتردد النوم من عينيه ليبقى معذباً كأنه مصاب بأفدح المصائب المفارق لأعز الأخيّه على نفسه⁽⁵⁾.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 291.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 287.

(3) المصدر نفسه: ص 240.

(4) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص 165.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 42 - 44.

وأشهر هذه الحيوانات ذكراً ما قد أفرد له الشاعر قصائد مستقلة تضمنت وصف أدق تفاصيلها، وعلى رأسها العقرب وفيها يقول ابن حمديس:

وَمَشْرَعَةٌ بِالْمَوْتِ لِلطَّعْنِ صَعْدَةٌ
مُدَاخِلَةٌ فِي بَعْضِهَا خَلْقَ بَعْضِهَا
تَذِيقُ خَفِيِّ السَّمِّ مِنْ وَخْزِ إِبْرَةٍ
وَتَمَهَلُ بِالرَّاحَاتِ مَنْ لَمْ يَمُتْ بِهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لَوْنُ الْبَهَارَةِ لَوْنَهَا
لَهَا سَوْرَةٌ خَصَّتْ بِصُورَةِ رَدَّةٍ
وَقَدْ نَصَلَتْ لِلطَّعْنِ مَحْنِيَّ صَعْدَةٍ
وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ قَبْلَهَا سَمَّ هَرِيَّةٍ
لَهَا طَعْنَةٌ لَا تَسْتَبِينُ نَاطِرٍ

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات يسهب ويفصل في وصف هذا الحيوان الزاحف، فقد وصف شكلها والسم النافع الذي يسري في الجسم وقد يؤدي إلى هلاك الإنسان وموته، وعلى الرغم من أن هذا الحيوان صغير الحجم إلا أنه مؤذٍ، كما أنه يتنقل من مكان إلى آخر بحركة منتظمة محسوبة عن تربصه بفريسته ليكون أثره بليغاً وقد يؤدي إلى الموت الزؤام.

ولا يقف الشاعر عند ذلك، بل أنه يستمر في وصف هذا الحيوان دالاً ما يحدثه من أثر بالغ في لدغته للإنسان الذي عجز في كثير من الأحيان عن تحاشي بطشه والنيل منه، وليس هذا فحسب بل إن هذا الحيوان قد أقلق راحته وحرمه النوم فهو معه في البيت في أرضه أو في سقفه⁽¹⁾.

ولعل هذا يدلنا على مدى القلق الذي يعيشه شاعرنا وهو غريب عن وطنه، فكل شيء في الوجود يدعوه إلى القلق والخوف والهلع حتى الحيوانات الزاحفة تنثير انفعالاته وأحاسيسه بالخوف والتوتر. فلا يهدأ له بال ولا تطمئن له نفس ولا يخشع له قلب. فكل ما في الوجود

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي: ص 166.

مخيف ومرعب وبخاصة إذا ما كان الإنسان بعيداً عن وطنه. ومما يؤكد ذلك أن شاعرنا قد وصف هذا الحيوان مرة أخرى ولكن ليس بهذا التفصيل وإنما بأبيات أقل يقول:

وَدَاتَ خَلْقَ تَرْيِبِ الْخَلْقِ صُورَتُهُ فَكَلَّ نَاطِرَ عَيْنٍ لَيْسَ يَأْلَفُهُ
كَأَنَّ شَوْكَةَ عَنَابٍ بِمَبْضَعِهَا يُجْرَعُ السَّمُّ مِنْهُ مَنْ يُصَادِمُهُ⁽¹⁾

(البيسيط)

فالشاعر يبين أثر العقرب وقوة لسعتها بكلمات قليلة موجزة دالة، ويصف لسعتها وكأنها شوكة عناب.

البعوض والبرغوث والبق.

حشرات صغيرة وضعيفة في شكلها إلا أنها مؤذية في أثرها، ومقلقة للإنسان ومتعبة له وكأنها عدو يطارده في كل وقت وحين. وعند نومه على وجه التحديد وخاصة البعوض. وعلى الرغم من ذلك كله إلا أنها استأثرت باهتمام شاعرنا، فوصفها مجتمعة تارة، وأفرد الحديث عن بعضها تارة أخرى، ومما جاء وصفه منفرداً قوله في البق:

يَالَيْلُ هَلْ لِّصَبَاحِي فَيْكَ إِشْرَاقُ فَقَدْ نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنِي إِبْرَاقُ
عَسَاكِرُ الْبِقِّ نَحْوِي فَيْكَ زَاحِقَةٌ كَأَنَّمَا بَثَّ وَسَطَ الْبَيْتِ سُمَاقُ
مَنْ كُلُّ طَاعِنِهِ الْخَرْطُومِ سَارِيَةٌ كَأَنَّ لِسْعَتَهَا بِالنَّارِ إِحْرَاقُ

(البيسيط)

سفالشاعر يذكر هذه الحشرة وكأنها جيش يغزو ليلاً ويُعمل فيها الطعن بخراطيمه الطويلة وكان طعنها تشبه حرق بالنار لذا فهي تؤلم الشاعر وتورقه وتقض مضجعه.

ولا يكتفي الشاعر في ذكر البق منفرداً بل إنه يذكره مع أنواع أخرى من الحشرات وكأنها أجمعت مع بعضها حتى تضاعف قوتها، وتتعاون على افتراسه، وكأنه مباح الدم مسترخص القيمة، يشترك الجميع في الإجهاد عليه كل له دروه وحظه في العملية، وفي ذلك يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 316.

نَوْمِي عَلَى ظَهْرِ الْفَرَّاشِ مُنْعَصُ
مِنْ عَادِيَاتِ كَالذَّنَابِ تَذَاعِبَتْ
جَعَلَتْ دَمِي خَمْرًا تَدَاوِمُ شُرْبُهَا
فَتَرَى الْبَعُوضَ مَغْنِيًا بِرَبَائِهِ
وَاللَّيْلُ فِيهِ زِيَادَةٌ لَا تَنْقُصُ
وَسَرَتْ عَلَى عَجَلٍ فَمَا تَتَرَبَّصُ
مُسْتَرْخِصَاتٍ مِنْهُ مَا لَا يُرْخِصُ
وَالْبَقُّ تَشْرَبُ وَالْبِرَاغِيثُ تَرْقُصُ⁽¹⁾

(الكامل)

صورة مليئة بالحركة، لما فيها من عناصر الحيوية التي تشترك في التعبير عن حالة الإنسان حين يهجم عليه البعوض فينغص عليه راحته، ويذهب عنه النوم، ويبدله الهموم والأحزان، وكأنني بالشاعر أراد أن يجعل الصورة أكثر إثارة وأشد تأثيراً فعمد إلى جعل أكثر من حيوان يشترك في إقلاق الإنسان ودفع الراحة عنه.

فالشاعر يشبه هذه الحيوانات مجتمعة وكأنها ندامى يتسامرون ليلاً وقد كان الإنسان أو لعله الشاعر خمرتهم التي يشربونها ويتلذذون بشربها، أو أن الدم هو الخمرة المعتقد التي تشربها.

الذباب

لم يكن الذباب أرفع شأنًا من غيره من الحشرات ولا أقل تأثيراً في حياة الإنسان، بل لعله كان الأكثر إيذاءً وقلقاً وإرهاقاً وتعباً بالنسبة للإنسان، وهذا سبب كفيلاً بأن يحظى باهتمام الناس بعامة والشعراء على وجه الخصوص. على الرغم من أن كثيراً من الناس من يرى الذباب أقل أثراً فيهم من البق والبعوض والبرغوث، إلا أن أثر الذباب كبير وقد لا يرى أو يظهر أثره مباشرة إلا بعد زمن طويل.

وقد وصف ابن حمديس هذه الحشرة وصفاً يبين واقعها وأثرها وخصوصاً ما يقع منها على الإبل موضعاً الأضرار التي تتعرض لها من هذه الحشرة المضرّة، فهي تدمي أجسادها وتورثها الحكمة الشديدة حتى تسيل دماؤها من جرائها. يقول ابن حمديس:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 289.

وَمُودِعٌ فِي الْمَطَايَا لَسَعَةِ حُمَةٍ
يَحِكُّ مِنْ دَمِهَا الْقَاتِي يَدًا بِيَدٍ

فَيُزَعِجُ الرُّوحَ تَعْذِيباً مِنَ الْجَسَدِ
حَاكِ الظَّرِيفِ بَحْنَاءِ بَنَانِ يَدٍ⁽¹⁾

(البيسط)

فهذه الصورة معبرة عن الذباب الواقع على الحيوانات، فيكون أشد إيذاء وأعمق إيلاماً من الذباب الواقع على الإنسان، وقد تذكر هذه الصورة تذكر الإنسان بحالة وأنه جزء من هذه البيئية التي تعيش فيها هذه الحيوانات على الرغم من إيذائها له.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 134.

الفصل الرابع

قضايا لغوية

قضايا لغوية

لقد كان جل اهتمام الأصوليين على الجانب التطبيقي فيما بين اللفظ والمعنى من علاقات في تركيز واضح على مدلولات العبارات لاستخراج الأحكام الشرعية. بينما كان اهتمام البلاغيين منصبا على الجانب الجمالي والإبلاغ المعنوي بوضوح، مسخرين لذلك الطاقات الكامنة في الألفاظ التي يسعون دائما لاكتشافها، لتأدية المعنى وتصوير خوالج النفس في أفضل تعبير، إلا أن اللغويين قد نظروا إلى الألفاظ بعين العناية والاهتمام، وذلك من زوايا متعددة، فكانت اللغة بالنسبة اليهم كنزاً يحتاج إلى الاكتشاف، لذا فقد أصبحت اللغة طعامهم وشرابهم بل شغلهم الشاغل، ومن هنا فقد اتسع نطاق الدراسات اللغوية ليشمل قضايا متعددة.

لا نريد الوقوف على هذه القضايا كلها. بل سنقف عند بعضها وعلى وجه الخصوص تلك القضايا والموضوعات التي كان لها ظهور بين ألفاظ الطبيعية في ثنايا الديوان وفي طيات الأبيات ونقف عند هذه القضايا المعرفة أصول بعضها ولمعرفة الألفاظ التي تعددت معانيها، والمعنى الذي تعددت ألفاظه، واللفظ وضده، وما استعمل من هذه الألفاظ على حقيقته معناه أو ما يدعى الحقيقة إلى المجاز أو ما تطور من معاني الألفاظ من خاص إلى عام، أو المعنى العام الذي يخصص. وسنتحدث تاليا عن بعض هذه الموضوعات ومنها:

1- المشترك اللفظي:

يقول السيوطي في المزهري، معرفاً المشترك اللفظي: "وقد حدّه أهل الأصول بأنّه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"⁽¹⁾. ويعرفه صبحي الصالح، بعد أن ذكر تعريفه السيوطي قائلاً: "هو ما اتحدت صورته واختلف معناه"⁽²⁾. أمّا إبراهيم أنيس فيقول هو: "... نوع من الكلمات رويت لنا متحدة

(1) السيوطي، جلال الدين: المزهري. مطبعة السعادة، مصر، 1325 هج، ص 216..

(2) الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973، ص 302.

الصورة مختلفة المعنى، وقد تنوع القدماء أن يسموا هذا النوع من الكلمات بالمشترك اللفظي⁽¹⁾

وذلك ما أشار إليه ابن جني حيث يقول: "باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات"⁽²⁾ ويمثل له بالصدى للدلالة على أحد الطيور وهو طائر الثأر، ويعني العطش، وكذلك يعني ترجيع الصوت. وقولهم صدى قال أيضاً. إلا أن هذه المعاني يرفضها الدرس اللغوي الحديث، لأنهم قد وضعوا شروطاً لتحقيق المشترك اللفظي، منها "وحدة الزمان والمكان والنطق والقسم الكلامي وتباين المعنيين كل التباين"⁽³⁾.

ويعلل اللغويون وضع تلك الشروط لان الدارسين القدامى لم يدرسوا المشترك اللفظي في فترة زمنية محددة بل جاء تناولهم ممتداً على فترة زمنية طويلة. ومساحة جغرافية أكبر هي الوطن العربي. كما اعتمدوا على التراث في استحضار الأمثلة شاهدة على أقوالهم.

ومع ما استحضره اللغويون من أمثلة على المشترك، إلا أن ذلك لم يمنع المعارضين لفكرته من الإدلاء بدلوهم، فهذا ابن دستوريه يرى أن ليس ثمة مشترك لفظي داخل اللغة الواحدة. وإنما يكون بين ألفاظ لغتين مختلفتين، لان وجود عدة معاني للفظ واحد في لغة واحدة فهذا يوجد التعمية وعدم القدرة على الفهم ويؤدي إلى اللبس⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من وجود المعارضين إلا أن ذلك لم ينف كثرة المؤيدين من علماء اللغة القدامى أمثال الخليل وسيبويه وأبي زيد الأنصاري والأصمعي والمبرد

(1) أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية، ط64، مكتبة الانجلو المصرية، ص 192.

(2) ابن جني: الخصائص: ت محمد علي النجار: دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، 1955، ص 93.

(3) من بحث لـ احمد مختار عمر بعنوان "المنجد في اللغة لكرام النمل" مجلة مجمع اللغة العربية عدد 22، القاهرة 1986، 9500.

(4) السيوطي، جلال الدين: المزهرة. ج1، ص 384.

وأبي عبيد وابن جني وابن فارس والثعالبي والسيوطي، بل إن منهم من أوجد مؤلفات في هذا المضمار كأصمعي واليزيدي⁽¹⁾.

أما أسباب المشترك اللفظي فهي متعددة ومختلفة. منها ما يعود إلى المعنى ومنها ما سببه لهجي، ومنها ما سببه صوتي، ومنها ما هو خارجي، وأهمها ما كان عائداً إلى المعنى. ويتضح ذلك من خلال انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي، فنكتسب الكلمة معنى جديداً يستقر بعد ذلك عن طريق الاستعارة أو المجاز.

إن استعمال الكلمات مجازاً يفضي بها إلى معاني متعددة وعلاقات مختلفة، فتطور المعنى الأصلي حيناً أو تغييره وقد تحوله من العام إلى الخاص أو العكس، أو تضيقه أو توضحه، وقد تجله غامضاً بعيداً عن الفهم. وبالتالي تظهر الكلمات ذات الحروف المشتركة والأصوات المتشابهة والصورة نفسها وتعطي معاني مختلفة. ومن ذلك إطلاق لفظ الهلال على أشياء مختلفة منها هلال السماء وهلال الصيد وهلال النعل، وهلال الإصبع وعلى الحية إذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة. وكلمة هلال في معناها أصلاً تدل على هلال السماء⁽²⁾.

و تلعب القواعد التصريفية دوراً مهماً في توليد المشترك اللفظي وهي لا تبتعد كثيراً عن التشابه الصوتي، وذلك أن القواعد الصرفية تؤدي إلى أن تتفق اللفظتان المتقاربتان في الصفة الواحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في المعنى. لهذه الصيغة يؤدي إلى جعلها من قبيل المشترك اللفظي⁽³⁾.

(1) انظر: عمر، أحمد مختار: علم الدلالة. ط5، ص 93 - 99.

(2) انظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية 120

(3) انظر: الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة. ط5، ص 72.

ومما يعد من المشترك اللفظي ما يدل على المتضادين في المعنى كالجون للأبيض والأسود⁽¹⁾. والمشارك هنا كلمة واحدة دلت على اسمين متضادين لفظاً ومعنى وقد جاء في الأحكام: "وإذا كان الاسم واحداً والمسمى مختلفاً فهو المشارك كالجون على الأبيض والأسود، وعسّس على إقبال الليل وأدباره"⁽²⁾.

شواهد من المشارك اللفظي في ديوان ابن حمديس

الغزاة:

الغزاة: الشمس والغزاة: المرأة والغزاة: الظبية

يقول الشاعر:

قُلْ لِمَنْ ضَاهَتْ الْغَزَاةُ نُورًا وَهِيَ مِنْ طَيْبِهَا غَزَاةٌ مِسْكٌ⁽³⁾
(الخفيف)

الغزاة الأولى قصد بها الشمس، أما غزاة قصد بها المرأة الجميلة ويقول:

هَلْ ظَنَّ ثَغْرَكَ أَقْحَوَانًا نَاضِرًا تَرَاعَاهُ غُزْلَانُ الْفَلَاةِ خَمَائِصًا⁽⁴⁾
(الكامل)

غزلان: الظباء

القطار:

القطار: المطر مفرداً قطرة وتستخدم الآن للدلالة على آلة

يقول:

(1) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول. ج1، المطبعة الاميرية، بولاق، 1322 هـ. ص 32.

(2) الأمدي: 23/1

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 344.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 288.

ولا زناداً له في الجوِّ قدحٌ

مكانَ شرارِها همتِ القطارِ⁽¹⁾

(الوافر)

وقصد بالقطار هنا: المطر

برد: الماء الجامد، البرد: الأسنان البيضاء

وقد استخدم ابن حمديس كلا المعنيين. يقول:

نثرَ الجوِّ على الأرضِ بردٌ

أيُّ درٍّ لنحورٍ لوَّ جمدٌ⁽²⁾

(الرملي)

البرد: الماء الجامد.

وبردتُ حرَّ الشوقِ بالبرد الذي

شهدٌ ومِسْكٌ دونهُ وعقار⁽³⁾

(الكامل)

وقصد بالبرد الأسنان

النَّوَّارِ:

النوار: المرأة النفور النوار: محمرة الأوراق. يقول:

فإنَّ مزجتَ وجدتَ لها انقياداً

كما تنقادُ بالخدعِ النَّوَّارِ⁽⁴⁾

(الوافر)

وقصد بالنوار: المرأة النفور

ويقول:

اشربْ على بركةِ نيلوفرٍ

مُحَمَّرَةِ النَّوَّارِ خَصْرَاءِ⁽⁵⁾

(السريع)

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 236.

(2) المصدر نفسه: ص 117.

(3) المصدر نفسه: ص 260.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 236.

(5) المصدر نفسه: ص 5.

محمرة النوار: محمرة الأوراق

الجبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطواد، والجمع أجبال وجبال، الفراء الجبل سيد القوم وعالمهم⁽¹⁾.

يقول:

مَا قَرَّ بِي السَّيْرُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ
إِلَّا كَمَا قَرَّ جَارِي الْمَاءِ فِي صَبَبٍ⁽²⁾
(البسيط)

جبل: وتد من أوتاد الأرض على المعنى الحقيقي

ويقول:

تَبَرَّكَتِ الْأَيْدِي بِتَسْوِيَةِ الثَّرَى
عَلَى جَبَلٍ رَاسِي الْأُنَاةِ عَلَى هَضْبٍ⁽³⁾
(الطويل)

الجبل: سيد القوم

ويقول:

جِبَالٌ طَفَّتْ فَوْقَ الْمِيَاهِ وَغِيضَتْ
بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ عَلَى الْأُسْدِ⁽⁴⁾
(الطويل)

جبال: السفن.

المعرب والدخيل

ويقصد بالدخيل من الألفاظ ما دخل اللغة العربية من مفردات من اللغات الأخرى (غير العربية)، سواء كان ذلك في ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، إضافة إلى ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين.

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج2، ص 18.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 17.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 36.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 153.

لقد أجمع جمهور الباحثين أن العرب الفصحاء هم عرب البدو ممن سكن الجزيرة العربية حتى أواسط القرن الرابع الهجري، إضافة إلى عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري وتلك هي عصور الاحتجاج وعلى الرغم من بعد المسافة بين الجزيرة العربية وبلاد الأعاجم من جميع جهاتها، إلا أن ذلك لم يحل دون تسرب بعض الألفاظ الفارسية والرومية إليها. وقد صيغت هذه الألفاظ على أوزانها، وأنزلتها على أحكامها وجعلتها جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها.

ففي الجاهلية عُرِّبَ عن الفارسية مثل الدولاب، والدسكرة، والكعك، والسמיד، والجنار، وعن الهندية أو السنسكريتية مثل الفلفل والجاموس والشطرنج، والصندل؛ وعن اليونانية مثل القبان أو القنطار، والترياق⁽¹⁾.

كما ورد في القرآن كثير من معرّبات الجاهلية. على الرغم من إنكار بعض العلماء لذلك، إلا أن أبا عبيد القاسم ابن سلام يرى وقوع ذلك في القرآن: يقول: "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعربية فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت الحروف بكلام العرب، ممن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها عجمية فصادق!"⁽²⁾.

وعندما ألف العلماء كتبهم في المعرب والدخيل ذهبوا إلى فارسية أكثر تلك المعربات، كما أرادوا بذلك أن يأتوا ببرهان على أن تأثر العربية بالفارسية كان أبلغ وأعمق من تأثرها بسائر اللغات الأخرى. فكلما أرادوا أن يذكروا لفظاً فارسياً قالوا عنه أعجمي وهذا ما يتبادر إلى أذهان العوام أيضاً.

(1) انظر: وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 199.

(2) السيوطي جلال الدين، المزهري في علوم اللغة 269/1، الصاحبى في فقه اللغة 29.

ولقد لخص الأمير العلامة مصطفى الشهابي القواعد التي اتبعها النقلة في وضع المصطلحات في تلك الأيام، فرآها لا تخرج عن هذه الوسائل الأربع⁽¹⁾.

أولاً: تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

ثانياً: اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معرّبة للدلالة على المعنى الجديد.

ثالثاً: ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

رابعاً: تعريب كلمات أعجمية بمعانيها.

فقد أورد الجواليقي في كتابه: هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب عن الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح⁽²⁾.

أما الألفاظ التي نقلت إلى العربية بعد عصور الاستشهاد فقد عدها العلماء من باب المولد. يقول الخفاجي: "ما عربّه المتأخرون يعد مولداً، وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب". ومن أمثلة ذلك الحب. قال الجواليقي: "أما الحب الذي يجعل فيه الماء ففارسي معرب. وهو مولد، وكذلك الطارحة ففي التهذيب: الطارحة بيت كالقبة من خشب وهي أعجمية"⁽³⁾.

ومما يعد من المولد ما إذا غير المحدثون حركة في كلمة معرّبة عربّت قديماً، فإن نطقها الحديث يعد مولداً، فقالوا إن فتح دال الديباج مولد⁽⁴⁾. والمولد لفظ عام يشمل كل ما أحدث من الكلمات بعد انقضاء عصر الاستشهاد، سواء أكان ذلك عن طريق

(1) انظر: المصطلحات العلمية مصدر سابق 24.

(2) انظر المعرب / 14.

(3) التهذيب 340/13.

(4) انظر لسان العرب مادة ديج.

النقل من اللغات الأعجمية أم الاشتقاق من معرب أم الاشتقاق من كلمة عربية أم الارتجال.

أما الدخيل فهو مأخوذ من قولهم: "فلان دخيل في بني فلان" إذا كان من غيرهم⁽¹⁾. ويستعمله علماء اللغة على اعتبار أنه مرادف للمعرب وكأن مدلولها واحد. وأحياناً يشيرون إلى الكلمة الأعجمية بالكلمتين معاً. ففي "التعذيب: النارجيل معرب دخيل"⁽²⁾. ومن خلال نظرة سريعة إلى آراء العلماء في المعرب والدخيل نلاحظ أن الدخيل أعم في لفظة من المعرب كونه يطلق على كل ما دخل العربية من اللغات الأعجمية.

ونورد الآن أمثلة على المعرب والدخيل استخدمها ابن حمديس في أشعاره في ألفاظ الطبيعة.

نَرْجِس:

لفظ أعجمي معرب، وقد ذكره النحويون في الأبنية وليس له نظير في الكلام. فإن جاء بناءً على فعلٍ في شعر قديم فاردُّهُ فإنه مصنوع، وإن بُني مؤلِّد هذا البناء واستعمله في شعر أو كلام. فالرد أولى به، ولم يجئ في كلام العرب في اسم نون بعدها راء⁽³⁾.

فهو من الرياحين معروف، ذكره صاحب اللسان والقاموس في ن ر ج س وفي ر ج س. ضبطه صاحب القاموس بفتح النون وكسرهما، ورجَّح صاحب اللسان الكسر وقال نرجس أحسن إذا أعرب. وهو فارسي، وأصله نركس بفتح النون وكسر

(1) الجمهرة 200/2.

(2) التهذيب 257/6.

(3) الجمهرة 368/3.

الكاف الفارسية، وهو من اليونانية، وهو في الأساطير اليونانية اسم شاب تيمه حب نفسه ثم حوّل إلى هذا الزهر⁽¹⁾.

وقد ورد لفظ النرجس في شعر ابن حمديس ومن ذلك يقول:

كَأَنَّ الثَّرِيَّاءَ فِيهِ بَاقَةٌ نَرْجِسٍ مِنْ الشَّرْقِ يُهْدِيهَا إِلَى مَغْرَبٍ مُهْدٍ⁽²⁾
(الطويل)

ويقول في ذات القصيدة:

وَنَحْسَبُ مِنْهَا فِي الْبَرَاقِعِ نَرْجِسًا تَخْطُ الْأَسَى بِالطَّلِّ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ⁽³⁾
(الطويل)

ويقول:

وَقَدْ زَارَ عَذْبَ اللَّيْلِ فِي الْأَفْجَحِ أَجَاجُ الدُّمُوعِ مِنَ النَّرْجِسِ
(المتقارب)

الكافور:

فأما الكافور المشموم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا:
القفور⁽⁴⁾. وقد جاء في التنزيل "كان مزاجها كافورا" (الإنسان 5).

فسر الجوهري الكافور بالطيب. والقفور بكافور النخل. وذكر صاحب اللسان المعنيين. وهو بالفارسية كافور وبالفلووية، وأصله من اللغات الهندية. فهو بالتأملية إحدى اللغات الدرافيدية (كربورم) ومنه (كربور) بالسنسكريتية. وهو بالسريانية (قفورا) و(قفور) فالكافور من الفارسية والقفور من السريانية. ودخلت الكلمة في

(1) انظر اللسان، القاموس المحيط.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150.

(3) المصدر نفسه: ص 278.

(4) الجمهرة: 401/2.

اللاتينية من اللغة العربية فهي Camphora بزيادة النون. أما كافور الطلعة وهو
وعاؤها الذي تتشقق عنه فعرابي وسمي كافوراً لأنه قد كفرها أي غطاها⁽¹⁾.

وقد وردت لفظة الكافور في شعر ابن حمديس في مواطن متعددة نذكر منها،

يقول:

كَفٌّ مِنَ الْكَافُورِ هَذِي التِّي أَرَى مِنَ الْمِسْكِ عَلَيْهَا خِضَابٌ⁽²⁾
(السريع)

ويقول:

كَأَنَّما الْكَافُورُ نَثْرٌ تَلَجْنَا أَوْ نَدَفَ الْبُرْسَ لَنَا قَوْسٌ قَزَحٌ⁽³⁾
(الرجز)

ويقول:

كَانَ مِسْكَ اللَّيْلِ فِي مَفْرِقِهِ فَانْجَلَى عَنْهُ بِكَافُورِ الصَّبَّاحِ⁽⁴⁾
(الرملة)

الياسمين والياسمون:

إن شئت أعربته بالواو والياء وإن شئت جعلت الأعراب في النون، لغتان،
وحكي عن الأصمعي أنه قال: هو فارسي معرب وهو بالفارسية ياسم وياسمن
وياسمين وياسموت، ذكرها صاحب البرهان، ويبدو أن الصبغة الفارسية هي ياسمين
ثم اشتقت منه العرب ياسم على وهم زيادة الياء والنون⁽⁵⁾.

ولم يرد ذكر الياسمين كثيراً في شعر ابن حمديس، ومع ذلك نذكر عليه أمثلة

تدل على استخدام الشاعر لمثل هذا اللفظ المعرب، يقول:

(1) المعرب: 544.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 9.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 87.

(4) المصدر نفسه: ص 96.

(5) انظر المعرب: 647.

يُرِيكَ حَدِيقَةَ مَنْ يَاسْمِينِ

تَفْتَحُ وَسَطَهَا لَهُ جَنَّارِ

ويقول:

وَقَبَلْتُ خَدًّا تَرَى وَرَدَّهُ

نَضِيرًا يَشُقُّ عَنِ الْيَاسْمِينِ⁽¹⁾

(المتقارب)

وإذا ما أمعن النظر في ديوان ابن حمديس نجد هناك الكثير من الألفاظ المعربة والدخيلة إلا أن الشاعر يستخدمها في شعره ولا ننسى أن نشير إلى أن الشاعر عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين وهذه فترة كانت قد استقر فيها الكثير من الألفاظ التي دخلت العربية واستخدمها الشاعر. ونذكر بعض الألفاظ على سبيل الذكر لا الحصر ومنها، الماء، البستان، البرق، البنفسج، ديباج، سندس، غزاله، غراب نيلوفر، جوشهن، جمان جوذر، جهنم، جنان، جنانار، طاووس، مسك....

الأضداد

من المشترك اللفظي، الأضداد، غير أن معانيها تذهب بعيدا في الاختلاف إلى درجة التناقض، حيث يقول السيوطي في المزهرة تحت عنوان النوع السادس والعشرون معرفة الأضداد هو نوع من المشترك (قال أهل الأصول) مفهوما اللفظ المشترك أن يتباينا بالآ يمكن اجتماعهما في الصدف على شيء واحد كالحيض والظهر فإنهما مفهوما القرء"⁽²⁾.

أمّا ابن فارس فقال في كتابه الصحابي: "و من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأبيض، والجون للأسود"⁽³⁾. وقال عنه حسن

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 489.

(2) السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها مطبعة السعادة: ص 228.

(3) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ت عبد المنعم. القاهرة. مطبعة البابي.

1969.ص:97

ظاظا: "إذا وصل التباين بين معنيين مشتركين في لفظ واحد إلى درجة التناقض والتعكس اعتبر هذا اللفظ من الأضداد"⁽¹⁾.

و لهذه الظاهرة اللغوية أسبابها يسوق حسن ظاظا بعضا منها مثل التفاؤل بتأثير من الدين والفلكلور كتسمية القافلة تمناً وتفاؤلاً بعودتها، أو أن يكون معنى الكلمة وسطا ثم ينحاز إلى الطرفين بشكل متناقض مثل السدفة التي كان معناها الأصلي إختلاط الضوء بالظلام ثم انحازت في قبيلة إلى الضوء وفي أخرى إلى الظلام فأصبحت ضدا تعني الضوء والظلام⁽²⁾.

و يعزو صبحي الصالح الأمر على (المصادفات) ويسوق مثلا بالسدفة ناقلا ما قاله السيوطي في المزهري من ان أصل السدفة الستر، فكأن النهار يستر الليل والليل يستر النهار فأصبحت السدفة تعني الضوء والظلام⁽³⁾.

و قد كان التضاد موضوع خلاف بين اللغويين العرب، بين منكر ومؤيد، ويقول ابن فارس في (الصاحبي): "و أنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي بغسم واحد لشيء وضده"، لكنه يضيف متابعا كلامه: "هذا ليس بشيء وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد"⁽⁴⁾. فهو من باب البداهة، يرد رفض المنكرين لوجود هذه الظاهرة اللغوية في لغتنا. أمذا علي وافي فيقول بعدما استعرض رأي الجانبين من مؤيد ومعارض: "و كلا الفريقين قد تتكبد جادة القصد فيما ذهب إليه"⁽⁵⁾

(1) ظاظا، حسن: كلام العرب في قضايا اللغة العربية. دار النهضة العربية. 1976. ص: 112.

(2) ظاظا، حسن، المصدر السابق، ص: 112.

(3) الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة. ط5: ص 312.

(4) ابن فارس، ابو الحسن احمد الصاحبي. ت مصطفى. مؤسسة أ بدران. بيروت. 1964. ص: 98.

(5) وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة: ص 164.

كما ساق السيوطي مجموعة واسعة من أقوال المؤيدين للتضاد من أشهرهم المبرد وابن دريد وأبو عبيد وأبو زيد والأصمعي وغيرهم⁽¹⁾. على أن أهل الأصول كما يسميهم السيوطي قد اعتقدوا بهذه الظاهرة وأقروا بها⁽²⁾.

وعلى الرغم من هذا التأييد والاهتمام بالأضداد، إلا أنه لم يسلم من الإنكار والمعارضة، بحجة أنه من المشترك الذي يوقع في اللبس والإبهام أو التعمية والتغطية، وممن فعل ذلك ابن درستويه الذي ألف كتابا سماه أبطال الأضداد أو جحد الأضداد. كما يذكر ابن سيده أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وإن تكون اللفظة الواحدة للشيء وضده⁽³⁾.

وكما ذكر العلماء أسباب النشوء المشترك فقد ذكروا ذات الأسباب تقريبا لنشوء الأضداد وخاصة أن بعضهم يجهل التضاد شكلا من أشكال المشترك كما ذكرنا، وأسباب التضاد لهجية، وعامل المعنى، واجتماعية ونفسية وأسباب صرفية وصوتية.

ومن بعض الأمثلة التي عدّها العلماء من الأضداد أو مشبهة بالأضداد واستخدمها ابن حمديس في شعره منها: كأس، أخضر، طرب.

كأس: قال ابن السكّين: قال أبو عبيدة: يقال للإناء: كأس وللشراب الذي فيه كأس. وقال الفراء: الكأس الإناء بما فيه فإذا شرب الذي فيه لم يقل له كأس، بل يُروّ إلى اسمه الذي هو اسمه من الآنية⁽⁴⁾.

وقال بعض المفسرين: الكأس: الخمر، يذهب إلى أنها اسم للإناء والخمر، ولهذا المعنى أنثت⁽⁵⁾، يقول ابن حمديس:

(1) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة: ص 229 - 231.

(2) المصدر نفسه: ص 228

(3) انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص، ج13، بيروت، دار الفكر، ص 259

(4) الامباري، محمد ابن قاسم: الأضداد. ت أبو الفضل ابراهيم. ط2. مطبعة حكومة الكويت. 1986. ص: 162

(5) أضداد الأصمعي 84.

هَاتِ كَأْسَ الرَّاحِ أَوْ خُذْهَا إِلَيْكَ

يَنْزِلِ اللَّهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْكَ⁽¹⁾

(الرمل)

وقوله:

وَكَأْسِ نَشْوَانَ فِيهَا الشَّمْسُ بَارِغَةٌ:

بَاتَتْ تَدِيمٌ إِلَى الإِصْبَاحِ لَثَمَ فَمُهُ⁽²⁾

(البسيط)

الترادف

جاء في لسان العرب تحت مادة (ردف): "الردف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف: وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً والترادف التتابع والترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان...⁽³⁾"

" أما الترادف في اصطلاح اللغويين فهو "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"⁽⁴⁾ وهذا يعني وجود عدة ألفاظ تختلف في لفظها وحروفها وتعطي معنى واحد. وقد تعددت التعريفات والاصطلاحات إلا أنها كلها في محتواها تضمنت معنى واحد، ومن ذلك "إن الترادف عند أهل العربية والأصول تعني توارد لفظين أو أكثر في الدلالة على الانفراد أو حسب اصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة"⁽⁵⁾.

تلك هي بعض ما اصطلح عليه علماء اللغة القدماء، أما ما جاء حول هذا الموضوع في الحديث فيرى بعضهم "إن المترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"⁽⁶⁾ وقد يكون هذا أكثر اتساعاً وعمومية في دلالاته من تعريف القدماء، فهو لا يوجد أية فروق في المعنى بين هذه الألفاظ لا من بعيد ولا من قريب،

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 343.

(2) المصدر نفسه: ص 421.

(3) لسان العرب، مادة ردف

(4) السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة: ص 442.

(5) التهانوي، محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج3، ت لطفى، مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص

66.

(6) انظر: ستييفي، اولمان: دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر، ط2، 1962، ص 98

فهو لم يخصص في التعريف ولم يحدد أي شيء كقول القدماء: ((باعتبار واحد)) أو ((من جهة واحدة)).

إن هذه الألفاظ تدل في عموم لفظها على معنى واحد، إلا أن ذلك لا يعني أنه ليس ثمة فرق بين هذه الألفاظ من جهات أخرى، كما هو الفرق في الدلالة بين الاسم والصفة. فالسيف والحسام وإن دلا على شيء واحد إلا أن الأول يكون باعتبار الاسم أما الثاني فإنما هو باعتبار الصفة. وفي هذين الاسمين ليس ثمة ترادف فأحدهما اسم والآخر صفة، أما في قولنا الحسام والصارم فكلاهما يدل على السيف باعتبار الصفة لا باعتبار الاسم وهذا هو الترادف.

وقد جاء تعريف القدماء الأقرب إلى تعريف الترادف في اللغة، ودليل ذلك أنهم لم يقرروا باتحاد المعنى بين المترادفات كما فعل أولمان، حيث قالوا: إن لفظين أو أكثر يتواردان للدلالة على معنى واحد، في حين أن أولمان قد قال باتحاد معناها في قوله "قابله للتبادل فيما بينها في أي سياق" إلا أنه يناقض نفسه بعد ذلك ليقول: "وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات، وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون التمييز بينها"⁽¹⁾.

لم يتوقف الخلاف بين العلماء عند تعريف الترادف فحسب، بل لعل هذا الخلاف كان ناجماً عن خلاف آخر وهو وجود الترادف من عدمه. وقد جاء إنكار الترادف قديماً عند أرسطو الذي يعد أول من فعل ذلك حيث يقول: "ومن الخطأ أن نجاري ما قيل من تداول العبارات المختلفة على المعنى الواحد لا يضيره ولا يغير منه، لأن هناك عبارة أحق بالمعنى من أخرى غيرها، وعبارة ألصق بالمعنى من غيرها، وهناك عبارة تمثل المعنى العام أمام العين أكثر من الأخرى، كذلك الكلمة يمكن مقارنتها بالكلمة الأخرى ويختلف معنى كل منهما"⁽²⁾.

(1) انظر: ستيفي، اولمان: دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر، ص 99.

(2) سلامة، ابراهيم: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط2 مكتبة الانجلو المصرية، 1952، ص 298.

يتضح من كلام أرسطو أنه مهما كان هناك اقتران بين كلمتين للدلالة على معنى واحد فإن هناك فرقاً بينهما، وهذا يوضح دون شك إنكار أرسطو الواضح والصريح للترادف.

أما الخلاف حول الترادف عند أهل العربية، فقد ظهر إلى حيز الوجود في نهاية القرن الثالث الهجري، وكان على رأس المنكرين أبو العباس ثعلب المتوفى 291هـ حيث جاء في المخصص: "وأما كون اللفظين لمعنى واحد فقد كان محمد بن السري حكى عن أحمد بن يحيى أن ذلك لا يجوز عنده"⁽¹⁾.

وقد بقيت فكرة إنكار الترادف قائمة، حتى كثر مؤيدوها في القرن الرابع الهجري وعلى رأسهم أبو علي الفارسي وأحمد بن فارس.

وقد أورد السيوطي في كتابه: "قال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع، "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بطلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: احفظ للسيف خمسين اسماً، فابتسم أبو علي وقال: ما أحفظ إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهندس والصارم وكذا وكذا.....؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يميز بين الاسم والصفة"⁽²⁾.

وممن تبع أبا العباس ثعلب في إنكاره للترادف أحمد بن فارس، فهو منكر ومعارض، فقد أوضح ذلك في كتابه فيقول: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهندس والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى" قال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا معناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، وورقذ ونام وهجع. قالوا: ففي ((قعد)) معنى

(1) ابن سيدي، أبو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص. ج13. دار الفكر. بيروت. ص: 259.

(2) السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة. ج1، ص 405.

ليس في ((جلس)) وكذلك القول فيما سواه وبهذا نقول: "وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن ثعلب"⁽¹⁾.

ولم يتوقف إنكار الترادف على القدماء بل إن المحدثين من العرب والغربيين قد أنكروا الترادف، لكن ذلك لم يكن بشكل قطعي إنما أقر بعضهم وجوده في المحسوسات ونفى وجوده في المعنويات في حين كان البعض الآخر قد قطع الطريق بشكل كامل على كل من يقول بالترادف. يرى بل ومفيد أن اختلاف الصيغ صوتياً يوجب اختلاف المعنى⁽²⁾.

على الرغم من هذا الخلاف بين اللغويين قدماء ومحدثين حول وجود الترادف وعدمه، أو حول مفهوم الترادف، فإن ذلك لم يحل دون ظهور العديد من المؤلفات في هذا المجال. تلك المؤلفات التي حاول أصحابها إثبات الترادف بأي شكل. وأول من ورد عنه الترادف من اللغويين أبو زيد الأنصاري (215 هـ) فقد جاء في المزهري أفاظ مترادفة منقولة عنه كالمنحطبي والمتكأ كي والمتأرف، كما يذكر السيوطي لابن الأعرابي (232 هـ) أفاظا تدل على العمامة مثل: المشوذ، والسب، والمقطعة، والعصابة، والعصاب، والتاج والمكورة⁽³⁾. كما أن الأصمعي قد ألف كتاباً أسماه الألفاظ⁽⁴⁾، وكذلك الفيروز أبادي له كتاب أسماء "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى العرف"⁽⁵⁾.

أما أسباب وجود الترادف كما يراها العلماء فهي مختلفة فبعضها يعود إلى التراكم اللغوي والتصاريح، وبعضها بسبب اللهجات، وبعضها اختلاط الشعوب في

(1) ابن فارس، ابو الحسن أحمد بن زكريا، الصحابي في فقه اللغة. ت مصطفى. مؤسسة بدران للطباعة. بيروت. 1964. ص: 65

(2) ستيفن، أولمن: دور الكلمة في اللغة. ت كمال بشر: ص 110.

(3) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة. ج1، ص 410 - 413.

(4) ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص. ج13، ص 258..

(5) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللغة. ج1، ص 407.

السلم والحرب وهناك سبب آخر وهو تسمية الأشياء باعتبار صفاتها كما هو الحال تسمية السيف باعتبار صفاته.

و يرى إبراهيم أنيس معللا وجود الترادف أن موسيقى الكلام قد شغلت أصحاب اللغة عن رعاية الفروق بين الدلالات، فأهملوها أو تناسوها، واختلطت الألفاظ بعضها ببعض، حين انكشفت دلالاتها واقتص من أطرافها فتجمعت في خلية واحدة ومعنى واحد⁽¹⁾.

ونورد فيما يلي أمثلة على الترادف في ديوان ابن حمديس وخاصة فيما يختص بأسماء الأسد والسيف والإبل، والخيول. يقول ابن حمديس في الأسد ويذكر له أسماء عديدة، يرى بعض العلماء أنها صفات وليست أسماء. نذكر منها: قَسُور، الليث، الهصور، الهزبر، الضرغام، الغضنفر. يقول ابن حمديس:

أَوْ كُلُّ ثُعْبَانٍ يُنَاطُ بِقَسُورٍ بَيْنَ الْبَنُودِ كَمُحَنِّقٍ وَغَضُوبٍ⁽²⁾

(الكامل)

وَاسْتَعَصَمُوا بَدْرِي أَشْمَ كَانَهُمْ عَصْمٌ أَتِيحَ لَهَا هَزْبِرٌ قَسُورٍ⁽³⁾

(الكامل)

وَلَا تُسَوِّفِنِي إِلَى تَرْوِيقِهَا لَا يَشْتَوِي اللَّيْثُ إِذَا اللَّيْثُ ذَبَحَ⁽⁴⁾

(الرجز)

هُوَ اللَّيْثُ إِلَّا أَنْ رَفَعَةَ تَاجَهُ عَلَى قَمَرٍ فِي هَالَةِ الْمَلِكِ كَامِلٍ⁽⁵⁾

(الطويل)

أما لفظة غضنفر فيذكرها ويقول:

فُكُّوا الْغَضَنْفَرَ مِنْ إِسَارِ غَزَالَةٍ قَيْدَاهُ خَلْخَالٌ لَهَا وَسِوَارٍ⁽⁶⁾

(الكامل)

(1) انيس. ابراهيم: دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، 1973، ص 122.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر-بيروت، 1960، ص 60.

(3) ابن حمديس، الديوان. 196.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 86.

(5) المصدر نفسه: ص 396.

(6) المصدر نفسه: ص 258.

ويقول :

يَقْدُمُهُ لِلوَعَى مَحْرَبٌ

كَانَ الْغَضَنَفَرُ فِي نَثْتِهِ⁽¹⁾

(المتقارب)

أما لفظة هزبر فيذكرها ويقول:

وَهَزْبِرٌ غَابٍ يَحْتَمِي بِمَخَالِبٍ

يُرْهَفَنُ مِنْ غَيْرِ الْحَدِيدِ، حَدَادٍ⁽²⁾

(الكامل)

ويقول:

هَزْبِرٌ عَلَى بَحْرِ مِنَ الْحَرْبِ مُفْعَمٌ

عَلَى جِسْمِهِ نَهْيٌ وَفِي يَدِهِ نَهْرٌ⁽³⁾

(الطويل)

أما لفظة ضراغم فيذكرها مفردة ويذكرها جمعاً: يقول:

كَانَ عَلَى الْعُقْبَانِ مِنْهَا ضِرَاعِمًا

فَأَنْيَابُهَا عُصْلٌ وَأَبْصَارُهَا جَمْرٌ⁽⁴⁾

(الطويل)

لَنْ كُنْتَ مَقْصُورًا بَدَارٍ عَمَرَتْهَا

فَقَدْ يُقْصَرُ الضَّرْعَامُ وَهُوَ هَصُورٌ⁽⁵⁾

(الطويل)

الأبنية الصرفية:

إن الممعن في شعر ابن حمديس يجده شعراً نابضاً بكل ما حوت اللغة في نحوها وصرفها ودلالاتها، وبلاغتها، وفصاحتها، فهو بارع في علم اللغة ووقف على شاردها وواردها، فقد تميزت لغة الشاعر باستيعابها للمجاز، والتصريف بنظام الجملة، كما يتصرف باستخدام المفردات نفسها، وفي دلالتها لتكون المعنى الذي يريده الشاعر والصورة التي تمتص جزءاً من احساسه وخياله. لذا فإن الشاعر لا يخضع في تعبيره

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 71.

(2) المصدر نفسه: ص 12.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 256.

(4) المصدر نفسه: ص 253.

(5) المصدر نفسه: ص 268.

لكل ما قرره النحويون من قواعد وأحكام. فاللغة تغير وتطور ولا تبقى خاضعة لقواعد ثابتة فهي واسعة الآفاق أسلوبياً لا بل أساليب ومكاناً وزماناً.

ما انفك الصراع قائماً في تأريخ اللغات بين الشعراء الكبار واللغويين، فالشعراء في كل العصور يميلون إلى خرق العادة اللغوية في أساليبهم، لذا نجد هذا الخلاف بل الصراع بين كثير من أساليب الشعر وقواعد النحو.

وفيما يلي نعطي ملخصاً عن أبنية الأسماء ودلالاتها مع ذكر الأمثلة عليها من ألفاظ الطبيعة الحية والصامته كما وردت في ديوان ابن حمديس:

ينقسم الاسم إلى: مجرد ومزید فالـمـجـرد: ما كانت جميع حروفه أصلية. والمزید: ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية والمجرد من الأسماء إما أن يكون ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً، وإذا أتى ثنائياً فلا بد من أن يكون هناك حرفاً محذوفاً. وذلك مثل دم، ويد يقول المبرد: "واعلم أنه لا يكون اسم، على حرفين إلا وقد سقط منه حرف ثالث. يبين لك ذلك التصغير والجمع"⁽¹⁾ فليس ثمة اسم متمكن أقل من ثلاثة أحرف أصول. وإذا أمعنا النظر في الاسم المجرد الثلاثي فسنجد أنه قد يكون مضعفاً من خلال اتحاد فائه وعينه، أو باتحاد فائه ولامه أو باتحاد عينه ولامه. وأبنية الاسم الثلاثي المجرد المتفق عليها عشرة وهي:

1. فَعَلَ (بفتح الفاء، وسكون العين).
2. فَعَلْ (بفتح الفاء والعين).
3. فَعَلَ (بفتح الفاء وكسر العين).
4. فَعَّلْ (بفتح الفاء وضم العين).
5. فَعِلْ (بكسر الفاء وسكون العين).
6. فَعِلْ (بكسر الفاء وفتح العين).
7. فَعِلْ (بكسر الفاء والعين) وأمثله قليلة لعل أشهرها إيل.
8. فَعُلْ (بضم الفاء وسكون العين).

(1) ابو العباس، محمد بن يزيد: المقتضب، ت محمد عبد الخالق، ج1، عالم الكتب، بيروت. ص 42.

9. فَعَلَ (بضم الفاء وفتح العين).

10. فُعِلَ (بضم الفاء وفتح العين).

و يأتي الاسم المجرد الرباعي على خمسة أوزان:

1. فَعَّلَ (بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى).
2. فَعَّلِلَ (بكسر الفاء وسكون العين وكسر اللام الأولى).
3. فُعِّلَ (بضم الفاء وسكون العين وضم اللام الأولى).
4. فَعَّلَلِ (بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى).
5. فَعِلَّ (بكسر الفاء وفتح العين وفتح اللام الأولى وتشديدها مع اللام الثانية).

الأوزان الصرفية لألفاظ الطبيعة في ديوان ابن حمديس الصقلي

ألفاظ الماء:

بَحَرُ: فَعَلَ	بَرَدٌ: فَعَلَ
بركة: فَعِلَّة	جدول: فَعُول
جداول: فَعَاوَل	سَيْلٌ: فَعَلَ
سيول: فَعُول	ماء: فَعَلَ
مطر: فَعَلَ	نهر: فَعَلَ

ألفاظ الغطاء النباتي:

أقحوان: افعوال	ثَمَرٌ: فَعَلَ
حديقة: فَعِيلَة	رَمَّانٌ: فُعِّلَ
روض: فَعَلَ	ريحان: فَعَلَّان
زهر: فَعَلَ	سوسن: فَعُول
عناب: فَعَّال	عنب: فَعَلَ
غابة: فَعِلَّة	غصن: فُعِلَ
غصون: فُعُول	أغصان: افعال
فرصاد: فعلال	فَنٌّ: فَعَلَ
قضب: فَعَّلَ	كافور: فاعول
نبات: فَعَال	نرجس: فَعَّلِلَ
ورد: فَعَلَ	ورود: فَعُول

أوراق: أفعال

نوار: فَعَال

ورق: فَعَل

نارنج: أعجمي لا وزن له

نيلوفر: أعجمي لا وزن له

ألفاظ الظاهر الجوية:

حرّ: فعل

رياح: فَعَال

سحب: فَعَل

شمس: فَعَل

صبا: فعل

غيث: فَعَل

كوكب: فَوْعَل

مطر: فَعَل

نهار: فَعَال

هواء: فَعَال

برق: فَعَل

رعد: فَعَل

سباسب: فَعَالل

سحاب: فَعَال

شهاب: فَعَال

ظلال: فَعَال

غيم: فَعَل

قمر: فَعَل

نسيم: فَعِيل

هلال: فَعَال

هبوب: فَعُول

ألفاظ التضاريس:

أرض: فَعَل

تراب: فَعَال

جبل: فَعَل

حصا: فَعَل

سهول: فَعُول

فلاة: فَعَلَة

أديم: فَعِيل

بيداء: فَعَال

ثرى: فَعَل

جبال: فَعَال

سهل: فَعَل

صخر: فَعَل

قفر: فَعَل

ألفاظ الطبيعة المتحركة:

الحيوانات:

1- أَلْفَاظُ الْأَسَدِ:

أَسَدٌ: فَعَلٌ	أَسْوَدٌ: فَعُولٌ
شَبِلَ: فِعْلٌ	ضَرَّ غَاثًا: فِعَالٌ
ضَرَّ غَاثًا: فِعَالٌ	غَضِنُفَرٌ: فَعْوَعَلٌ
قَسُورٌ: فَوْعَلٌ	هَزَبِرٌ: فِعْلٌ، هَفَعَلٌ
هَصُورٌ: فَعُولٌ	

2- أَلْفَاظُ الْإِبِلِ:

إِبِلٌ: فَعَلٌ	بَعِيرٌ: فَعِيلٌ
شَوْلٌ: فَعْلٌ	عَيْسٌ: فَعْلٌ
فَحْلٌ: فَعْلٌ	قَرَمٌ: فَعْلٌ
كَوْمٌ: فَعْلٌ	مَطِيَّةٌ: فَعْلَةٌ
نَجِيَّةٌ: فَعِيْلَةٌ	

3- أَلْفَاظُ الْخَيْلِ:

أَبْلَقٌ: أَفْعَلٌ	أَدْهَمٌ: أَفْعَلٌ
أَوَابِدٌ: أَفَاعِلٌ	جَوَادٌ: فَعَالٌ
جُرْدٌ: فُعْلٌ	خَيْلٌ: فَعْلٌ
سَلَاهِبٌ: فِعَالٌ	سَلَهَبٌ: فُعْلٌ
فَرَسٌ: فَعْلٌ	صَوَاهِلٌ: فَوَاعِلٌ
كُمَيْتٌ: فُعَيْلٌ	

4- أَلْفَاظُ الْغَزَالِ:

رَيْمٌ: فَعْلٌ	أَرَامٌ: أَغْفَالٌ
رَشَأٌ: فَعْلٌ	طَبِيٌّ: فَعْلٌ
ظَبِيَّةٌ: فَعْلَةٌ	غَزَالٌ: فَعَالٌ
غَزَالَةٌ: فِعَالَةٌ	مَهَا: فَعْلٌ

5- أَلْفَاظُ أُخْرَى

ذَنَّبَ: فَعَل

كَلَبَ: فَعَل

ثَعَلَبَ: فَعَّل

زَرَامَةٌ: فَعَالَةٌ

كَلَابٌ: فَعَالٌ

أَلْفَاظُ الطَّيُورِ وَالْحَشْرَاتِ:

بَقَّ: فَعَل

حَمَامٌ: فَعَالٌ

بَلْبَلٌ: فَعَّل

صَقَرَ: فَعَل

عُقْبَانٌ: فَعَالٌ

طَيْرٌ: فَعَل

طَائِرٌ: فَاعِلٌ

هَدَيْلٌ: فَعِيلٌ

بِرَغْوَةٌ: فَعُولٌ

حَمَامَةٌ: فَعَالَةٌ

ذَبَابٌ: فَعَالٌ

تَغْرِيدٌ: تَفْعِيلٌ

عُقَابٌ: فَعَالٌ

قَشْعَمٌ: فَعَّل

طَيُورٌ: فَعُولٌ

غُرَابٌ: فَعَالٌ

أَجْدَلٌ: أَفْعَلٌ

الدراسة الاحصائية لألفاظ الطبيعة في شعر ابن حمديس.

إن ديوان ابن حمديس الصقلي زاخر بالأشعار التي تضمنت في جعبتها مئات الألفاظ الطبيعية. من الطبيعة الصامتة أو الطبيعة الحية. التي أولاها الشاعر اهتماماً كبيراً، فكانت عطراً فواحاً ينبأ أريحه في ثنايا العبارات والألفاظ والمعاني. ولما لذلك من أهمية في شعر ابن حمديس، وأثر في جمال المعنى، وقوة الدلالة، والبراعة في التصوير للوصول إلى المعاني، لذا فقد أولى الباحث اهتماماً كبيراً لهذه الألفاظ من الناحية الاحصائية.

لذا فقد وقف الباحث على ألفاظ الطبيعة الحية والصامتة احصاءً ودلالة، مبيناً ذلك بالنسب المئوية التي توضح عدد مرات ورود اللفظ. ونسبته المئوية مقارنة بما يمثله من الفاظ الطبيعة سواء أكانت الحية أم الصامتة، ثم مقارنة بذلك بنسبة الالفاظ الطبيعية بشكل عام.

فقامت الدراسة الاحصائية على احصاء عدد مرات الظهور لكل لفظ وما يدل عليه من الالفاظ، فبين النسبة العامة للفظ ثم النسب المئوية للألفاظ التي تدل عليه.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الألفاظ الدالة على الماء: مطر، ماء، سيل، جدول، غدير، نهر، بحر، غيث، والألفاظ الدالة على الخيل: أدهم، أبلق، فرس، حصان، أوابد، صواهل، جباد، جواد، والألفاظ الدالة على الأسد وصفاته: أسد، شبل، ليث، قسور، هزير، غضنفر، هصور، ضرغام. ثم الفاظ الغزال: ظبي، غزال، مها، رثم، رشا، ثم الفاظ الابل: فحل، شول، قرم، كوم، ناقة، مطية، نجبيه، تلك هي أكثر الفاظ الطبيعية وروداً في شعر ابن حمديس. وفيمايلي جداول توضح ذلك.

الحمام: لقد كان عدد مرات ظهور لفظ الحمام أكثر من 20 مرة بنسبة 6% بالنسبة لمفردات الحيوان. ولعل ذكر الحمام يدل على قضية مهمة بالنسبة للشاعر وهي قضية الابتعاد عن الوطن بل فقدانه ذلك أن الحمام قد فقد فرخه ولم يعثر عليه وكأن الشاعر يشبه نفسه بالحمام.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الحمام	20	100%

التضاريس: لقد كان عدد ظهور مفردات التضاريس يزيد على 210 مرات دال فيها الشاعر على طبيعة الأندلس بما فيها من جبال وسهول وصحارى وهضاب.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
50.9%	107	الأرض
7%	15	الفلاة
10%	20	الجبال
4.8%	1	الطود

لقد جاءت لفظة طود مرة واحدة بينما استخدم الشاعر لفظة جبل أكثر من 20 مرة مما يوحي بأن العرب في الأندلس وصقلية بدأوا يتحررون من المفردات ذات الدلالة الخاصة إلى استخدام المفردات ذات الدلالة العامة. وقد جاءت مفردات الجبل لتدل على الثبات والشموخ والرفعة في معظم معانيها:

مفردات متفرقة: كان ورود هذه المفردات يصل إلى حد الندرة، وقد كان أكثر من 25 مفردة بنسبة 11.9% بالنسبة لمفردات التضاريس.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
5%	1	القياض
5%	1	السهوب
5%	1	المسمرة
5%	1	البيرمع
10%	2	السهل
5%	1	الوعر
5%	1	العفر
5%	1	الدهس
15%	3	البيداء
5%	1	الفوصد
5%	1	الوادي
5%	1	البر

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
5%	1	الأديم
5%	1	الرغام
5%	1	البيان
10%	2	الطي

روضة، حديقة، غابة: لقد أكثر ابن حمديس من استخدام هذه الألفاظ مراوحاً في ذلك بين الاستخدام المجازي والحقيقي وقد كان أكثر وروداً ما دل على الروضة والرياض ولعل ذلك يعود إلى المعاني التي تحملها الرياض من الراحة والطمأنينة والاستقرار وذلك ما كان يبحث عنه الشاعر.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
18%	46	الرياض
4.3%	2	الآجام
5%	13	التمر
3.5%	9	الحدائق
0.39%	1	الغاب
3.9%	10	الرمان
4.7%	12	الورق
1.9%	3	النبات
100%	5	الأشجار

زهور الزينة: جاءت زهور الزينة مزينة لأشعار الديوان، وقد كان ورودها ممتزجاً بقصائد الغزل والمدح فاعتمد عليها الشاعر في التعبير عن فرحه حيناً وعن حزنه حيناً آخر، وقد كان أكثرها وروداً الياسمين.

2.7%	7	الكافور
2.7%	7	الترجس
0.78%	2	السوسن
0.78%	12	الياسمين

مفردات أخرى: لقد جاءت هذه المفردات بشكل متفرق وقليل في أشعار ابن حمديس، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها كانت ذات أثر في معاني والفاظ شاعرنا. وقد كانت نسبتها 4.3% بالنسبة لمفردات الغطاء النباتي.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
العنب	2	18.2%
الغنم	1	9.1%
الفرصاد	2	18.2%
العنقل	1	9.1%

الفقار: لقد كان عدد مرات ظهور مفردات الفقار 9 مرات دلت على الشح والتشرد والتيه والضياع وبنسبة 6% بالنسبة لمفردات التضاريس.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
القفار	9	6%
السياسب	6	2.8%
الكثيب	2	0.9%
الصخر	7	3.3%
الحصا	8	3.8%
الهضاب	6	2.8%

لقد وردت الالفاظ السابقة بنسي قليلة ومرات قليلة في شعر ابن حمديس.

الابل: كان عدد مرات ظهور المفردات التي تدل على الابل أكثر من 26 مرة بنسبة 7.8% بالنسبة لمفردات الحيوانات. ولعل ذكر الابل ومفرداتها جاء دالاً على قوة الشاعر وصلابته، وصبره وتحمله المعاناة بعيداً عن وطنه وتجشمه عناء السفر والترحال.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
العيس	6	25%
الفحل	1	4.2%
القرم	1	4.2%

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
16.8%	4	الظليم
4.2%	1	الفلائق
4.2%	1	الابل
4.2%	1	الكوم
12.6%	3	القرم
4.2%	1	الشول
8.4%	2	المطايا
8.4%	2	الأمد
4.2%	1	النجبية

الطيور: أكثر ابن حمديس من استخدام مفردات الطيور، ولعل ذلك يعود إلى أنها تشكل عنصراً جمالياً فيه الروعة والخفة من جهة، وأن الشاعر يتمنى أن يكون طيراً من جهة أخرى لعله يستطيع العودة إلى وطنه وقد كانت عدد مرات ظهور مفردات الطير أكثر من 38 مرة بنسبة 11.4% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
86.2%	25	الطير
6.9%	2	العصافير
6.9%	2	البلابل

القطا

لقد كان عدد مرات ظهور لفظة القطا أكثر من 7 مرات بنسبة تصل إلى 2.1% بالنسبة لمفردات الحيوانات. وهذا قليل مقارنة بالفاظ الطيور.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
100%	7	القطا

الطيور الجارحة: فقد كان عدد مرات ظهور مفردات الجوارح أكثر من 30 مرة بنسبة 8.7% بالنسبة لمفردات الحيوانات. وقد أفاد الشاعر من ذكر الدلالة على قوة الممدوح حيناً والدلالة على قوة أبناء صقلية وشجاعتهم في الدفاع عن وطنهم حيناً آخر.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
57.1%	16	العقبان
28.6%	8	النسر
10.7%	3	الصقر
3.6%	1	القشعم

الخييل: لقد أسهب ابن حمديس في استخدام مفردات الخيل لصفاتها وألوانها المتعددة، لذا فقد كان يذكرها بألوانها وصفاتها، وقد كان عدد مرات ظهور مفردات الخيل أكثر من 80 مرة بنسبة 22% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
7.6%	4	السلامة
1.9%	1	أبلق
38.9%	21	الخيول
11.1%	6	الصواهل
14.8%	8	الأدهم
3.7%	2	السابح
7.6%	4	الفرس
1.9%	1	النقيب
1.9%	1	الأشقر
1.9%	1	الاشعل
3.8%	2	الحياد
1.9%	1	الحصان

الغزال، الطباء، المها، الرشاء، الرئم: عدد مرات الظهور للمفردات التي تدل على الغزال 68 مرة بنسبة 20.5% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
30.9%	21	ظبي
36.8%	25	غزال
17.6%	12	رئم

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
4.4%	3	رشا
8.8%	6	المها

وقد جاءت الألفاظ الدالة على الغزال تحمل معاني حقيقية ومعاني مجازية. وقد كان لها دور كبير ساعد الشاعر في أحاديث كثيرة على رسم صورة جميلة للمرأة الجميلة من خلال تشبيهها بالغزال.

الأسود: لقد أكثر ابن حمديس من استخدام مفردات الأسد والأمن ذلك على استحضار معاني القوة والشجاعة التي صور بها أبناء صقلية للدفاع عن وطنهم، فقد كان عدد مرات ظهور المفردات الدالة على الأسد 89 مرة بنسبة 26.8% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
10.3%	8	الشبل
26.9%	21	الأسد
11.5%	9	القصور
21.8%	17	الليث
2.6%	2	الهصور
8%	6	الهزبر
15.4%	12	الضرغام
3.8%	3	الغضنفر

النار، اللهب، الحر، الرمضاء: جاءت هذه الألفاظ في أشعار ابن حمديس وهي دالة على النار في أكثر من 22 مرة بنسبة تصل إلى 9% بالنسبة لمفردات الظواهر الجوية.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
9.1%	2	النار
27.3%	6	اللهب
59.1%	13	الحر
4.5%	1	الرمضاء

وقد كان أكثر وروداً الحر، ولعل في ذلك دلالة على ضيق الشاعر، وتعطشه إلى وطنه وبلاده.

ألفاظ الماء: تعددت ألفاظ الماء في شعر ابن حمديس إلا أن أكثرها وروداً هي لفظ الماء. حيث كان عدد مرات ظهوره يزيد على 180 مرة، أما عدد الألفاظ الدالة على الماء فقد زاد على 350 مرة. وقد استخدم ابن حمديس كثيراً من الألفاظ الدالة على الماء، نوضح نسبها فيما يلي.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الغيث	10	47.6%
القطار	1	4.8%
الويل	2	9.6%
الودق	1	4.8%
بضربه	1	4.8%
مزنة	1	4.8%
بشؤرب	1	4.8%
امطارها	1	4.8%

المياه الجارية: أكثر ابن حمديس من استخدام الألفاظ التي دلت على المياه الجارية. ولعل ذلك يعود إلى الدلالة على الحركة المستمرة للشاعر وتنقله من مكان إلى آخر وقد كان لفظ البحر هو الأكثر وروداً بين هذه الألفاظ لما له من أهمية كبيرة في حياة ابن حمديس فهو سبب الموت والحياة.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
السيل	19	5.2%
الجدول	13	3.8%
الانهار	9	2.9%
الينبوع	1	10%
البحر	96	30.3%
الدأماء	1	1%
الماء	179	100%

ونلاحظ أن الشاعر يعدل عن استخدام المفردات ذات الدلالة الخاصة إلى استخدام المفردات ذات الدلالة العامة من مثل لفظ الدأماء فهي ذات دلالة خاصة.

النبات: كان عدد مرات ظهور مفردات الغطاء النباتي يزيد على 255 مرة، الأمر الذي كان له أثر كبير في إثراء المعنى والدلالة في أشعار الديوان، وقد كان أكثرها وروداً هو الغصن ثم الورد، فالأقحوان، فالزهر.... الخ، وقد حملت في طياتها المعاني الحقيقية والمجازية.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
1%	3	النيلوفز
9%	46	الغصن
2%	1	الفنن
3.5%	9	الريحان
5%	12	الزهر
12.5%	22	الورد
0.3%	1	النارنج
5.4%	14	الأقحوان
3.5%	8	القضيب

الظواهر الجوية: كان عدد ظهور مفردات الظواهر الجوية يزيد على 242 مرة وقد كانت الرياح هي الأكثر وروداً بينهما، فهي أمل للشاعر كلها تنقله من مكان إلى آخر، أو حزناً يضاف إلى أحزانه التي لا حصر لها، وتاليا النسب المئوية لألفاظ الظواهر الجوية.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
13.2%	32	السحاب
25.2%	60	الرياح
7.4%	18	النسيم
5.6%	12	الهواء
7%	2	الهبوب
4.5%	11	الصبا
5.7%	13	البرد
7.1%	1	الصدرد
4.9%	12	الرعد
4.5%	11	الغيم
20.2%	49	البرق

يتبين لنا من الدراسة الاحصائية نتائج مهمة منها:

- قلة استخدام المفردات التي لا حضور لدلالاتها في صقلية والأندلس، كالغبار والسراب، والسباب، والسباب، والسراب.
- ظهور التطور الدلالي للألفاظ واستخدامها بشكل جلي في الديوان. من مثل حديقة بدلاً من روضة.
- الاعتماد على استخدام الترادف بشكل كبير في الديوان وخاصة في أسماء الخيل والأسد والسيف وغيرها.
- استخدام المشترك اللفظي والاعتماد عليه بشكل كبير في تقريب الصفات بين الأشياء من مثل، شمس، غزال.
- تراجع استخدام المفردات ذات الدلالة الخاصة والاعتماد على استخدام المفردات ذات الدلالة العامة.
- ظهور المفردات المرتبطة بالدعة والسعادة والرفاهية والبيئة الصناعية بشكل كبير في الديوان، برك، قصور، رياض، زهور، بساتين، حدائق.
- قلة استخدام المفردات الدخيلة في أشعار ابن حمديس، ولعل ذلك يعود إلى اعتزازه باللغة العربية.
- استخدام المفردات ذات الدلالة القديمة والهجور طالباً لاستحضار التراث القديم.

الخاتمة:

لك الحمد يا ربّ إذ أعنتني بفضلك وكرمك على اتمام هذا الجهد المتواضع، حتى خرج على هذه الصورة، فلك الحمد موصولاً غير مبتور، ولك الشكر عرفاناً بالفضل غير منكور.

لقد وقفت هذه الدراسة على ألفاظ الطبيعة بشقيها الصامتة والحية في شعر ابن حمديس الصقلي، دراسة وتمحيصاً، إذ عالجت فيها الدلالة المعجمية والدلالية وأبرز المظاهر الجدلية. كما شملت الناحية الاحصائية فيها. وكذلك بعد عالجت الدراسة أثر البيئتين الصقلية والأندلسية في شعر ابن حمديس، ثقافة وتكويناً ونبوغاً طارت شهرته في الآفاق، وجعلت الشاعر أكثر أقرانه بلاغة وفصاحة، وشهرة في صقلية مولد الشاعر، ثم في الأندلس عند ابن عباد الذي جعل ابن حمديس من خاصته. فكان لذلك الأثر الكبير في شاعرية ابن حمديس.

وسنقف تالياً عند أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة منذ فصلها الأول وحتى آخرها. فقد كان للبيئة الصقلية أثر كبير في بناء شخصية ابن حمديس الشعرية. ولعل ذلك عائد إلى ما كانت تعانيه صقلية من فتنة أطاحت بأبنائها من جهة والطبيعة الجميلة التي صباها الله به. وقد برزت صورة صقلية الوطن الأم في شعر ابن حمديس في مواطن كثير، اعتزازاً بها وشجاعة أبنائها، وحنيناً لها بعد أن خرج الشاعر منها إلى إشبيلية. ويظهر ذلك جلياً في قوله:

بعزم بغدّ السير ضربة لازب

ولو أنّ أرضي حرّة لأتيتها

من الأسر في أيدي العلوج الغواصب

ولكن أرضي كيف لي بفكاكها

أما في الفصل الثاني فقد وقفت الدراسة عند ألفاظ الطبيعة الصامتة، منها: المياه، الفاظ الغطاء النباتي، والظواهر الجوية والتضاريس. وقد اعتمد عليها ابن حمديس في شعره كثيراً، وهذا من باب الوصف الذي شكل نسبة تقارب 10% من

شعر ابن حمديس مضافاً إليها وصف الطبيعة الحية من حيوانات أليفة أو غيرها وطيور. كل هذه الموجودات كان لها أثر كبير في شعر ابن حمديس.

وقد كان الماء وما دل عليه أكثر ألفاظ الطبيعة الصامتة وروداً في شعر ابن حمديس، ذلك أن الماء سبب حياة وموت عنده، فالماء سبب في موت محبوبته، وسبب في منع ابن حمديس من الوصول إلى وطنه. فقد زاد عدد ورود الألفاظ التي تدل على الماء على 350 مرة تقريباً بنسبة تصل إلى 33% تقريباً من الألفاظ الصامتة.

أما الألفاظ الطبيعية الحية، فقد كانت الخيل وما دل عليها من الألفاظ الأكثر وروداً مقارنة بالألفاظ الطبيعية الحية الأخرى، فقد زاد عدد مرات ورود الألفاظ الدالة على الخيل على أكثر من 80 مرة تقريباً بنسبة تصل أكثر من 20% بالنسبة للحيوانات الأخرى.

لقد كان لألفاظ الطبيعة أثر كبير في ديوان ابن حمديس على مختلف المستويات المعجمية والدلالية والصرفية، فقد عبق بها الديوان، حيث كان عدد مرات ورود الألفاظ الطبيعية ألف وخمسمائة مرة تقريباً، وهذا يدل على الاهتمام الكبير من جانب ابن حمديس بالطبيعة التي اغدق عليها كل ما يستطيع. حتى يرسم لوحات فنية جميلة ملؤها الحياة والجمال. وألوانها الرونق والبهاء. في مختلف أغراضه الشعرية التي لم تتواصل معانها من غير الطبيعة بكل ما فيها من متحرك أو صامت. فقد جعل ابن حمديس من الصامت متحركاً، ومن المتحرك صامتاً، ومن الأصم ناطقاً ومن العاقل هائماً في أحضان الطبيعة.

وأخيراً هذا ديوان ابن حمديس، ديوان زاخر بالجمال والروعة، ومعانٍ فياضة، وألفاظ معطاءة، وقافية تطرب بايقاعها الأصم. فهذا جهدي ما استطعت، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن جني: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج 2 1955.
- ابن حمديس: **ديوان ابن حمديس**، تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر، بيروت 1960.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة 1948.
- ابن دريد، ابو بكر محمد ابن حسن: **جمهرة اللغة**، تحقيق محمد السورتي، 1344 هـ.
- ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تحقيق الدكتور محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الكبرى، القاهرة، ط3، 1963.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد المنعم، القاهرة، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1969، 1972.
- ابن فارس، أبو الحسن: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة (أ) بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1964.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، بيروت، دار الفكر.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.
- ابو الخشب، ابراهيم: **تاريخ الادب الاندلسي**، مطبعة المعرفة. القاهرة. 1959
- أبو الطيب عبد الواحد بن علي: **الأضداد في كلام العرب**، تحقيق عزت حسن، دمشق، 1963.
- أبو العباس، محمد بن يزيد: **المقتضب المبرّد**، تحقيق محمد عبد الخالق، عالم الكتب، بيروت
- الإدريسي أبو عبد الله، محمد بن عبد الله: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، روما 1778.

- الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير الأموي: **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تحقيق خطاب محمد العربي، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- الأنباري، محمد بن قاسم: **الأضداد**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط2، مطبعة حكومة الكويت، التراث العربي، 1986.
- أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط64، مكتبة الأنجلو المصرية.
- أنيس إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1973.
- الأزهري، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون.
- بكار، يوسف: **بناء القصيدة العربية**، القاهرة، 1979.
- التهاوني، محمد علي الفاروقي: **كشف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، 1963.
- توريز تانو، إمبرتو: **تاريخ الأدب العربي في صقلية**. منشورات الجامعة الأردنية كلية الآداب، محاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وآدابها 1965.
- الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد الخضر: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، 1990.
- الجوهري، الصحاح: **أبو نصر إسماعيل بن حماد**، بيروت، دار العلم للملايين، 1979.
- حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، استنبول، وكالة المعارف، 1941.
- حميد، بدير متولي: **قضايا أندلسية**، دار المعرفة، القاهرة، 1964.
- حسن، عبد الحميد: **الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها**، مطبعة الجبلأوي، قسم البحث والدراسات اللغوية، 1971.

- خضر حازم: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987.
- الخفاجي، شهاب الدين: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة أكرم الحسيني، مطبعة النيرية، الأزهر 1952.
- الداية، محمد رضوان: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار، ط1 بيروت.
- الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر 1966.
- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ط6، دار الثقافة بيروت، 1978.
- استيفن، أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ط2، 1962.
- السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباس، مطبعة النعمان، اليمن الأشرف، 1972.
- سلامة، إبراهيم: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952.
- السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ.
- الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت.
- شلبي، سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الأندلسي عصر الإمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1982.
- شلبي، سعد إسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعرا، دار الفكر العربي القاهرة، 1986.
- الشلبي، سعد إسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، دار النهضة، القاهرة، 1978.
- شلبي، سعد إسماعيل: ابن حمديس حياته وشعره، مكتبة غريب، القاهرة.
- الشتريني، أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، دار الثقافة، بيروت.
- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973.

- الصقلي، ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي: الدر الخطيرة في شعراء الجزيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1965.
- ضيف، أحمد: بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس 1998.
- ضيف، شوقي: فصول في الشعر ونقده، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1988.
- ظاظا، حسن: كلام العرب في قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، 1976.
- عبّاس، إحسان: العرب في صقلية، دار المعارف، مصر، 1959.
- عبّاس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1978.
- عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ط5، القاهرة، عالم الكتب، 1998.
- عيد، رجاء: دراسة في لغة الشعر رؤيا نقدية، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، منشورات المعارف، الإسكندرية
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: المستصفي من علم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق 1322هـ.
- الفيروز بادي، مجد الدين: القاموس المحيط، المكتبة التجارية، مصر.
- المدني، أحمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1969.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب في الغصن الرطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1949.
- نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، 1945.
- وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر. 1997.

الملاحق

المياه	
.230 ، 206 ، 203 ، 183 ، 61 ، 462 ، 310 ، 256 ، 242 ، 27	أنهار، نهر:
،79 ، 62 ، 61 ، 77 ، 52 ، 58 ، 35 ، 27 ، 27 ، 11 ، 10 ، 8 ، 8 ، 8 ، 8 ، 4 ، 4 ، 147 ، 147 ، 146 ، 150 ، 146 ، 141 ، 141 ، 124 ، 108 ، 105 ، 81 ، 215 ، 216 ، 213 ، 212 ، 208 ، 195 ، 164 ، 157 ، 151 ، 153 ، 149 ، 241 ، 239 ، 239 ، 238 ، 235 ، 230 ، 226 ، 225 ، 223 ، 218 ، 215 ، 246 ، 246 ، 244 ، 242 ، 241 ، 285 ، 260 ، 251 ، 233 ، 223 ، 223 ، 324 ، 298 ، 292 ، 288 ، 285 ، 275 ، 275 ، 267 ، 257 ، 256 ، 253 ، 396 ، 393 ، 393 ، 385 ، 371 ، 370 ، 369 ، 339 ، 333 ، 331 ، 324 ، 477 ، 472 ، 469 ، 463 ، 460 ، 457 ، 422 ، 413 ، 451 ، 403 ، 403 ، 170 ، 560 ، 560 ، 534 ، 533 ، 533 ، 517 ، 506 ، 505 ، 498 ، 488	بحر:
،262 ، 203 ، 77 ، 396 ، 383 ، 383 ، 382 ، 379 ، 359 ، 306 ، 242 ، 77 ، 270	جداول، جدول:
،401 ، 400 ، 363 ، 232 ، 246 ، 230 ، 221 ، 153 ، 127 ، 117 ، 52 ، 7 ، 221 ، 61 ، 511 ، 465 ، 404	سيل:
،31 ، 30 ، 29 ، 28 ، 25 ، 20 ، 19 ، 18 ، 17 ، 16 ، 13 ، 11 ، 9 ، 7 ، 5 ، 1 ، 4 ، 103 ، 99 ، 95 ، 91 ، 85 ، 83 ، 68 ، 71 ، 51 ، 46 ، 45 ، 39 ، 38 ، 36 ، 144 ، 136 ، 126 ، 125 ، 123 ، 120 ، 118 ، 116 ، 109 ، 114 ، 106 ، 183 ، 178 ، 168 ، 162 ، 159 ، 158 ، 157 ، 155 ، 154 ، 153 ، 146 ، 239 ، 237 ، 233 ، 228 ، 226 ، 226 ، 250 ، 223 ، 210 ، 198 ، 187 ، 532 ، 440 ، 528 ، 439 ، 317 ، 262 ، 258 ، 254 ، 253 ، 248 ، 241 ، 317 ، 242 ، 215 ، 214 ، 210 ، 205 ، 202 ، 192 ، 184 ، 181 ، 547 ، 341 ، 330 ، 317 ، 306 ، 303 ، 301 ، 285 ، 278 ، 271 ، 267 ، 56 ، 397 ، 396 ، 394 ، 379 ، 377 ، 376 ، 371 ، 358 ، 356 ، 354 ، 353 ، 451 ، 450 ، 449 ، 443 ، 433 ، 431 ، 427 ، 420 ، 414 ، 410 ، 403 ، 496 ، 495 ، 492 ، 488 ، 484 ، 472 ، 469 ، 468 ، 466 ، 456 ، 452 ، 537 ، 534 ، 533 ، 532 ، 524 ، 518 ، 513 ، 512 ، 511 ، 502 ، 499 ، 556 ، 548 ، 541 ، 540 ، 538	ماء:
،460 ، 372 ، 319 ، 314 ، 246 ، 236 ، 220 ، 175 ، 151 ، 87 ، 74 ، 483 ، 412 ، 4 ، 54 ، 51 ، 369 ، 377 ، 457 ، 366	مطر:

التضاريس	
	أديم:
.438	
3، 11، 11، 13، 31، 32، 33، 35، 36، 59، 65، 72، 97، 105، 110، 115، 117، 122، 137، 137، 147، 148، 148، 151، 164، 169، 167، 171، 173، 196، 207، 208، 210، 216، 216، 221، 223، 230، 238، 241، 243، 246، 261، 261، 262، 264، 388، 417، 450، 459، 246، 267، 268، 274، 291، 294، 299، 306، 310، 310، 313، 329، 339، 347، 355، 358، 358، 378، 380، 392، 394، 407، 413، 413، 417، 430، 430، 433، 438، 443، 446، 446، 453، 454، 456، 457، 460، 463، 463، 464، 470، 477، 479، 480، 490، 495، 501، 503، 506، 506، 507، 504، 523، 523، 229، 542، 550، 557.	أراضي، أرض:
.393	بر:
.427، 426، 313، 274	بيداء:
.191	بيرمع:
35، 36، 36، 119، 180، 523، 293، 305، 364، 386، 480، 484، 518، 525، 526، 540.	تراب:
4، 11، 36، 36، 105، 118، 119، 157، 166، 171، 314، 351، 347، 367، 383، 419، 469، 488، 527.	ثرى:
17، 35، 36، 55، 55، 153، 221، 239، 252، 319، 373، 388، 388، 398، 445، 485، 531، 532، 269، 392، 478.	جبال، جبل:
28، 41، 43، 119، 239، 313، 346، 372.	حصى، حصاة:
.285	دهس:
.463، 463	رغام:
29، 15، 55، 60، 292، 341	سباسب، سبا:
.257، 200	سهل، سهول:
.60	سهوب، سهب:
.301، 540، 271، 321، 252، 61، 45	صخر، صخره:
.544، 534، 534، 534، 533	طبي:
.223	عفر:
.302	غوط:

فلاه:	38، 40، 55، 58، 60، 71، 155، 168، 357، 373، 451، 357، 358، 367.
فيافي:	55.
قفر، قفار:	15، 39، 71، 151، 237، 260، 292، 354، 355، 390، 445، 470، 549.
كتب:	13، 35.
مَسْمَرَه:	145.
هضاب، هضبيه:	36، 55، 514، 506، 523.
وادي:	357.
وعر، وعر:	200، 257.
يباب:	478.
الظواهر الجوية	
برد:	17، 109، 151، 158، 260، 262، 273، 508، 336، 386، 459، 493، 502.
برق:	3، 19، 45، 51، 61، 61، 75، 115، 118، 118، 99، 172، 174، 157، 200، 247، 260، 293، 309، 329، 399، 393، 444، 450، 454، 293، 302، 328، 329، 334، 336، 340، 341، 362، 424، 429، 429، 448، 453، 458، 459، 474، 490، 502، 514، 550، 11، 472، 498.
حر:	17، 19، 19، 24، 24، 39، 39، 40، 45، 51، 177، 205، 260، 273، 508، 403، 443، 448، 119، 145، 473، 6.
رعد:	3، 116، 118، 157، 175، 223، 332، 382، 392، 399، 490، 550.
ريح، رياح:	3، 3، 15، 19، 55، 60، 60، 90، 91، 94، 98، 98، 100، 101، 125، 132، 141، 147، 149، 155، 161، 184، 187، 227، 235، 239، 242، 253، 255، 191، 199، 256، 256، 302، 305، 310، 323، 392، 231، 354، 367، 381، 401، 403، 404، 501، 438، 443، 442، 445، 457، 461، 462، 465، 469، 478، 490، 527.
سحاب سحابة:	3، 4، 14، 19، 29، 31، 47، 51، 96، 117، 177، 184، 236، 252، 329، 235، 329، 331، 332، 339، 381، 386، 440، 443، 453، 480، 454.
سراب:	15، 56، 67، 301، 215، 537.
صَبَا:	25، 56، 126، 149، 151، 153، 314، 443، 453، 71، 77.

غيم، غيمة:	.462 ،440 ،439 ،436 ،436 ،321 ،467 ،191 ،99 ،74،84 ،19
نار:	،166 ،164 ،159 ،153 ،152 ،72 ،69 ،53 ،51 ،24 ،24 ،16 ،9 ،7 ،182 ،202 ،202 ،219 ،283 ،300 ،307 ،311 ،326 ،346 ،347 ،348 ،366 ،368 ،387 ،393 ،304 ،396 ،396 ،406 ،428 ،429 ،442 ،447 ،448 ،458 ،459 ،474 ،504 ،504 ،505 ،516 ،527 ،528 ،547 ،56 ،32 ،97 ،115 ،495 ،499 ،497
نسيم:	،406 ،332 ،312 ،264 ،245 ،228 ،125 ،89 ،51 ،51 ،13 ،3 ،3 ،547 ،555 ،438 ،470 ،505
هواء:	.273 ،353 ،305 ،417 ،389 ،61 ،60 ،4
الطيور	
بلبل:	.420 ،395 ،369 ،357 ،162
حمام، حمامة:	،358 ،338 ،111 ،327 ،322 ،268 ،259 ،222 ،165 ،147 ،11 ،366 ،367 ،459 ،470 ،488 ،505 ،553 ،112
صقر:	.381 ،271 ،227
طيور، طائر:	،298 ،268 ،226 ،223 ،193 ،154 ،150 ،126 ،45 ،35 ،34 ،6 ،301 ،303 ،312 ،318 ،335 ،357 ،370 ،414 ،393 ،422 ،424 ،422 ،508 ،419 ،241 ،206 ،539 ،520 ،496 ،477 ،422 ،120 ،254 ،14،20
عصافير، عصفور:	.240 ،177 ،50
عقاب:	،466 ،425 ،424 ،327 ،318 ،247 ،240 ،211 ،71 ،7 ،253 ،59 ،508 ،511 ،551 ،210 ،445 ،448 ،365
غراب:	.424 ،331 ،226 ،110 ،307 ،147 ،93 ،65 ،11
قشعم:	.482 ،414 ،295 ،294 ،238
قطاة، قطا:	.253 ،327 ،232 ،96 ،212 ،99 ،39
نسور، نسر:	.369 ،240 ،318 ،291 ،287 ،254 ،226 ،157
الأغصان	
اقحوان، أقحوانها:	،407 ،369 ،332 ،318 ،301 ،278 ،264 ،176 ،244 ،258 ،78 ،452 ،459 ،488
أجام:	،230 ،230 203 ،148 ،120 ،50 ،554 ،45 ،553 ،475 ،468 ،314 ،358 ،37 ،316 ،503 ،330
أشجار، أشجارها:	،512 ،395 ،165 ،54 ،100

أغصان، غصن:	253، 259، 282، 282، 322، 332، 363، 358، 376، 407، 411، 430، 452، 459، 470، 473، 487، 489، 491، 493، 495، 505، 505، 505، 547، 548، 552، 120، 96،
ثمر، ثمار:	102، 259، 277، 369، 495، 503، 522، 154، 180، 200، 111، 281، 554.
حدائق، حدائقه:	187، 215، 237، 391، 395، 522، 110، 197، 237، 65.
رمان، رمانه:	332، 343، 345، 380، 473، 489، 512، 102، 199، 237،
رياض، روضه:	13، 48، 79، 85، 10، 124، 125، 156، 187، 187، 192، 235، 245، 268، 271، 284، 291، 265، 301، 303، 341، 343، 351، 353، 357، 386، 395، 400، 433، 457، 459، 466، 480، 488، 491، 493، 495، 502، 505، 553، 554، 131، 212، 236، 251، 554،
ريحان، ريحانه:	12، 83، 216، 282، 470، 495، 502، 113، 197.
زهر، أزهارها:	5، 84، 131، 156، 167، 268، 341، 353، 412، 491، 120، 212، 158،
سوسن، سوسنه:	235، 503،
غصن، غصن:	12، 13، 13، 50، 84، 90، 96، 125، 126، 126، 146، 150، 165، 176، 232.
القضب، قضب:	182، 277، 284، 367، 102، 192، 352، 357،
كافور، كافور:	9، 87، 96، 167، 202، 317.
نرجس، نرجسه:	150، 150، 278، 345، 553، 245، 371،
ورد، ورد:	10، 23، 48، 58، 61، 85، 97، 109، 138، 174، 233، 237، 235، 317، 330، 330، 332، 345، 356، 358، 371، 372، 376، 407، 430، 458، 489، 529، 410.
ورق، ورقه:	214، 242، 253، 308، 322، 323، 338، 370، 412، 412، 150، 472،
الياسمين، ياسمينه:	237، 489،
الحيوانات	
ابل	97، 118، 118، 134، 235، 168، 241، 449، 160، 168، 206، 233، 274، 293، 309، 331، 347، 368، 381، 306، 408، 469، 526،

،520 ،520 ،512 ،512 ،512 ،504 ،503 502 ،501 ،496 ،484 ،527 ،520	أسد، أسد:
،358 ،253 ،247 ،196 ،184 ،151 ،127 ،61 ،61 ،54 ،51 ،32 ،236 ،150 ،114 ،106 ،77 ،73 ،390 ،390 ،390 ،390 ،389 ،362 ،329 ،319 ،319 ،310 ،289 ،285 ،279 ،261 ،254 ،253 ،468 ،458 ،457 ،447 ،444 ،435 ،444 ،416 ،398 ،388 ،393 ،59 ،57 ،57 ،43 ،514 ،532 ،508 ،506 ،498 ،498 ،496 ،496 ،200 ،196 ،196 ،156 ،146 ،140 ،119 ،115 ،96 ،86 ،65 ،61 ،259 ،256 ،253 ،251 ،247 ،234 ،323 ،227 ،227 ،229 ،226 ،464 ،448 ،447 ،447 ،426 ،423 ،409 ،396 ،11 ،261 ،258 ،135 ،121 ،115 ،104 ،101 ،100 ،71 ،32 ،1 ،7 ،531 ،531 ،506 ،321 ،284 ،268 ،256 ،250 ،242 ،217 ،196 ،162 ،156 ،145 ،374 ،374 ،373 ،370 ،365 ،315 ،359 ،357 ،353 ،340 ،338 ،428 ،423 ،419 ،417 ،412 ،403 ،391 ،90 ،388 ،377 ،377 ،484 ،475 ،475 ،472 ،468 ،451 ،531 ،536 ،520 ،508 ،496 ،477 ،422 ،422 ،420 ،420 ،414 ،531	خيل، خيل:
،73 ،50 ،45 ،35 ،34 ،14 ،6 ،422 ،419 ،241 ،231 ،229 ،226 ،268 ،254 ،240 ،206 ،223 ،193 ،177 ،162 ،126 ،120 100 ،395 ،393 ،370 ،318 ،312 ،303	طيور، طائر
،247 ،240 ،240 ،227 ،226 ،210 ،210 ،157 ،7 ،7 ،506 ،253 ،425 ،366 ،360 ،331 ،327 ،318 ،318 ،291 ،287 ،271 ،254 ،511 ،508 ،482 ،466 ،448 ،445	عقبان، عقابا
،301 ،265 268 ،259 ،138 ،135 ،232 ،200 ،191 ،99 ،4 ،12 ،6 ،113 ،65 ،02 ،502 ،444 ،407 ،407 ،403 ،387 ،355 ،339 ،330 ،303 ،288 ،277 ،285 ،285 ،263 ،140 ،101 ،425 ،390 ،256 ،487 ،459 ،363 ،372 ،361 ،345 ،345 ،344 ،344 ،341 ،317 ،510 ،381 ،359 ،353 ،318 ،288 ،288 ،284 ،162 ،176 ،520 ،367 ،367 ،322 ،246 ،226 ،158 ،419 ،363 ،411 ،459 ،150	غزال، ظباء، مها:
،327 ،253 ،96 ،101 ،212 ،99 ،39	قطا، قطاه

An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**The Vocabulary of Natural Environment
in the Poetry of Ibn Hamdis**

Prepared by
Rafat Mohammed Sa'id Steiti

Supervised by
Dr. Yahya Jaber

***Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master in Arabic Faculty of Graduate Studies at An-Najah National
University, Nablus, Palestine.***

2007

**The Vocabulary of Natural Environment
in the Poetry of Ibn Hamdis**

**Prepared by
Rafat Mohammed Sa'id Steiti
Supervised by
Dr. Yahya Jaber**

Abstract

This study aimed to discuss the natural terms in Ibn Hamdis AL-Siqilli's book in terms of denotation, lexicography semantics, and morphology and statistically.

The study consists of an introduction and four chapters, in addition to statistical study of the natural vocables that explains their attribution in Ibn Hamdis poetry.

The researcher presented Ibn Hamdis life in the first chapter, and about the impact of both Sicilian and Andalusian environment on his life and poetry. He also discussed Ibn Hamdis ability to invent and propogate meanings and denotations. In the second chapter the researcher presented the silent natural vocables including vocables of water, potanic apron, weather phenomena and landmarks. In the third chapter the researcher presented the natural vocables of animal including domestic and wild animals. Then, he completed the talk about the bird species such as pigeons and mordants. Whereas in the fourth chapter the researcher presented some linguistic issues briefly for clarification purpose in the book. Such linguistic issues mentioned are namely joint verbal, synonyms, antonyms Arabization, non – native vocables and syntactic morphology. Then, he introduced the statistical study. Finally, the researcher concluded a summary which explains the most distinguished results concluded by the researcher.

